الموسوعة الكبرى

للمذاهب والفرق والأديان

الماسونية

أو

البنّاؤون الأحرار

د. سليم الياس



مركز الشرق الأوسط الثقافي

الموسوعة الكبرى

للمذاهب والفرق والأديان

الموسوعة الكبرى

للمذاهب والفرق والأديان

الماسونية
أو
البناؤون الأحرار

د. سليم الياس

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2008 م

مركز الشرق الأوسط الثقافي

للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع

The Middle East Cultural Center

For Printing, Publishing, Translation & Distribution

الإدارة العامة:

بيروت - الحدث، هاتف: ٤٦١٨٨٨ - ٥ - ٩٦١

فاكس: ٤٦١٧٧٧ - ٥ - ٩٦١ - خليوي: ٦٤٠٤٩٠ - ٣ - ٩٦١

Web site: www.lccpublishers.tk

General Management:

Beirut - Hadath, Tel: 961-5-461888

Fax: 961-5-461777, Mobile: 961-3-640490

E-mail: lcc_pub @ yahoo.com

الفصل الأول

ـ مواضيع الفصل:

* المقدمة
* النشأة وأصل التسمية
  - ـ الماسونية بلسان أبنائها
  - ـ موجز تاريخي
  - ـ انتشار الماسونية في بلدان المشرق العربي

المقدمة

عند لفظ كلمة ماسونية أو ماسوني أمام أي إنسان أو في أي مجتمع ترى في عيون من يتلقاها الريبة والدهشة من هذا الاسم، وربما هنا يصح القول بأن الإنسان هو عدو ما يجهله.

لقد نشأت الماسونية في ظروف بالغة السرية، حتى باتت والسرية توأمان، وهذا ما يجعل غالبية سكان الكرة الأرضية ينفرون، أو بمعنىً أصح يتملكهم الخوف والريبة من سماع كلمة ماسونية. وذهب بعضهم في مخيلته إلى أبعد ما تصل به، وأطلق على الماسونية تحليلات وأسماء وصفات ما لا تتحمله أية منظمة أو جمعية في العالم. ففي حين وصف المنتسبون إليها بعبدة الشيطان، وفي حين آخر وصفت بالجمعية السرية التي تشكل خطراً كبيراً على البشرية جمعاء. وأصبح اسم الماسونية ملتصقاً تماماً بالنسبة إلى الشعوب العربية بالصهيونية العالمية.

من هنا، كان لا بد لنا من أن نضع جزءاً مفرداً خاصاً من ضمن الموسوعة الشاملة للمذاهب والفرق والأديان يتحدث عن الماسونية، ويُظهر للقارئ العربي الكريم ما هي الماسونية؟ وهل لديها أسراراً خطرة على المجتمع؟... من هم مؤسسوها؟ وما هو دستورها وتعاليمها؟

إن معظم المؤلفين والباحثين تناولوا عدة جوانب من «النظام والفلسفة الماسونية». مواضيع تناولت بعمق أو بسطحية العلوم الرمزية، أو علوم الاجتماعات المحفلية، أو المذاهب أو النواحي العلمية والفلسفية، ولكن قلة منهم تناولت تاريخها بعمق. لا شك، هناك خيط رفيع يربط ما كان يسمى بأسرار، ونعني بها طريقة حفظها واستعمالها من علماء وكهنة العصور القديمة، ابتداءً من كنعان مروراً بالسومريين والبابليين، إلى المصريين، إلى بلاد الفرس، إلى الهند، وصولاً إلى أيامنا هذه، إنما لم تعد تشكل سرية هذه الأسرار ونظامها، استمرارية سرية في الماسونية أكثر من محطة تأملية لانتقاء ما كان مبدعاً فيها وحفظه ضمن التراث والآداب الماسونية. إذ لا يمكن

نقل تراث أو فرضيات عبر آلاف السنين، دون إضفاء عنصر الزمن وعنصر الفلسفة وعنصر مفهوم الإنسان في عقائده الدينية، والأخذ بها، كون الماسونية لم تكن بفلسفتها وعلومها مغلقة، أو جامدة تجاه هكذا تراث.

لقد تناول الباحثون والمؤرخون البريطانيون جدياً التاريخ الماسوني، بوضوح ونوع من العلمنة، مستندين إلى عدة وثائق قديمة، واستعملوا فن التنقيح عبر صفاء مذهل وجلد لانتقاء وترجمة الكلمات الصحيحة والمعبّرة، إنما ظل عملهم ناقصاً، لأنه ظهرت عدة وثائق أخرى لم تؤثر على مجرى عملهم، إنما خلفت ثغرات في أبحاثهم، ومن هنا لا يمكن تأريخ الماسونية اليوم بالاستناد إلى المراجع الانكليزية، كان يجب انتظار أواخر القرن العشرين وأوائل هذا القرن لظهور بعض المؤرخين الألمان وإضافة مجهودهم للاستيضاح عن بعض الحقائق التي خفيت على من تناولوا هذا الموضوع سابقاً.

لقد اختلط الأمر على هؤلاء الباحثين ولم يضعوا حداً شفافاً، ما بين تاريخ الماسونية وفرسان الهيكل، ما بين الماسونية والأسرار القديمة، وأخذوا بحرفية النصوص الهرمسية والفرعونية ورموزها ونظرتها الرائعة إلى الإله، دون تطور هذه الفكرة مع الزمن، ونظرة الأديان السماوية إلى الإله، أو الله الواحد بمفهومه الديني، وهنا اختلط الأمر أيضاً على العامة فألصقوا بالماسونية تهمة الإلحاد.

وباختلاط الأمر على المؤرخين، بين تاريخ الماسونية والرجوع بها إلى أساطير الشرق وأساطير بلاد الفرس وعلوم «الروزكروسيين» Rose Croix، اختلط على العامة الأمر وألصقوا بالماسونية تهمة السحر والشعوذة.

وباختلاط الأمر على المؤرخين بين الماسونية والقبالا التوراتية، وحرفية نصوص الرؤيات والعلوم الغنوصية والتيوصوفية، اختلط الأمر على العامة وألصقوا بالماسونية تهمة «الدين الطبيعي».

كذلك اختلط الأمر على هؤلاء المؤرخين في بناء الكاتدرائيات والمعالم الأثرية في العصور الوسطى وتزيينها بحس فني أسطوري ـ ديني، كما كانت آداب وفنون العصور الوسطى تسمح بذلك الفن، واختلط الأمر على العامة، وألصقوا بالماسونية فكرة تسخر من الله والدين في النصوص والصور الجدرانية شبه الوثنية، واسألوا التقاليد الكنسية في ذلك الوقت عن الأسباب.

في كتابة التاريخ في الماسونية وكتابة التاريخ في كل تنظيم يشابهها، على المؤرخ

أن يميز بين الفكر والشكل، بين الروح وجسد الموضوع، عليه أن يميز بين «الماسونية La Franc-Maçonnerie» و«اتحاد التنظيمات الماسونية La Société des Francs Maçons». إن الفكر في هكذا بحث، يعلو غالباً منطق التاريخ، ويبقى مستقلاً عن كل التنظيمات الماسونية المتعددة الوجوه.

من هنا، فإن عدة خيوط تفرض فكراً معيناً، وتكريساً معيناً، يجب أن يعلو على النصوص، وأهمها الإقرار بإله واحد، خالق الكون ومبدع كل الجمالات فيه.

إن هذه الفكرة الأبدية يجب أن تكون كونية ومتخذ بحرفيتها من كل الاجتماعات المحفلية الكونية، وكذلك النور الإلهي والنور الفكري. من هنا يبقى تاريخ التنظيمات الماسونية، وهذا التاريخ يخضع لتقلبات الأزمنة والأمكنة ورجالات الفكر التي قادت الماسونية الكونية، منها نصل إلى خلاصة افتراضية، ليس الخطأ في تاريخ المحافل الماسونية، والتي بمجموعها تشكل الماسونية الكونية، كون هذا التاريخ خاضع لمتغيرات لا ينقض جوهر الفكر الذي يجب أن يسيطر دائماً ويبقى.

إن الفكر والشكل هنا، لا يتعارضان أكثر مما يتكاملان في إثبات التاريخ العام للماسونية أقله في الزمان والمكان. إنما هذا التكامل يطرح علينا سؤالاً مهماً، وهو كثرة الجذور التي يدور حولها النظام الماسوني، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

هل الماسونية ابتدأت جذورها في الحضارة «الهندو ـ أوروبية» أم «اليونانية» أم «المصرية» أم «الرومانية»؟

هل فكرها وفلسفتها مستمدة من التنظيرات «الفيتاغورية» أم «شيعة أهل قمران» أم «مجمع أثينا» أم «مجمع الإسكندرية» أم ضمن التنظيم المسيحي في عصوره الأولى، أم التنظيمات الأخوية كـ«البنديكتين Benedictins»، أم تنظيم «الصليبيين»، أم ضمن «الروزكروسيين Rose Croix»، أم ضمن «المنوِّرين»؟

قد يبدو للعامة أن هذه التنظيمات وغيرها التي لم يرد ذكرها، كانوا ماسونيي عصرهم، ومعظمهم تلاشى في التاريخ كفكر وتنظيم وبقيت الماسونية. لماذا؟ لأن هؤلاء يؤلفون بعض الحلقات الضعيفة من تكامل الحلقة الماسونية التي امتدت عبر العصور إلى كافة أقطار العالم ولا تزال. ولأوضِّح فكرتي أكثر، هذه التنظيمات نهلت بعضاً من مبادئها وأفكارها من النظام الماسوني التي تأثرت به وتركت آثارها التاريخية دون أن تتأثر الماسونية بها.

من هنا، على الباحثين في التاريخ الماسوني، أن يصعدوا مجرى النهر ليصلوا إلى النبع، إلى النظام «L'ordre»، دون أن يتوهموا في الجذور التي تغذي هذا النهر أو السواقي التي تفرّعت منه.

يكمن السر هنا: على كل باحث أن يتوجه نحو الشرق، لأن الشرق هو النبع الرمزي والفلسفي للتنظيم الماسوني، وأعني بالشرق هنا، لبنان الفينيقي الكنعاني الذي منه استمدت الماسونية أصولها وجذورها ونظامها الحضاري.

ولماذا لبنان؟

يبرز لبنان من ضباب ما قبل التاريخ في ظل شعار مثلث: ـ الإيمان بما وراء المادة، ـ الأخذ بروعة الجمال، والسعي في تحقيق الذكاء. ويكون الشعب اللبناني في العهد النيوليتي ـ أي قبل ستة آلاف سنة ـ أول من ينتقل من الكهوف، والمغاور، والسهول، إلى البيوت المفردة. فيبني المنزل، والقبر: بيت الكائن الحيّ، ومستقر الميت، ويُنشئ المدينة والمقبرة، واضعاً أسس الحضارة المستقرة في المدينة، وهو معنى التمدّن. وإذا كان لنا أن نتعمّق في دراسة هذه الحضارة اللبنانية، أمكننا أن نرد خصائصها إلى ثلاث: مادية، وعقلية، وروحية، نراها رافقت اللبنانيين في جميع آثارهم على تتابع العصور، وتطور الأحوال، فتميزت حضارتهم عن غيرها من الحضارات العريقة، وإذا بها حضارةٌ شعبيةٌ مُخالقة مُسالمة، لا حضارة ملوك وأباطرة متسلطين، كالفراعنة وطُغاة أشور وبابل، ولا حضارة قبائل مكتسحة كالهون، والمغول والتتر.

أما الصفة المادية في الحضارة اللبنانية، فأول ما تبرز بالبناء، أسس كل حضارة، خرج لبنان بواسطتها منذ فجر الألف السادس، من السهل ومن الكهف، إلى الانفراد بالبيت يبنيه، أولاً كوخاً مستديراً على أرض مرصوفة، ثم حجراً منصوباً على زوايا مستديرة. ويرتقي اللبناني بالبناء، وينشره في رحلاته، حتى يُعرف به في العصور القديمة، فيشيّد المدن المفنّنة التخطيط، المنيعة الأسوار، المتناسبة التقاطيع، الحافلة بالهياكل الشامخة، والدارات الفخمة، والصروح المتعددة الطبقات، ومن ضيق الأرض إلى فسحة الجو، ناشراً ناطحات السحاب في جميع حواضره شرقاً وغرباً، من أراد إلى صور، إلى قرطاجة، إلى صنعاء اليمن، ويقيم في ميناء صور مرفأ مرصوفاً لا يزال طرفة المهندسين وعلماء الملاحة، ويرتفع من تحسين العمل إلى تجريد النظر، فيدرك أصول الهندسة المعمارية، ويصبح أستاذ الفن البنائي.

فإذا شاء سليمان الحكيم، في القرن العاشر قبل الميلاد، أن يرفع للعلي بيتاً، لجأ إلى المهندس اللبناني حيرام، فأخرج الهيكل أعجوبة الفن جمالاً وتناسباً، وإذا أراد صاحب سفر «الامثال» استعارة يمثّل بها ثبات صرح الحكمة، لجأ إلى الأعمدة السبعة الأساسية في بناء البيت اللبناني الأصيل.

وإذا رغب بول فاليري، في القرن العشرين بعد الميلاد، أن يضع عنواناً لأبحاثه في أصول الجمال، لم يرَ إلا اسم المهندس اللبناني أوبالينوس يتوّج به كتابه النفيس، وأوبالينوس هذا هو صنو قدموس في حكاية نشر الفكر بادئاً بتعليم اليونان، معلمي العالم. علمهم قدموس الأبجدية، أي عمارة العقل، وعلمهم أوبالينوس البناء، أي عمارة البيت والهيكل.

فحفظوا عنه الآيات المحكمات في أصول الفنون عامة، وتوّحدها في البناء التام المتناسب الأقسام، المتساوي الأجزاء والتفاصيل إلى إحداث الروعة الشاملة. ورددوا ما كان يردده على تلاميذه في رواية فاليري:

«أريد أن يحرك هيكلي الناس كما يحركهم الكائن الحبيب».

أو نستغرب بعد هذا، أن يكون التناسب أسس الفن اليوناني، بل أسس كل بناء مادياً كان أم عقلياً، في فنوننا وصناعتنا العريقة، في أسوارنا الجبارة التي ترد أمواج البحر وتدفق الغزوات، في هياكلنا وقلاعنا الرابطة في أخصب السهول، والساهرة على أخطر الممرات، في تصميم بعلبك خاصة، في أنصاب أم العواميد، في تماثيل قرطاجة، في محفورات العاج الدقيقة المنتشرة في متاحف العالم، في دُمى الحيوانات الرشيقة الآهلة في خزائن متحفنا، في قرانا العالقة بالآفاق حيث تساهر الكواكب منذ تفتحت عين الإنسان على جمال النجوم، في بيوت فلاحينا الآخذة بالاتقان، المختالة بالنظافة والترتيب، في مهاوي جبالنا المزنرة بالسلاسل، المدرجة «بالجلول» تحفظ التربة وتنمي الزرع، في خاناتنا وفنادقنا القائمة محطات للصناعة ومعالم للتجارة منذ القرون الوسطى، في قصورنا وداراتنا الصاعدة، وشعرائنا وكتّابنا وفلاسفتنا، من جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، خليل مطران، سعيد عقل، الياس أبو شبكة، وغيرهم.

النشأة وأصل التسمية

الماسونية معناها الحرفي بالانجليزية البناؤون الأحرار (Freemasons). هي عبارة عن منظمة أخوية عالمية يتشارك أفرادها عقائد وأفكار واحدة في ما يخص الأخلاق والميتافيزيقيا في تفسير الكون والحياة والإيمان بخالق إلهي.

تتصف هذه المنظمة بالسرية والغموض بالذات في بدايات تأسيسها مما جعلها محط كثير من الأخبار والشائعات، بأن هذه المنظمة بسعة انتشارها وتمكنها من الوصول إلى معظم الحكومات العالمية القوية هي من تملك زمام قيادة العالم، لذلك يتهم البعض الماسونية بأنها من محاربي الفكر الديني وناشري الفكر العلماني.

ـ رمز الماسونية:

هناك الكثير من نظريات المؤامرة حول تسمية الماسونية، فهي تعني هندسة باللغة الإنجليزية. ويعتقد البعض أن في هذا رمزاً إلى مهندس الكون الأعظم، ويعتقد البعض الآخر أن رمز الماسونية التي هي عبارة عن المربع الناتج من التقاء الزاوية القائمة بالفرجار، ما هي إلاّ تمويه لنجمة داوود[1]، وهناك عادة حرف G بين الزاوية القائمة والفرجار، يختلف الماسونيون في تفسيرها، فالبعض يفسرها بأنها الحرف الأول لكلمة الخالق الأعظم God، ويعتقد البعض الآخر أنها أول حرف من كلمة هندسة Geometry، ويذهب البعض الآخر إلى تحليلات أعمق ويرى أن حرف G مصدرها كلمة gematria، والتي هي 32 قانوناً وضعه أحبار اليهود لتفسير الكتاب المقدس في سنة 200 قبل الميلاد.

من الناحية التنظيمية هناك العديد من الهيئات الإدارية المنتشرة في العالم، وهذه

---

(1) «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»، د. مانع الجهني. دار الندوة. ط5. 2003. ص 510 ـ 517.

الهيئات قد تكون أو لا تكون على ارتباط مع بعضها البعض، ويرجع عدم التأكد هذا إلى السرية التي تحيط بالهيكل التنظيمي الداخلي للماسونية، ولكنه وفي السنوات الأخيرة بدأت الحركة تتصف بطابع أقل سرية. ويعتبر الماسونيون إن ما كان يعتبر سرّاً أو غموضاً حول طقوس الحركة وكيفية تمييز الأعضاء الآخرين من التنظيم كان في الحقيقة تعبيراً عن الإلتزام بالعهد والولاء للحركة التي بدأها المؤسسون الأوائل وسارت على نهجها الأجيال المتعاقبة.

ـ بدايات الماسونية:

لا يعرف بالتحديد متى بدأت الماسونية، وهناك العديد من الفرضيات حول منشأ الحركة. ويرى جون شو أستاذ التاريخ في جامعة «غولدن سميث» بأن هناك مزاعم تحاول أن ترجع منشأ الماسونية إلى فجر الأديان السماوية كأحفاد نوح وإدريس وربطها بمظاهر وأحداث موغلة في القدم مثل تشييد هيكل سليمان، وأيضاً بناء الأهرامات، ويحاول البعض الآخر ربطها بالحملات الصليبية وبالأخص بمن كانوا يُعرفون بفرسان الهيكل التي كانت عبارة عن قوة عسكرية على أساس ديني شاركت في الحروب الصليبية.

*** فرضية فرسان الهيكل:**

يُعتقد أنه في العام 1307 تم اعتقال معظم فرسان الهيكل الفرنسيين بقرار من ملك فرنسا وبضغوط من الكنيسة الفرنسية وفرّ من نجا من الاعتقال إلى العمل السري. ونتيجة لهذا، قام فرسان الهيكل البريطانيين بالاختباء وتظاهروا بأنهم يحترفون البناء وسمّيوا بعد ذلك بالبنائين الأحرار الماسونيين. ويعتقد البعض أن سبب الخلاف الرئيسي مع الكنيسة كان في رفض البنائين فكرة الاعتراف بالخطايا المتبع لهذا اليوم في الكنيسة الكاثوليكية والتي وحسب تقاليد الكنيسة فإن الكاهن سوف لن يفشي أي سر، ولكن إصرار البنائين على عدم القيام بذلك الطقس الكاثوليكي أثار ريبةً وشكوكاً من الكنيسة التي فرضت ضغوطاً على الملك باتخاذه لقرار محاربة ذلك التيار.

*** فرضية شركة البنائين الأحرار:**

وهي مستندة على الوثائق أكثر من الفرضية الأولى، واستناداً على الوثائق فإن أول مرة تم فيه استعمال كلمة «مقر» (Lodge) كان في العام 1278 أثناء عملية بناء دير

سيستيرسيان بالقرب من مدينة جيستر البريطانية، ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا «المقر» كان على الأغلب كوخاً أو مجموعة من الأكواخ يتناول فيه البناؤون طعامهم.

في العام 1356 تشكلت شركة البنائين الأحرار في لندن وتم اختيار كاتدرائية يورك كمقر للمجموعة، وبعد 20 سنة ـ أي في العام 1376 ـ تم لأول مرة استعمال كلمة الماسونية حيث تم اختيار 4 أشخاص ليمثلوا البنائين في لندن في مناقشات هيئة التجارة، وأطلق الوفد على نفسه «البناؤون» Masonry، ولم يستعمل كلمة الأحرار آنذاك. وفي العام 1390 تم كتابة ما يعتبر أول نص ماسوني، وكانت عبارة عن 64 صفحة من الكتابات المكتوبة بأسلوب شعري، وتوجد هذه النصوص حالياً في المتحف البريطاني. وهناك اعتقاد أن موجة انتشار وباء الطاعون في أوروبا عام 1348 والحرب الداخلية على عرش بريطانيا عام 1453 أدّت إلى ارتقاء الماسونية إلى حركة منظمة حيث أصبحت هناك تعاليم مفصلة لواجبات العضو ومراسيم قسم الانتماء، وهناك اعتقاد آخر يقول بأن هذه المراسيم كانت لها علاقة بعدد ساعات العمل ومعدلات الأجور، ويعتقد البعض أن الأمر كان أكثر عمقاً من مراسيم نقابية لمجموعة من العمال. وفي العام 1425 أصدر الملك هنري السادس ملك إنكلترا مرسوماً ملكياً يمنع إقامة التجمع السنوي للماسونيين. وفي العام 1598 تم تحديد نظام هيكلي لكيفية إدارة تنظيم البنائين الأحرار في فرعها في اسكتلندا. وفي العام 1717 تم تشكيل أول مقر رئيسي للحركة في لندن.

مراتب ودرجات الماسونية

في الماسونية ثلاث مراتب، وصعود السلم طقس يستعمل في مراسيم وصول الماسوني إلى مرتبة أهل الصنعة. وهي كالتالي:

1 ـ مرتبة المبتدئ Entered Apprentice Degree:

يجب على المبتدئ حسب المبادئ العامة للماسونية أن يجد طريقه إلى أبواب الماسونية بنفسه، وبداية هذا الطريق هو بداية إدراك الفرد لماهية الحياة، ويجب عليه عند أدائه قسم العضوية أن يلبس رداءً خاصاً يزوّده المقر به. وحسب الماسونيين فإن الطقوس التي يصفها البعض بالمرعبة ما هي إلا رموز استخدمها أوائل الماسونيين حيث كان الإنسان القديم يؤمن أن روح الإنسان تهبط من أجواء كونية قبل استقرارها في جسد الإنسان عند الولادة. وحسب المعتقدات القديمة فإن ذلك الروح تتحلى بصفات ذلك الفضاء الكوني الخاص الذي مر به الروح أثناء رحلته إلى الجسد. ويفسِّر الماسونيون وضع عصابة على عيون المبتدئ أثناء أدائه القسم كونه رمزاً إلى الجهل أو الظلام الذي كان فيه الشخص قبل اكتشافه لحقيقة نفسه عن طريق الماسونية، وأن هذه العصابة ستُزال عندما يصبح المبتدئ الذي يؤدي القسم مستعداً لاستقبال الضياء. وبالنسبة للحبل المستخدم أثناء تأدية قَسَم العضوية، فيفسرها الماسونيون كرمز للحبل السري الذي يُعتبر ضرورياً لبدء الحياة ولكنها تقطع أو تستبدل بعد القسم بمفاهيم الحب، والعناية التي تعتبر ضرورية لإدامة الحياة. تبدأ بعد ذلك عملية الطواف حول الهيكل باتجاه عقرب الساعة، والذي يعتبره الماسونيون رمزاً لحركة الشمس، وأثناء الطواف يدرك المبتدئ النظام الكوني. وبعد الطواف حول الهيكل يقوم المبتدئ بالسجود للهيكل، وهذا الهيكل ـ حسب المفهوم الماسوني ـ هو رمز لنقطة التقاء

الشخص مع الخالق بغض النظر عن الدين السماوي الذي يتبعه المبتدئ، ويقع هذا الهيكل في وسط المقر. تكون صلاحيات المبتدئ محدودة فلا يحق له مثلاً التصويت لقبول عضو جديد ولا يحق له تنظيم أعمال خيرية، ولكنه يستطيع حضور الاجتماعات والطقوس الجنائزية عند موت عضو ماسوني.

2 ـ مرتبة أهل الصنعة Fellowcraft Degree:

تمثل هذه المرحلة ـ حسب الفكر الماسوني ـ مرحلة البلوغ والمسؤولية في حياة الإنسان على الأرض. ويجب على العضو في هذه المرحلة أن يبني «صفاته الحسنة»، ويساهم في تحسين ظروف المجتمع الذي يعيش فيه. يُستخدم في مراسيم هذه المرتبة مواد للقياس كانت تُستعمل من قِبل البنّائين القدماء. ويجب على العضو أن يصعد سلّماً ينتهي إلى وسط الهيكل كرمز للصعود والتطور في فهم العضو لمبادئ الماسونية. في هذه المرتبة يتعرف العضو على التفاصيل الدقيقة لمعاني ورموز الطقوس المتبعة في الماسونية. من أهم الأدوات التي تستعمل في طقوس هذه المرتبة هي الزاوية القائمة التي ترمز ـ حسب معتقد الماسونيين ـ إلى الزاوية المطلوبة في بناء جدار على أساس قوي، وهناك في هذه المرحلة عمودين عند مدخل قبر رمزي لمعبد سليمان، ويعتقد البعض أن العمودين يمثلان السحاب والنار الذي ـ وحسب المعتقدات القديمة ـ استعملهما الخالق الأعظم لإرشاد بني إسرائيل إلى الطريق المؤدي إلى الأرض الموعودة.

3 ـ مرتبة الخبير Master Mason Degree:

وهي أعلى المراتب في الماسونية، وهناك مقرات تقبل فقط عضوية الماسونيين الواصلين إلى مرحلة الخبير. في هذه المرحلة ـ وحسب المعتقد الماسوني ـ يصل العضو إلى حالة توازن بين «العوامل الداخلية التي تحرك الإنسان» والجانب الروحي الذي يربطه بالخالق الأعظم. ومن الرموز المستخدمة في طقوس هذه المرتبة هي آلة البناء المسمى «المُسطرين» أو «المالج» والتي ترمز إلى ربط جميع مفاهيم الماسونية ونشر الحب الأخوي، ومن وجهة نظر الماسونيين، فإن طقوس هذه المرتبة فيها إشارة إلى الخبير في المعمار حيرام آبيف Hiram Abiff، والذي كان أحد البنائين الرئيسيين في مشروع بناء معبد القدس في عهد سليمان. ومن الرموز الأخرى في مراسيم هذه

المرحلة هو شعار الأسد الملكي الذي يرمز إلى قبائل بني إسرائيل القديمة. من مسؤوليات الخبير هو الاقتراع على قبول أعضاء جدد، والقيام بأعمال أو مشاريع خيرية، والبحث والتحري عن خلفية طالبي العضوية، ومسؤوليات مالية متفرقة.

يعتقد البعض أن هناك مراتب رقمية في الماسونية، وهذا الإدعاء يعتبره الماسونيون إدعاءً خاطئاً. على سبيل المثال يتَّبع المقر الأعظم في اسكتلندا نظاماً رقمياً، ومن أشهر هذه المراتب هي المرتبة 33، وهذا لا يعني أن هناك 32 مرتبة تحت هذه المرتبة، ولا تعني أيضاً أنها تصنيف آخر لمراتب الماسونية، فالماسونية لها 3 مراتب فقط. وتُعتبر المرتبة 33 كشهادة تقدير فخرية للأعمال المميزة التي قام بها شخص معين في خدمة الماسونية. وهناك أيضاً في النظام الماسوني الاسكتلندي مرتبة فخرية أخرى مشهورة ألا وهي المرتبة 14، ويرتدي هؤلاء عادة خواتم خاصة عند منحهم هذه الشهادات الفخرية، بينما يصر البعض أن هناك مراتب رقمية في الماسونية تبدأ من 1 وتنتهي بالمرتبة 33.

ـ الهيكل التنظيمي:

هناك العديد من المحافل والهيئات الإدارية والتنظيمية لمنظمة الماسونية في بلدان عديدة من العالم، ولا يعرف على وجه الدقة مدى ارتباط هذه الفروع مع بعضها، وفي ما إذا كان هناك محفلاً رئيسياً لجميع الماسونيين في العالم. وهناك اعتقاد أن معظم الفروع هي تحت إشراف ما يسمى المحفل الأعظم الذي تم تأسيسه عام 1717 في بريطانيا، ويطلق على رئيس هذا المحفل تسمية الخبير الأعظم Grand Master وهذا المحفل شبيه إلى درجة كبيرة بحكومة مدنية. وهناك محافل أخرى تطلق على نفسها تسمية «المحفل الأعظم»، ويمكن أن يحظّر اجتماعات محفل أعظم معين أعضاء ينتمون إلى محفل أعظم آخر شرط أن يكون هناك اعتراف متبادل بين المحفلين الأعظمين، وإذا لم يتوفر هذا الشرط لا يسمح لأعضاء محفل معين بأن تطأ أقدامهم أرض المحفل الأعظم الآخر.

يوجد في المملكة المتحدة محفل أعظم في لندن وأيرلندا واسكتلندا، وهناك العديد من المحافل في كل دولة أوروبية، وفي الولايات المتحدة يوجد محفل أعظم في كل ولاية. هناك منظمات تقبل عضوية الخبراء فقط مثل منظمة «Scottish Rite» التي لها محافل رئيسية لا تطلق عليها تسمية المحفل الأعظم. وبصورة مختصرة هناك مؤشرات

إلى انعدام المركزية بين هذه المحافل، ولكن البعض يعتقد أن هناك ترابطاً واتصالاً عميقاً بين تلك الفروع. ويُعتبر المحفل الأعظم في بريطانيا الذي تأسس عام 1717 الأقدم ثم تلاه المحفل الأعظم في فرنسا عام 1728. وكل هذه المحافل العظمى نشأت من اتحاد فروع أصغر. في معظم دول أميركا اللاتينية وفي بلجيكا يتم اعتبار المحفل الأعظم في فرنسا كهيئة إدارية عليا، أما بقية الفروع في العالم فتعتبر المحفل الأعظم في بريطانيا كمرجع أعلى لها. في الولايات المتحدة بدأت المحافل العظمى في كل ولاية بالاعتراف ببعضها البعض، وتُعتبر المحافل الكبرى في الولايات المتحدة في حالة تناسق مع المحفل الأعظم في بريطانيا.

ـ مقرات دولية:

إن افتتاح أي مقر جديد يجب أن يكون بإشراف وبموافقة المحفل الأعظم، ويحق للماسوني الحاصل على مرتبة الخبير Master أن يزور أي محفل. ويعترض الماسونيون على استعمال كلمة «مقر» ويفضلون تسمية «معبد الفلسفة والفن». واستناداً إلى معتقد الماسونيين، فإن تلك المحافل أو أماكن التجمع تم بناؤها من قبل الماسونيين الأوائل بالقرب من أمكنة عملهم في مشاريعهم البنائية، واستناداً إلى نفس المعتقد فإن كلمة الأحرار أُضيفت إلى الماسون أو البنائين لأنهم كانوا بنائين أو مهندسين في حالة استراحة أو حرية من العمل، وكانوا يتجمعون في تلك الأماكن للراحة والتشاور. وهنا نذكر أسماء الدول والمدن التي يوجد فيها محافل عظمى:

أفريقيا: بنن، بوركينا فاسو، غابون، غينيا، ساحل العاج، ليبيريا، مدغشقر، سنغال، جنوب أفريقيا.

آسيا: الصين، الهند، إسرائيل، اليابان، كوريا الجنوبية، الفيليبين، تركيا، لبنان. كما كان يوجد عدة محافل ماسونية في العراق مثل محفل بغداد ومحفل البصرة.

منطقة المحيطات: أستراليا، نيوزيلندا.

أميركا اللاتينية: جزر البهاما، كوبا، جمهورية الدومنيك، بورتو ريكو، كوستاريكا، السلفادور، المكسيك، بنما، غواتيمالا.

أوروبا: إنجلترا، أيرلندا، اسكتلندا، النمسا، التشيك، ألمانيا، المجر، سلوفينيا، سويسرا، بلغاريا، بولندا، روسيا، فنلندا، أيسلندا، لاتفيا، لتوانيا، هولندا، النرويج،

السويد، كرواتيا، بلجيكا، فرنسا، لوكسمبورغ، البرتغال، إسبانيا، مالطا، يوغوسلافيا، اليونان، إيطاليا، الدانمارك.

أميركا الشمالية: كندا (في 10 مقاطعات كندية)، جميع الولايات المتحدة الأميركية.

أمريكا الجنوبية: البرازيل، كولومبيا، الأرجنتين، شيلي، إكوادور، باراغواي، بيرو، أوروغواي، بوليفيا، فنزويلا.

ـ المبادئ والطقوس:

يصف الماسونيون حركتهم بمجموعة من العقائد الأخلاقية مثل الحب الأخوي، والحقيقة والحرية والمساواة. واستناداً إلى الماسونيين فإن تطبيق هذه المبادئ يتم على شكل طقوس يتدرج فيها العضو من مرتبة مبتدئ إلى مرتبة خبير، ويتم التدرج في المراتب اعتماداً على قدرة العضو على إدراك حقيقة نفسه والعالم المحيط به وعلاقته بالخالق الأعظم الذي يؤمن به بغض النظر عن الدين الذي يؤمن به العضو.

هناك الكثير من الغموض حول رموز وطقوس وتعاملات الماسونية. وفي السنوات الأخيرة أدرك قادة الماسونية أن كل هذا الغموض ليس في صالح الماسونية، وأن السرية التي كانت ضرورية في بدايات الحركة قد تم استعمالها لنشر الكثير من نظريات المؤامرة حول الحركة، فقامت الحركة بدعوة الصحافة والتلفزيون للإطلاع على بعض الأمور المُتحفية، وتصوير بعض الجلسات، ولكن لم يسمح لوسائل الإعلام بتصوير أو مشاهدة جلسات اعتماد الأعضاء.

واستناداً إلى الماسونيين، الطقوس المستعملة والتي يصفها البعض بالمرعبة ما هي إلا رموز استعملها البناؤون الأوائل في القرون الوسطى ولها علاقة بفن العمارة والهندسة. تُعتبر الزاوية القائمة والفرجار من أهم رموز الماسونية، وهذا الرمز موجود في جميع مقرات الماسونية إلى جانب الكتاب المقدس الذي يتبعه ذلك المقر. وعند اعتماد عضو جديد يعطى له الحق باختيار أي كتاب سماوي يعتبره ذلك الشخص مقدساً.

يستخدم الماسونيون بعض الإشارات السرية ليتعرف بواسطتها عضو في المنظمة إلى عضو آخر، وتختلف هذه الإشارات من محفل إلى آخر. وفي السنوات الأخيرة

قامت «قناة الجزيرة» الفضائية، وفي أحد برامجها بتقديم مشاهد تمثيلية فيها اعتماد محاكاة لطقوس عضو جديد في الماسونية زعمت القناة أنها مستندة إلى مصادر موثوقة داخل المنظمة الماسونية، وفي هذه المشاهد يمكن مشاهدة من تم وصفه من قبل القناة «الرئيس الأعظم» يطلب من العضو الجديد أن يركع على ركبتيه ويردد «الرئيس الأعظم» هذه العبارات:

«أيها الإله القادر على كل شيء، القاهر فوق عباده، أنْعِم علينا بعنايتك، وتجلَّ على هذه الحضرة، ووفق عبدك ـ هذا الطالب ـ الدخول في عشيرة البنائين الأحرار، إلى صرف حياته في طاعتك، ليكون لنا أخاً مخلصاً حقيقياً.. آمين».

وبعد مجموعة من التعهدات بحضور الاجتماعات والحفاظ على سرية الحركة ـ وحسب قناة «الجزيرة» الفضائية ـ فإن «الرئيس الأعظم» يتفوه بهذه الكلمات:

«إذن فلتركع على ركبتك اليسرى، قدمك اليمنى تشكل مربعاً، أعطني يدك اليمنى، فيما تمسكُ يدك اليسرى بهذا الفرجار، وتوجه سنانه نحو ثديك الأيسر العاري وردد ورائي: يا رب كن مُعيني، وامنحني الثبات على هذا القسم العظيم».

وبعد أداء القسم يطلب «الرئيس الأعظم» من العضو تقبيل الكتاب السماوي الذي يعتبره العضو مقدساً ويقوم «الرئيس الأعظم» بتهديد العضو بأنه «سوف يتعرض للطعن أو الشنق إذا ما حاول الهرب من صفوف المنظمة». ومن الجدير ذكره أن الماسونية تعتبر ما قامت به قناة الجزيرة جزءاً من ما وصفته بحملة منظمة لتشويه صورة الماسونية.

ـ الماسونية والدين:

تعتبر الماسونية نفسها ديانة أو معتقداً بديلاً للدين، وتعتبر الماسونية نظرتها عن فكرة الخالق الأعظم مطابقة للأديان السماوية الموحدة الرئيسية. وحسب الفكر الماسوني، يعتبر العضو حراً في اختيار العقيدة التي يراها مناسبة له للإيمان بفكرة الخالق الأعظم بغض النظر عن المسميات أو الدين الذي يؤمن به الفرد، وقد تم قبول أعضاء حتى من خارج الديانات التي تعتبر ديانات توحيدية مثل البوذية والهندوسية.

يصر الماسونيون أنهم لا يقبلون بعضوية أشخاص ارتدّوا عن دين معين، ولا تشجع المنتسبين إليهم على اتباع دين معين. ولا يوجد في الماسونية مفهوم طريق النجاة أو الخلاص الموجودة في بعض الديانات. وينتقد البعض استعمال الماسونيين كلمة

«Worshipful» عند مخاطبتهم ماسوني يحمل مرتبة الخبير، وهذه الكلمة يمكن ترجمتها حرفياً إلى «المعبود»، ولكن الماسونيين يؤكدون أن استعمال هذا اللقب يرجع أصوله إلى اللغة الإنجليزية القديمة والتي كانت تستعمل تلك الكلمة للاحترام وبمعنى «حضرتكم». وهناك البعض ممن يتهم الماسونية بأنها من محاربي الفكر الديني وناشري الفكر العلماني، ولكن الدستور أو القوانين الأساسية للماسونية التي تم طبعها عام 1723 يقول نصاً واضحاً إن الماسوني لا يمكن أبداً أن يكون «ملحداً أحمقاً» إذا توصل لفهم الصنعة. ولا يوجد في الدستور عبارة تقول بالتحديد إنه لا يمكن قبول الملحد كعضو جديد. وهذا الجدل تمت إثارته عام 1877 في فرنسا عندما قام المحفل الفرنسي بمسح هذه العبارة من الدستور، وبدأ بقبول الملحدين في صفوفه وتلاه بهذا المنحى الفرع السويسري، وخلق هذا نوعاً من الانقسام بين الفرعين البريطاني والفرنسي. ولكن، وفي 13 تشرين الأول/أكتوبر 1889 صرح أحد كبار الماسونيين في أريزونا في الولايات المتحدة بأن العضو يمكن أن يؤمن بمفاهيم متعددة للخالق الأعظم ولا ضير في مفهوم أن الخالق الأعظم عبارة عن فكرة أو مفهوم ذات مستوى عالي يكوّنه الإنسان لنفسه.

ـ الماسونية والمرأة:

تُعتبر الماسونية بصورة عامة منظمة أخوية، ولم يسمح للسيدات بالانضمام إلى التيار في الماسونية القديمة إلا في حالات نادرة ومنها على سبيل المثال قبول عضوية السيدة إليزابيث أولدورث (1639 ـ 1773)، وهناك مصادر تؤكد أن هذه السيدة شاهدت عن طريق الصدفة من خلال ثقب في الباب الطقوس الكاملة لاعتماد عضو جديد، وعندما تم اكتشاف أمرها تم القرار بضمها إلى المنظمة للحفاظ على السرية. وفي العام 1882 بدأ الفرع في فرنسا بقبول السيدات. وفي العام 1903 بدأت الفروع الماسونية في الولايات المتحدة بقبول السيدات في صفوفها. وبحلول العام 1922 كان هناك 450 محفلاً للسيدات الماسونيات في العالم.

ـ نظرية المؤامرة:

يعتبر البعض من المناهضين للماسونية أن المنظمة في حقيقتها عبارة عن منظمة سياسية واقتصادية عملاقة، هدفها الرئيسي هو الهيمنة على العالم عن طريق السيطرة

على وسائل الإعلام والاقتصاد العالمي، والتغلغل في صفوف الكنيسة الكاثوليكية. وحسب الموسوعة الكاثوليكية الحديثة فإن طوائف مثل شهود يهوه والمورمن وتيارات مثل الشيوعية والاشتراكية والثورة الفرنسية وحركة مصطفى كمال أتاتورك ما هي إلا تيارات تفرعت عن الماسونية، وتعتبر الموسوعة التيار الذي يقبل بالشذوذ الجنسي بين كبار منتسبي الكنيسة «صنيعة ماسونية»، ويعتبر البعض قيام الماسونية بنشر فكرة أن الخلاص أو النجاة بالمفهوم الديني يمكن تحقيقه من خلال أعمال الفرد الحسنة فقط تعتبر إنكاراً لجميع عقائد الديانات التوحيدية التي لها شروط أخرى للخلاص أكثر تعقيداً من مجرد كون الشخص يقوم بأعمال جيدة. وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام 1983 صرح البابا يوحنا بولس الثاني نصاً يقول فيه: «لا يمكن أن تكون كاثوليكياً وماسونياً في نفس الوقت». ويعتبر البعض أن أقوى دولة علمانية وهي الولايات المتحدة مبنية أساساً على المفاهيم الماسونية، إذ كان 13 ممن وقعوا على دستور الولايات المتحدة و16 من رؤساء هذه الدولة ماسونيين، ومنهم جورج واشنطن وبنجامين فرانكلين. وحسب الدكتور أسعد السحمراني أستاذ الفلسفة في جامعة بيروت فإن الشاعر إبراهيم اليازجي الذي كان ماسونياً من لبنان قد كتب القصيدة التالية في أواخر القرن العشرين:

الخير كل الخير في هدم الجوامع والكنائس

والشر كل الشر ما بين العمائم والقلانس

ما هم رجال الله فيكم، بل هم القوم الأبالس

يمشون بين ظهوركم تحت القلانس والطيالس.

في العام 1979 أصدرت جامعة الدول العربية القرار رقم 2309 والذي نصَّ على «اعتبار الحركة الماسونية حركة صهيونية، لأنها تعمل بإيحاء منها لتدعيم أباطيل الصهيونية وأهدافها، كما أنها تساعد على تدفق الأموال على إسرائيل من أعضائها، الأمر الذي يدعم اقتصادها ومجهودها الحربي ضد الدول العربية». وفي 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1984 أصدر الأزهر فتوى كان نصّها: «إن المسلم لا يمكن أن يكون ماسونياً لأن ارتباطه بالماسونية انسلاخ تدريجي عن شعائر دينه ينتهي بصاحبه إلى الارتداد التام عن دين الله».

ـ أبرز الشخصيات:

لا يوجد أي إثبات لعضوية شخص للماسونية ما لم يتم الإعلان عنه في بعض المحافل ويرى الدكتور أسعد السحمراني أن الهدف دعائي.

ـ حركة القوة الخفية:

المؤسسون التسعة في سنة 43م وهم من اليهود الفريسيين[1].

1 ـ الملك ماركوس يوليوس أغريبا Marcus Julius Agrippa والملقَّب بهيرود آغريبا Herod Agrippa.

2 ـ حيرام أبيود Hiram Abiud، وهو مستشار الملك أغريبا ومقترح إسم القوة الخفية، ويعتقد أنه هو صاحب فكرة القوة الخفية وليس الإسم فقط.

3 ـ موآب ليفي Moab Levy، وهو الشخص الثالث من الذين اقترحوا تكوين الحركة.

4 ـ آدونيرام إبن أبدا Adoniram son of Abda، وكان المسؤول عن الضرائب[2]، وقد قتله الإسرائيليون رجماً بالحجارة في مملكة إسرائيل فوضعه الملك ريهوبوام Rehoboam على العربة وهرب به بسرعة إلى مملكة يهوذا[3].

5 ـ جوهانان Johanan.

6 ـ يعقوب آبدون Jacob Abdon.

7 ـ آنتيباس Antipas.

8 ـ سولومون آبيرون Solomon Aberon.

9 ـ آشاد آبيا Ashad Abia.

ـ نشطاء الحركة:

آدم وايزهاويت توفي عام 1830م، ويُعدّ من مؤسسي المرحلة الثانية.

---

(1) «محافظ الغامضين أثناء السنوات الـ5000 الماضية». مايكل هاوارد.
(2) «إنجيل الملك جايمز»، 1 ـ 4 ـ 5 ـ 6 ـ 14.
(3) المرجع نفسه، ص 1 ـ 12 ـ 18.

ومن أهم النشطاء في بريطانيا الملك جورج السادس، الملك إدوارد السابع، الملك إدوارد الثامن، ونستون تشرشل.

ومن رؤساء الولايات المتحدة الأميركية، جيرالد فورد، جيمس غارفيلد، وورين هاردينغ، أندرو جاكسون، وليام ماكينلي، جيمس مونرو، جيمس بولك، فرانكلين روزفلت، تيودور روزفلت، وليام هاوارد تافت، هاري ترومان، جورج واشنطن، جيمس بوكانان، جورج بوش الأب.

أما رؤساء وزراء كندا فنذكر منهم: روبرت بوردون، جون ماكدونالد.

ومن الإتحاد السوفياتي كارل ماركس.

ـ الأدباء والفنانون:

فرانسيس اسكوت كي (مؤلف النشيد الوطني الأميركي)، ولفغانغ موتزارت (موسيقي كلاسيكي نمساوي)، روبرت بيرنز (شاعر اسكتلندا الوطني)، مارك توين (كاتب أميركي)، آرثر دويل (مؤلف شارلوك هولمز /بريطاني)، أليكساندر بوشكين(شاعر روسي)، فولتير (الفيلسوف الفرنسي الشهير)، أوسكار وايلد (شاعر أيرلندي)، جون سميث (ملحن النشيد الوطني الأميركي)، بيتر سيلرز (نجم هوليوودي)، كلارك غيبل (ممثل أميركي)، بوب هوب (ممثل كوميدي أميركي).

ـ المشاهير:

سيمون بوليفار (قائد ثوري فنزويلي)، كازانوفا (العاشق الإيطالي الشهير)، أندريه سيتروين (مخترع سيارات سيتروين)، إدوين دريك (صناعة النفط)، هنري جون دونانت (مؤسس الصليب الأحمر/ سويسري)، أليكساندر فليمنغ (مخترع البنسلين /بريطاني)، بنجامين فرنكلين (أحد الموقعين على الدستور الأميركي)، كينغ جيليت (شركة جيليت)، إغناس جوزيف غيوتين (مخترع المقصلة)، تشارلز هيلتون(فنادق هيلتون)، إدغار هوفر (مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي)، ملفين جونز (مؤسس أندية ليونز)، توماس ليبتون (شاي ليبتون).

الماسونية
بلسان أبنائها

ـ أبناء الأرملة:

ويصبح التكرار مملاً في النهاية! والمصيبة دائماً هي أن أصحابه، الناطقين بما قد يبدو وكأنه لسان حال «الجماعة» ـ أية جماعة ـ لا ينتبهون إلى هذه النقطة. لذلك تراهم يكتبون ويكتبون ويملؤون المنابر صياحاً، مهاجمين ذاك الذي يُفترَض أن يُجمِع «الكلُّ» على عدائه ـ ذلك «الرجيم» الذي يُفترَض أن نحمِّله، دائماً وأبداً، بإصرار قد يصل إلى حدِّ البلاهة، مسؤولية جميع مصائبنا؛ ما قد يدفع بنا، نحن القراء المساكين، إما إلى حال من اللامبالاة وعدم الاكتراث، كما هي اليوم حال معظم مثقفينا في دنيا العرب، و/أو إلى الخروج عن المألوف، والمخاطرة بسمعتنا، وربما حتى بأرواحنا، من خلال التعمق في البحث والتمحيص فيما قيل ويقال. الأمر الذي (قد) يوصلنا، بحكم «جهالتنا المستحكمة»، النابعة من «طبيعتنا الإنسانية الفاسدة»، إلى نتائج قد تكون مغايرة لتلك التي توصَّل إليها أولئك «العلماء الأفاضل»! وأحلم أنْ ربما كانت هذه غاية البعض منهم في الحقيقة ـ ومنذ البداية...

ويقول الكاتب الكبير أكرم إنطاكي في دراسته المعمقة عن الماسونية: «لقد كان من أوائل «شياطين الفكر» التي قابلتُها في حياتي، ذلك الذي واجهتُه أيام شبابي، في أواخر الخمسينات من القرن الماضي. حينئذ كانت الوحدة مع مصر. وكنت، كمعظم أبناء بلدي، متحمِّساً جداً لتلك «التجربة الرائدة»، ومعجباً، بصفة خاصة، بقائدها السيد الرئيس جمال عبد الناصر، رحمه الله. ولكني أتذكر جيداً أيضاً أنه، حينئذٍ، كانت جميع وسائل إعلامنا تهاجم، صباحاً ومساءً فقط، وبإصرار، «شيطاناً رجيماً» سُمِّيَ آنذاك بـ «الشيوعية» التي كانت تربطها، إلى حدٍّ ما، بالصهيونية ـ تلك «الشيوعية» التي

كان يهاجمها الغرب أيضاً، وعلى رأسه أميركا، كما كان يهاجمها حتى إسرائيل ـ «عدونا اللدود». ولكن، حينئذٍ أيضاً ـ وكانت بدأت تتسع، إلى حدٍّ ما، دائرة قراءاتي، وكنت قرأت لروسُّو عن مفهوم العدالة الاجتماعية ـ، كان أستاذٌ وكاهنٌ من مدرستي يلفتان انتباهي إلى الضرورات الأخلاقية لتحقُّق مفاهيم تلك العدالة في عالمنا الحقير هذا؛ أي إلى ما كان يدعى أيضاً، وإنْ من منظورهما، «شيوعية». وكانت نتيجة تعمقي النسبي في دراسة هذا الموضوع، والتقصِّي حوله بعقل وحماس شابٍّ كان حينئذٍ في مقتبل العمر، أني أصبحت شيوعيّاً، وأني بقيت على هذه «الحال التعيسة»، بهذا الشكل أو ذاك، ما يناهز العشرين عاماً. وأعترف هنا، للمناسبة، أني مازلت إلى اليوم ـ لسذاجتي ـ متأثراً، إن لم أقل مقتنعاً، بأحد أهمِّ قيمها الإنسانية الخالدة التي هي... **«العدالة»**.

وكان من أواخر «شياطين الفكر» التي واجهتُها، بدءاً من أواسط الثمانينات من القرن الماضي، يدعى هذه المرة بـ «الماسونية» ـ تلك التي يجمعون عندنا اليوم أيضاً على ربطها بالصهيونية ـ التي يحمِّلونها مسؤولية كلِّ «المؤامرات» التي حيكت وتحاك ضدنا و/أو جميع المصائب التي حلَّتْ وما زالت تحلُّ بنا. وكان أيضاً ـ وإن كان الأمر هذه المرة لأسباب مختلفة، قد يكون بعضها، ربما، عشقي لموسيقى موتسارت و/أو حبي لفولتير و/أو لليو تولستوي، الذين كانوا ماسونيين كباراً في زمن لم تكن هناك حركة صهيونية بعد! و/أو ربما حبِّي واحترامي لعبد القادر الجزائري، الذي كان من مريدي الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، و/أو لجمال الدين الأفغاني و/أو لمحمد عبده و/أو لعبد الرحمن الكواكبي، الذي كان قريبي، الأديب والصحفي عبد المسيح الأنطاكي، من أتباعه، والذين كانوا جميعاً أيضاً، كما يقال، من «الفرمسون»، والذين لم يكونوا قطعاً سُذَّجاً و/أو مخدوعين، كما لم يكونوا قطعاً صهاينة و/أو مؤيِّدين للصهيونية ـ أن دُفِعْتُ للخروج عن المألوف والمتعارَف عليه المفترَض اليوم، وإلى المزيد من التقصِّي حول هذه الظاهرة المثيرة التي انكببتُ سنواتٍ على دراستها بما أتيح لي من إمكانات».

من هم أبناء الأرملة:

الذي نرى، قبل الغوص فيه، ضرورة التأكيد على أن مرجعيَّاتنا الأساسية، ضمن سياق هذا البحث، ستعتمد إجمالاً وبشكلٍ عام ـ لكن طبعاً بعد التدقيق والتمحيص ـ

على ما يقوله أصحاب العلاقة عن أنفسهم أولاً، وأيضاً وثانياً على ما يقوله عنهم «خصومُهم» و/أو، بطبيعة الحال وخاصةً، كتّاب «محايدون». . .

لأن تعبير أبناء الأرملة ـ الذي يُستعمَل عادةً للدلالة على «الفرمسون» ـ قد يبدو، بادئ ذي بدء، غامضاً بعض الشيء، ويستحق القليل من الشرح لمن ليست لديه فكرة عن الموضوع. . . حيث يقول الماسوني بيريغو Perigou[1] «. . .بوسعنا القول إن الفرمسون هم أبناء الأرملة بمعنى أنهم أبناء الطبيعة العذراء دائماً والمتجددة أبداً. . .». أما الماسونية جيدالج Gédalge[2] فتقول إنه «. . .تُطلَق هذه التسمية على الفرمسون للتذكير بالأرملة التي كانت أمَّ المهندس المعمار حيرام؛ وأيضاً، بإيزيس، «الأرملة الكبرى» لأوزيريس، من خلال بحثها عن أعضاء زوجها المتناثرة. فكلتاهما يمكن اعتبارهما أمّاً للماسون الذين انطلقوا للبحث عن جسد معلّمهم حيرام بعد أن اغتاله ثلاثة من رفاق السوء، وما يرمزون إليه من سيئات مدمرة للإنسان هي الجمود والحسّية والغرور. . .». أما الماسوني راغون Ragon[3] فيقول إنه «. . . في شهر كانون الأول /ديسمبر، حين يبدو وكأن شمس الشتاء على وشك أن تغادر أحوالنا المناخية، لتسود في ما نعرفه بنصف الكرة الجنوبي، تظهر الطبيعة وكأنها قد ترمّلت من زوجها الذي يخصبها كلَّ سنة بمحبته ـ الأمر الذي يُحزِن أبناءها. لذلك فإن الفرمسون، كتلاميذ للطبيعة، يعيدون تكرار هذه الأقصوصة الجميلة، ويسمون أنفسهم بـ «أبناء الأرملة» (أو أبناء الطبيعة). . .». ويتوسع راغون قائلاً إنه «. . . بوسعنا أن نستنتج من هذا التفسير أن حيرام، كمهندس ومعمار لهيكل سليمان، وكبطل للأسطورة الماسونية، هو، من خلال رمزه، أوزيريس (أو الشمس)؛ بينما أرملته، التي هي إيزيس (أو الطبيعة)، هي المحفل الذي يرمز في الوقت نفسه إلى الأرض. أما حورص، الذي هو ابن أوزيريس، أو ابن الأرملة، فهو الماسوني الساكن في المحفل الأرضي. . .». وهذا ما يؤكده أخيراً المعلم والباحث الماسوني الكبير أوزفالد فيرث[4] Oswald Wirth حين يقول «. . . إن الأرملة التي يدّعي الماسون أنهم أبناؤها هي إيزيس، رمز الطبيعة، والأم

---

(1) - «Annales Maçonniques». Universelles, mars-avril, 1933.

(2) - «Dictionnaire Rhéa», art. «Veuve».

(3) - Rituel du grade de Maître, p. 20-21.

(4) - «La Franc-maçonnerie rendue Intelligible à ses adeptes», III. LE MAÎTRE.

الكلّية، التي هي، في الوقت نفسه، أمُّ أوزيريس، الإله الخفي وموقد الذكاء...».

ونجد أنفسنا منذ البداية... أمام أسطورة جميلة تتحدث عن معلم بنَّاء أو عن ملك كان يدعى حيرام ـ ورد اسمه في كتاب «العهد القديم» أو «التوراة»، حيث جاء، مثلاً، أنه «... أرسل الملك سليمان فأخذ حيرام من صور وهو ابن أرملة من سبط نفتالي وأبوه رجل من صور صانع نحاس وكان ممتلئاً حكمة وفهماً ومعرفة في عمل كلّ صنعة من النحاس فوفد على الملك سليمان وعمل كلَّ صنعته...»[1] وكان، كما يقال، البنَّاء الحقيقي لهيكل سليمان قبل أن يقتله رفاق سوء حاولوا أن ينتزعوا منه «الأسرار المقدسة لمرتبته المهنية الأعلى».

ونجد أنفسنا، بالتالي، من خلال هذه الأسطورة، أمام أسطورة أخرى هي الأساسية والأجمل في الديانة المصرية القديمة، ألا وهي أسطورة الخليقة ـ وأقصد هنا، أسطورة إيزيس وأوزيريس. لكننا إن عدنا إلى التسمية أو اللقب الذي هو Free-Mason (بالإنكليزية) أو Franc-maçon (بالفرنسية)، الذي تعني ترجمته الحرفية إلى العربية البنَّاء ـ الحر، فإن الواقع الفعلي والتاريخ الملموس يعيدنا إلى أصول أكثر واقعية (وربما إلى حدٍّ ما أكثر تواضعاً)، ألا وهي تجمعات البنَّائين، وخاصة منهم بنَّائي الكاتدرائيات في العصر الوسيط، أولئك الذين كانت لهم طقوسهم وتقاليدهم المتشابهة في معظم البلدان، والذين كانوا «أحراراً»، بمعنى أنهم لم يكونوا في ذلك الحين عبيداً أو أقناناً؛ ومن هنا جاءت تسميتهم بـ «البنَّائين الأحرار»... أولئك الذين تشهد بعض الوثائق أنهم بدأوا، منذ نهايات القرن السابع عشر أو أوائل القرن الثامن عشر، بالقبول في تجمعاتهم، على أساس فكري و/أو فلسفي و/أو ربما من منطلق نفعي و/أو ذرائعي، أفراداً لا علاقة لهم عملياً بمهنة البناء الأصلية، كما يشهد على ذلك، مثلاً، التعميم الصادر عام 1703 عن «المحفل الإنكليزي للقديس بولس» (حالياً محفل Antiquity № 2)[2]، حيث جاء أنه: «... لن تكون الامتيازات الماسونية، من الآن فصاعداً، ملكاً حصرياً للبنَّائين العمليين، إنما ستمتد لتشمل رجالاً من مختلف

(1) العهد القديم، سفر الملوك الثالث 7: 13 ـ 14.

(2) - The privileges of Masonry shall no longer be restricted to operative masons, but extend to men of various professions, provided they are regularly approved and initiated into the order». (Preston, Illustrations of Masonry).

الاختصاصات شريطة أن تتمَّ مسارَرَتهم وقبولهم في الطريقة بشكل نظامي. . .»، مشيرين هنا إلى أن تجمعات معلِّمي الكار هذه، التي تعود من حيث أصولها إلى بدايات الحضارة الإنسانية، أي إلى بنَّائي الأهرامات في مصر القديمة و/أو إلى بنَّائي تلك المنشآت المدنية الرائعة، من أبنية وجسور وطرق ومنشآت ريٍّ ومسارح في العصر الروماني و/أو إلى بنائي قلاع وقصور وكاتدرائيات العصر الوسيط، ما زالت موجودة إلى يومنا هذا في مختلف أقطار أوروبا وفي معظم بلدان العالم.

لذلك فإننا حين نتمعَّن في بدايات الماسونية التأملية[1] الحديثة لا بدَّ أن نأخذ بعين الاعتبار ما قاله أوزفالد فيرث[2] بهذا الخصوص من أنه: «. . . تُعتبَر بعض الأفكار عامل جذب يجمع بين أفراد منعزلين وتصبح، بالتالي، محوراً لتجمعهم. لأن أيَّ تجمع لا يتشكل لمجرد توفُّر جماعة قد تفتقد أول ما تفتقد إلى التوازن أو التجانس. فالتجمع يحتاج حتماً، كي يتحول من مجرد جمع لأشخاص معينين إلى كلٍّ متجانس، إلى قانون عضوي تستند إليه حياة الجماعة التي يضمها. لأن كلَّ تجمُّع بحاجة إلى فكرة؛ وهذه يجب أن نميِّزها عن الشكل. فالفكرة، أو الروح، هي المولِّد المجرد والجامع؛ بينما الأم هي الشيء الملموس أو الشكل. وهذان العنصران اللذان يشكلان المبادئ الأولى للتنظيم الماسوني يتمثلان بعمودين يرمز أولهما، الذي يمثل العنصر المذكر ـ الفاعل، إلى ما يؤسِّس ويقيم؛ بينما يرمز الثاني، الذي يمثل العنصر المؤنث ـ المفعول، إلى ما يدعم ويحافظ. لذلك، واستناداً إليه، فإنه ليس بوسع المؤرِّخ المستنير بضوء الفلسفة إهمال هذين العاملين ـ الأمر الذي قد يوصله إلى نتيجة هامة مفادها أن سجلات مؤسَّستنا هي في الحقيقة أقدم بكثير من العام 1717 الذي هو عام ولادة الم. . . الح. . . الحديثة. . .».

لأن الأسطورة ـ وفي حالنا هذه تحديداً ـ هي المفتاح الأساسي لتفهم ما حصل وجاء بعدها، وخاصة أنه في 24 حزيران/يونيو 1717، حين اتحدت أربعة محافل لندنية هي «الإوزَّة والمشواة» The Goose and the Gridiron و«التاج» The Crown و«شجرة التفاح» The Apple Tree و«الطاس وعناقيد العنب» The Rummer and

(1) يُستعمَل تعبير ماسونية «تأملية» للتمييز بينها وبين الماسونية «العملية» التي كانت سائدة من قبل.

(2) - La Franc-maçonnerie rendue Intelligible à ses adeptes, I. L'APPRENTI.

Grapes فيما أسمته آنذاك «محفلاً أكبر»، فكان أول محفل أكبر تأملي من نوعه حتى ذلك الحين. وانتخبت أول «معلّم أعظم» لها، كان حينئذ أنتوني ساير، الذي تلاه في العام 1718 جورج باين، ثم جان تيوفيل ديساغولييه (الفرنسي الأصل)، لتعود الرئاسة من بعدُ إلى جورج باين، ثم دوق مونتاغو في العام 1721، الذي شهدتْ الماسونية الإنكليزية في عهده، وعلى يده، انتشاراً واسعاً.

وكان في 17 كانون الثاني 1723 إقرار دساتير أندرسُن، أو ما سُمِّيَ وعُرف بـ «دساتير الأخوية القديمة والمحترمة للبنّائين الأحرار والمقبولين»[1]، تلك القواعد التي أضحت، منذ ذلك الحين، ولم تزل تُعتبَر إلى اليوم، النصَّ الأساسي، إن لم نقل دستور الماسونية التأملية العاملة.

ثم انتشرت الماسونية بعد هذا انتشار النار في الهشيم في أوساط النخب الأوروبية المستنيرة، التوّاقة إلى التحرر الفكري والانعتاق من جور كنيسة تلك الأيام وجمودها؛ فتوالدت محافلها وتشعبت، فكانت محافل أخرى جديدة في إنكلترا واسكتلندا وإيرلندا. ثم انتقلت بعد هذا إلى القارة الأوروبية، ومنها إلى مختلف أصقاع المعمورة، ومن ضمنها طبعاً إلى بلداننا، حيث كانت الأرضية عامةً، وفي أوساط النخب المحلية خاصةً، مهيأة لاستقبالها، وهذا ما سنحاول تلمُّسه، قدر الإمكان، من خلال هذا البحث.

---

(1) - James Anderson, «The Book of Constitutions of the Freemasons, containing the history, charges and regulations of that most ancient and right worshipful fraternity».

موجز تاريخي

ونرى من الضروري هنا أيضاً التأكيد على ما قد يفاجئ القارئ، وأسميناه بـ «ماسونية» هذا الموجز التأريخي، ليس لأننا ماسون، الأمر الذي سبق وأكدنا على نفيه (أصدَّقتُم ما ندَّعيه بهذا الخصوص، أيها السادة، أم لم تصدِّقوا!)، إنما لأننا ارتأينا، لدواعي الدقة العلمية، من جهة، وتجنباً للوقوع في خطأ جسيم أضحى مع الأسف شائعاً جداً، من جهة أخرى، الفصل والتمييز بين ما يورده الماسون أنفسهم، على اختلاف توجهاتهم، من خلال أدبياتهم، كتأريخ رمزي وواقعي لحركتهم، وبين التاريخ (الفكري والسياسي) الإنساني العام، ومواقف الماسون خلاله، سواء كأفراد وتوجهات. ونبدأ من هنا، مؤكدين أيضاً على أنه... لما كان من المستحيل، ضمن إطار محاولة بحث محدودة ومتواضعة كهذه، الإحاطة بتاريخ قد تتطلب الإحاطة به الآلاف المؤلفة من الصفحات فإن ما سنستعرضه ونركز الضوء عليه هو مجرد نقاط استعلام أساسية، إن لم نقل بعض التواريخ الهامة التي قد توضح، إلى حدٍّ ما، كيفية تطور الماسونية وانتشارها في القارة الأوروبية، أولاً، وفي فرنسا ـ التي ارتأيناها مثلاً معبِّراً ومميَّزاً ـ من بعدُ تحديداً؛ ومن خلال كل هذا أيضاً، متابعة انتشارها في القارة الأميركية ثانياً. وفي مشرقنا العربي خاصةً...

ـ بعض التواريخ الأساسية المتعلقة بانتشار الماسونية أوروبياً وعالمياً:

ـ في 17 كانون الثاني/يناير عام 1723 كان إقرار كتاب الدساتير لجيمس أندرسُن.

ـ في 24 آذار/مارس عام 1924 شارك 12 محفلاً في انتخاب دوق مونتاغو رئيساً للمحفل الإنكليزي الأعظم.

ـ في العام 1728 تأسَّس المحفل الإنكليزي الأكبر لفرنسا، الذي تلاه من بعد عدداً من المحافل ذات التوجهات الإنكليزية. وقد استمرت الأوضاع على هذه الحال

(في فرنسا) حتى العام 1756، حين تحرر هذا المحفل (الفرنسي) مما افتُرِضَ بأنه «وصاية بريطانية»، فأصبح اسمه «المحفل الفرنسي الأكبر». أما «الشرق الفرنسي الأكبر» فقد ولد في العام 1773.

ـ في العام 1731 كان تشكيل أول محفل في الولايات المتحدة الذي هو المحفل الأكبر لبنسيلفانيا. ثم تلاه في العام 1732 المحفل الأكبر لفرجينيا. ثم في العام 1791، في بوسطن، كان إنشاء أول محفل للسود في أميركا «محفل أمير الغال».

ـ في العام 1737 كان الخطاب الشهير لأندريه ميشيل دُهْ رامسي الذي وضع أُسُس الإيكوسية (وما أضحى يعرف من بعده بـ «الدرجات العليا»).

ـ حوالى العام 1750 أسَّس «قبالي» من أصول برتغالية يدعى مارتينيز دي باسكوالي طقساً ماسونياً سِرَّانياً أسماه بـ «مصطفى كوهين»، الذي كان مقره مدينة بوردو الفرنسية. وكان أحد أبرز ممثلي هذا الاتجاه حينئذٍ فيلسوف مغمور يدعى لوي كلود دُهْ سان مارتان، الذي أضحى هذا الطقس من بعد يعرف باسمه، أي الطقس الـ«مارتيني».

ـ في العام 1751 حصل أول انشقاق هام في قلب الماسونية الإنكليزية، فيما عُرِف حينئذ بالخلاف بين الماسون «المحدثين» ـ الذين كانوا الأقدم والأكثر ليبرالية ـ والماسون «القدماء» ـ الذين كانوا الأحدث والأكثر محافظة ـ. ثم عادوا فاتحدوا عام 1813، ليشكلوا المحفل الأكبر البريطاني المتحد.

ـ في العام 1801 تأسَّس في تشارلستون في الولايات المتحدة أول مجلس أعلى عالمي للـ«طقس الإيكوسي (أو الاسكتلندي) القديم والمقبول»؛ ذلك الذي أسَّس بدوره في العام 1804 في باريس ثاني مجلس أعلى عالمي.

ـ في العام 1842 كان إنشاء أول محفل ماسوني خاص باليهود في الولايات المتحدة الأميركية. وقد أسمي هذا المحفل بالـ«بني بعريت» أو «أبناء العهد»[1]، الذي انتشر من بعدُ بين النخب اليهودية في أوروبا والذي يتبع الطقس الإيكوسي الممارَس في المحافل الإنكليزية أو شبيهه الطقس الأميركي المعروف بـ «الأود فيلووز».

ـ في العام 1875 انعقد في مدينة لوزان في سويسرا مؤتمر ماسوني دولي تم فيه

(1) قبل هذا التاريخ، بشكل عام، لم تكن الماسونية تقبل اليهود في صفوفها.

إقرار بيان وإعلان مبادئ. وكان أهم ما جاء فيه التأكيد على مفهوم «مهندس الكون الأعظم» الذي وُصِفَ حينئذٍ بالقوة العليا. ولكن...

- في العام 1877، وبحجة التمسك بالعلمانية، ألغى الشرق الأعظم الفرنسي من طقوسه الاستشهاد بمهندس الكون الأعظم، مما أدى حينئذٍ إلى انقطاع العلاقات بينه وبين المحفل الأعظم البريطاني المتحد. وأيضاً إلى...

- استقلال المحفل الفرنسي الأعظم في خريف العام 1895.

- في العام 1893 أسست السيدة ماريا دوميستر (التي نالت مسارَرتها في العام 1882 في محفل «المفكِّرين الأحرار» في بيك) أول توجُّه ماسوني مختلط (للرجال وللنساء)، أضحى يعرف فيما بعد بـ «الحق الإنساني»[1].

- في العام 1913 تأسَّس في فرنسا المحفل الأكبر المستقل والنظامي، الذي أضحى يُعرَف بالمحفل الوطني الفرنسي الأكبر. ومن هذا المحفل انبثق في العام 1935، «بالتبنِّي»، الاتحاد الماسوني النسائي الفرنسي، الذي تحول في العام 1952 إلى المحفل النسائي الفرنسي، منتقلاً بهذا من حالة «التبني» إلى حالة الإتباع المباشر للطريقة الإيكوسية القديمة والمقبولة.

ونستنتج مما سبق أول ما نستنتج أن للماسونية طقوسها وتوجهاتها المختلفة التي من الممكن - استناداً إلى مصادرها - تعدادها إجمالاً كما يلي:

1 - في المناحي أو التوجُّهات (الطقوس) الماسونية الرئيسية Obédiences[2].

- الطقس القديم والمعدَّل المتبع بشكل خاص في بلجيكا وهولندا؛ وهو قريب جداً من الطقس الحديث أو الفرنسي.

- الطقس الإنكليزي للماسون القدماء الأحرار والمقبولين الذي يتعاطى مع ما يعرف بماسونية القديس يوحنا، أي إضافةً للدرجات الثلاث الأول:

1 - مريد، 2 - رفيق، 3 - أستاذ. ماسونية الفلك الملكي، أي الدرجات، 4 - معلِّم مميَّز، 5 - معلِّم قديم، 6 - معلِّم ممتاز و7 - فلك ملكي، وهو الطقس الذي

---

(1) تقليدياً، لم تكن الماسونية تقبل النساء في صفوفها.

(2) - F. Clavel, Histoire de la Franc-Maçonnerie.

يُعَد، إلى جانب الطقس الإيكوسي، من الأكثر انتشاراً في إنكلترا وفي العالم.

ـ الطقس الانتقائي Maçonnerie éclectique الذي يتّبعه المحفل الأكبر لفرانكفورت على الماين؛ وهو يرفض جميع الدرجات العليا ولا يعتمد إلا الدرجات الثلاث الأساسية الأولى؛ وهو، من حيث طقوسه، قريب جداً من الماسونية الإنكليزية.

ـ الطقس الإيكوسي (أو الاسكتلندي) القديم والمقبول، ذلك الأكثر شهرة الذي يتبع جميع الدرجات الرمزية التي نعددها كما يلي: 1 ـ مريد، 2 ـ رفيق، 3 ـ أستاذ، 4 ـ أستاذ مكتوم، 5 ـ أستاذ كامل، 6 ـ أمين ثقة، 7 ـ قاض وحَكَم، 8 ـ مدير الأبنية، 9 ـ أستاذ مختار التسعة، 10 ـ أستاذ مختار الخمسة عشر، 11 ـ فارس أعلى منتخب (أو رئيس الأسباط الاثني عشر)، 12 ـ مهندس معلّم أعظم، 13 ـ الفلك الملكي، 14 ـ معلّم قديم كامل، 15 ـ فارس السيف، 16 ـ أمير بيت المقدس، 17 ـ فارس الشرق والغرب، 18 ـ الأمير الأعظم للصليب الوردي، 19 ـ الحبر العظم أو الإيكوسي الأعظم، 20 ـ معلّم أعظم محترم لجميع المحافل، 21 ـ فارس بروسي أو أستاذ أعظم لمفتاح الماسونية، 22 ـ الفأس الملكي أو أمير لبنان، 23 ـ رئيس المظلة، 24 ـ أمير المظلة، 25 ـ فارس الثعبان البرونزي، 26 ـ أمير الرحمة، 27 ـ القائد الأعلى للمعبد، 28 ـ فارس الشمس، 29 ـ الاسكتلندي الكبير للقديس أندراوس الإيكوسي، 30 ـ المنتخب الأعظم فارس قدوش، 31 ـ القائد المفتش المحقّق الأعظم، 32 ـ الأمير السامي للسرّ الملكي، 33 ـ المفتش العام الأكبر الأعظم.

ـ الطقس الإيكوسي (أو الاسكتلندي) الفلسفي: ويتبع، إضافة للدرجات الثلاث الأولى غير المعلنة التي تصله بالماسونية الدولية، ثلاث عشرة درجة عليا يسميها بتسميات خاصة ذات طابع رمزي.

ـ الطقس الإيكوسي (أو الاسكتلندي) البدائي: وهو متّبع في بلجيكا، ويتبع الدرجات العليا.

ـ طقس فسلر أو المحفل الأعظم ليورك الملكية: وكان يُتّبع في ألمانيا عامة حتى العام 1800 ويمارس 9 درجات.

ـ الطقس الفرنسي أو الحديث: ويمارس الدرجات الثلاث الأولى، إضافة إلى الدرجات الأربعة العليا التالية: 4 ـ المختار، 5 ـ الإيكوسي، 6 ـ فارس الشرق، 7 ـ الصليب+الوردة.

ـ طقس المحفل الأكبر ذو الكرات الثلاث: ويُتَّبَع في برلين.

ـ الطقس الهايتي (أو المارتيني).

ـ طقس هيريدوم أو طقس الكمال: ويتبع خمسة وعشرين درجة.

ـ طقس ممفيس ـ مصرايم: ويتبع سُلَّم درجات عليا يختلف من حيث الظاهر عن الدرجات الـ33 المتعارف عليها. وهي تصل إلى التسعين درجة بالنسبة للطقس الممفيسي القديم وإلى الـ99 بالنسبة لطقس ممفيس ـ مصرايم المتحد.

ـ الطقس أو النظام المعدل: ويتبع خمس درجات.

ـ طقس أو نظام شرودر: ويتبع الدرجات الثلاث الأولى وبعض الدرجات العليا التي تستند إلى الفلسفة أو إلى الثيوصوفيا.

ـ الطقس السويدي: ويتبع اثنتي عشرة درجة، على رأسها ملك السويد.

ـ طقس أو نظام سفيدنبرغ: ويتبع ست درجات.

ـ طقس الهيكل: وهو يشبه الطقس الفلسفي، ويتبع سبع درجات.

ـ طقس أو نظام زينندورف: ويتبع سبع درجات.

لكن المشكلة تبقى أن هذا الكلام، وبالتالي هذا التعداد، الذي، وإن كان يدل على وجود اختلافات «فعلية» في قلب الماسونية، إنما يبقى غريباً وغير مفهوم بالنسبة إلى أناسنا العاديين الذين قد يحتاجون إلى شرح أكثر تفصيلاً وأكثر بساطةً للأمور، بلغة يُفترَض أن تكون اليوم أكثر عصرية؛ الأمر الذي قد يستدعي من قبلنا إعادة المحاولة من جديد، من أجل مزيد من الشرح.

2 ـ المناحي والتوجُّهات الأساسية للماسونية المعاصرة

ونجد في محاولتنا الجديدة هذه لإعادة تعريف الماسونية، استناداً إلى ما يقوله أبناؤها عن أنفسهم، إنها، كما كان (ومازال) يُفترَض أن تكون، مجرد: «تنظيم مسارَري نقلي، يستند إلى مبادئ الأخوة، ويشكل اتحاداً بين بشر أحرار ذوي أخلاق حسنة من

كلِّ الأعراق والجنسيات والمعتقدات، ويعمل من أجل الإصلاح الأخلاقي للإنسانية. . .».

ونستزيد. . . لأننا، بعد أخذ العلم بأن في عالمنا اليوم (كما يقولون) ما يزيد عن الخمسة ملايين ماسوني، منتشرين في مختلف بلدان العالم، وملاحظة أن هؤلاء الذين كانت تفترض الأحوال (نظرياً) تبعيَّتهم لـ«محفل أكبر» واحد في كل بلد، هم، عملياً مشتتون، كما رأينا، بين مناحٍ وتوجهات مختلفة ـ اختلافات تعود في الحقيقة ربما إلى وجود على أرض الواقع، إن صح التعبير، دوائر نفوذ بوسعنا تقسيمها بشكل عام إلى:

ـ ماسونية ـ حرة أنكلوسكسونية التوجه (وتشكل 80% منها من حيث عدد الأعضاء).

ـ ماسونية ـ حرة أوروبية التوجُّه (تضم الباقين).

أما الماسونية الحرة التي تقع ضمن إطار التوجه الأنكلوسكسوني، التي تشكل 80% من الحركة الماسونية تقريباً، فهي تدور في فلك توجُّهات المحفل الأعظم العالمي الأم الذي هو حالياً المحفل الأعظم الإنكليزي المتحد United Grand Lodge of England. وهذا يعترف، وفق مقاييسه، كما سبق وأسلفنا، بمحفل أعظم واحد فقط لكل بلد. أما في ما يتعلق بالمقاييس أو نقاط الاستعلام التي يعتمدها هذا التوجه فإن بوسعنا، بشكل عام، إيجازها بما يلي: الاعتراف بمهندس الكون الأعظم، إلزامية الكتاب المقدس، وإلزامية الزاوية والفرجار؛ كما أنه لا يقبل النساء مبدئياً في مجمل محافله[1].

أما الماسونية الحرة ذات التوجه الأوروبي فهي، بشكل عام، أكثر تنوعاً وأكثر ليبرالية، حيث تختلف مناحيها بين محافل «ليبرالية» (غير نظامية وفقاً للمفهوم الإنكليزي)، لا يلتزم بعضها الاعتراف أو التوجُّه إلى «مهندس الكون الأعظم»، وأخرى تقبل النساء في صفوفها أو محافل نسائية، ومحافل أخرى (نظامية) أكثر «محافظة» وأقرب إلى التوجه الأنكلوسكسوني أو تابعة له. لذلك فإننا، إن أخذنا على سبيل المثال لا الحصر، فرنسا كبلد نموذجي، لوجدنا أنه توجد هناك:

(1) للمزيد من المعلومات بهذا الخصوص، راجع الملحق رقم 2 في نهاية هذا الفصل من بحثنا.

ـ محافل نظامية وتقليدية كـ: المحفل الفرنسي الكبير La Grande Loge de France[1]. المحفل الأكبر الوطني الفرنسي La Grande Loge Nationale Française[2]. وهو المحفل الفرنسي الوحيد الذي يقيم علاقات نظامية مع المحفل الأعظم الإنكليزي المتحد، ويعتبر ثاني المحافل الفرنسية من حيث تعداد أعضائه.

ـ المحفل الأكبر التقليدي والرمزي ـ الأوبرا La Grande Loge Traditionnelle et Symbolique - Opéra[3].

ـ المحفل الوطني الفرنسي La Loge Nationale Française[4].

ـ المصلى الكبير لبلاد الغال Le Grand Prieuré des Gaules.

ومحافل ليبرالية (غير نظامية) كـ: الشرق الفرنسي الكبير Le Grand Orient de France[5]. وهو المحفل الرئيسي والأول في فرنسا.

ـ المحفل الأكبر النسائي الفرنسي La Grande Loge Féminine de France[6].

ـ التنظيم الماسوني الدولي المختلط أو الحق الإنساني L'Ordre Maçonnique Mixte International - Le Droit Humain[7].

ـ التنظيم المُسارَري والتقليدي للفن الملكي L Ordre Initiatique et Traditionnel de l Art Royal.

ومنظمات (أو جمعيات) ماسونية أخرى، أهمها:

ـ جمعية عشاق الحقيقة The Philalethian Society التي تأسست في العام 1928، وكان ينتمي إليها عدد من كبار الماسونيين، كالأديب روديارد كبلنغ وأوزفالد فيرث إلخ. وهي تشترط أن يكون جميع أعضائها من الفرمسون النظاميين.

(1) - Grande Loge de France: 8, rue Puteaux, 75017 Paris.

(2) - Grande Loge Nationale Française: 12, rue Christine de Pisan, 75017 Paris.

(3) - Grande Loge Traditionnelle et Symbolique: 9, Place Henri Barbusse, 92300 Levallois Perret.

(4) - Loge Nationale Française: BP 154, 92113 Clichy Cedex.

(5) - Grande Orient de France: 16, rue Cadet, 75009 Paris.

(6) - Grande Loge Féminine de France: 60, rue Vitruve, 75020 Paris.

(7) - Le Droit Humain: 5, rue Jules Breton, 75013 Paris.

انتشار
الماسونية في بلدان المشرق العربي

نشير هنا إلى الشحِّ الكبير جداً في المعلومات وفي الوثائق، حيث لا توجد أية دراسة جدية ومحايدة بهذا الخصوص. هنالك فقط بعض ما يقوله بعض كبار الماسون العرب الأوائل (وإن بلغتهم الخشبية) عن أنفسهم، كشاهين مكاريوس أو جرجي زيدان؛ وهناك أيضاً بعض ما قاله حينئذٍ بعض «معارضيهم»، وأهمهم في أوائل القرن الماضي الأب (اليسوعي) لويس شيخو، والدكتور حسين عمر حمادة. ومما قدمه هؤلاء، ومن وثائق أخرى، بوسعنا أن نقول، ولو بشكل أولي، أن نشوء الماسونية الحديثة في بلدان مشرقنا العربي إنما كانت نتيجة عاملين أساسيين اثنين هما:

ـ أولاً: الحداثة الأوروبية التي سرعان ما تلقَّفتها في بلادنا نخب كانت تتطلع إليها وتحاول تقمصها والاستفادة منها من أجل النهوض بأوطانها.

ـ ثانياً: واقع وجود أساس محلي متمثل على أرض الواقع بتقاليد معرفية وسِرَّانية عريقة في هذه البلدان ـ كانت ذات يوم منبع الأديان السامية الثلاثة (على اختلاف تشعباتها) ـ كالقبالة بالنسبة لليهود، والغنوصية بالنسبة للمسيحيين، وخاصةً الطرق الصوفية والباطنية بالنسبة للمسلمين الذين يشكِّلون أغلبية سكان هذه البلاد.

لذا لم يكن نشوء وانتشار الماسونية الحرة في بلادنا أمراً مستغرباً على الإطلاق ـ تلك التي يقول التاريخ أنها نشأت أول ما نشأت.

ـ الماسونية في مصر[1].

في أواخر القرن الثامن عشر... يقول د. حسين عمر حمادة: إن «...وضع

---

(1) د. حسين عمر حمادة، «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي».

الرحالة محمود خير الدين صاحب الشورى[1] كتاباً عن رحلاته. ومما جاء فيه... أن الماسونية الرمزية انبعثت في مصر عام 1798، عندما احتلها نابليون بونابرت. فقد أسس الجنرال كليبر وعدد من الضباط، وكانوا من «الأخوة الماسونيين» ـ كما يذهب جرجي زيدان[2] إلى تأكيد ذلك ـ محفلاً في شهر آب عام 1798 دعوه محفل إيزيس، يعمل على طريقة ماسونية تسمى الطريقة الممفيسية أو الطريقة الشرقية القديمة...».

هذا وقد «... تأسس في سنة 1838 في القاهرة محفل تحت رعاية المجلس العالي الممفيسي الفرنسي واسمه مينيس. وفي سنة 1845 تأسس في الإسكندرية تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي محفل الأهرام الذي أسسه الفرنسيون بشرق الإسكندرية. وقد التحق به قسم عظيم من رجال البلاد من الوطنيين والأجانب، ومنهم الأمير حليم محمد علي باشا والأمير عبد القادر الجزائري وسلفاتوري أفنتوري زولا...»[3].

كما أنشأ «... المحفل الأعظم الإنكليزي في القاهرة عام 1867 محافل رمزية تحت رعايته، منها محفل الكونكورديا، ومحفل البلور؛ ومعظم أعضاء الأخير من ضباط الجيش الإنكليزي. وبعد ذلك أسست محافل أخرى منها محفل كوكب الشرق...»[4] الذي كان يعمل باللغة العربية، وكان لا يؤمه إلا المصريون فحسب، ومن هم في حكمهم؛ منهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده اللذان بثا فكرة الاستقلال ومقاومة النفوذ الأجنبي في البلاد...»[5].

وأيضاً، لما تعددت السلطات الماسونية في مصر، وكان إيمان الممفيسيين كبيراً في نشر دعوتهم معتمدين على أساسين:

أولاً: التخلص من التبعية الأجنبية.

ثانياً: جلب العنصر الوطني إليهم.

---

(1) محمود خير الدين، «الماسونية في مصر الإنسانية»، الجزءان 5 و6، دمشق، كانون الأول والثاني /ديسمبر وينابر 1936 ـ 1937، ص 175.

(2) جرجي زيدان، «تاريخ الماسونية العام»، ص 211.

(3) زكي إبراهيم، «صوت الماسونية أو التقويم الماسوني العام لمحفل منف»، مطبعة عطايا، 1928، ص 161.

(4) جرجي زيدان، مرجع سابق، ص 215 ـ 216.

(5) زكي إبراهيم، مرجع سابق، ص 162 ـ 163.

فقد استندوا في تأسيس السلطة الماسونية الوطنية المصرية على أساس وحدة العمل والتسامح بالنسبة لجميع الطرق الماسونية المتبعة في مصر آنذاك. وفي شهر / سبتمبر أيلول عام 1864 حصل الماسوني إسكاروترا على براءة من المجلس السامي الإيطالي للدرجة 33 للمملكة الإيطالية فرع وادي النيل. وفي العام 1865 حصل الماسوني بوريجار على براءة تأسيس مجلس البطاركة بدرجات 95 للعظماء المحافظين على طريقة ممفيس البنّائية (الطقس الشرقي).

عام 1867، حصل الأمير عبد الحليم على براءة تأسيس المحفل الأكبر الإنكليزي الإقليمي للبلاد المصرية وملحقاتها...

وفي 8 تشرين الثاني /نوفمبر من العام 1864 اجتمع عدد من قدماء الماسون يتقدمهم المركيز بوريجار، وقرروا تأسيس الشرق الأعظم المصري أو مجلس البطاركة[1]...

الذي تفرع عنه من بعد، في العام 1876، المحفل الأكبر الوطني المصري. هذا المحفل الذي أسس عدة محافل وترأسه السيد إدريس الراغب مدة 31 عاماً، وشهد انشقاقات عديدة.

وقد استمرت الماسونية عاملة في مصر بشكل علني وشرعي، حتى العام 1964 حين صدر قرار رسمي بإغلاق وحلّ المحافل الماسونية في جميع أراضي الجمهورية العربية المتحدة[2]... حيث اكتشفت السلطات يومئذٍ ـ أي بعد 12 عاماً من ثورة يوليو/تموز 1952 ـ أنها كانت تستعمل «رموزاً يهودية». أما في بلاد الشام (لبنان، سوريا، إلخ)[3] فيقول الأب (اليسوعي) لويس شيخو[4] بهذا الخصوص، نقلاً عن جرجي زيدان (والذي سنأتي على ذكره لاحقاً بالتفصيل)، إن أول محفل تأسس في بلاد الشام كان في بيروت سنة 1862 تحت رعاية الشرق الأعظم الاسكوتلندي وعرف بشرق فلسطين رقم 415 وترأس عليه الكثير من الرجال. أما لغته الرسمية فالفرنساوية... ثم... في العام 1869 تأسس في بيروت محفل آخر تحت رعاية الشرق الأعظم

(1) عبد المجيد يونس، «المحفل الأكبر المصري»، مرجع سابق، ص ج ود.
(2) محمد علي الزعبي، «الماسونية في العراء»، بيروت، مطابع معتوق، 1976، ص 81.
(3) الأب لويس شيخو، «السر المصون في شريعة الفرمسون».
(4) د. حسين عمر حمادة، «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي».

الفرنساوي عُرِف بشرق لبنان ولغته الرسمية هي العربية. أما مخابرته مع الشرق الفرنسي فبالفرنسية. وكان رئيسه في أول أيامه جرجي الخوري ثم ترأسه نقولا حجي وكاتب الأسرار مكاريوس... ثم أنشئت محافل أخرى، كمحفل الزهرة ومحفل فينيقيا ومحفل السلام ومحفل صنين ومحفل المغارة السوداء ومحفل سورية (في دمشق) ومحفل سليمان الملوكي في يافا إلخ.

أما د. حسين عمر حمادة،[1] الذي سيبقى كتابه الموثَّق حول الماسونية والماسونيون في العالم العربي، حتى إشعار آخر ورغم نواقصه، المرجع الأساسي الأهم حول هذا الموضوع، فيفيدنا إجمالاً بأن الماسونية نشأت أول ما نشأت في بلاد الشام؛ إنما كان في لبنان حيث كما يقول جرجي زيدان،[2] تأسَّس أول محفل في مدينة بيروت سنة 1862 تحت رعاية الشرق الأعظم الاسكتلندي وعُرِفَ بشرق فلسطين رقم 415، وقد ترأسه الكثير من الماسون من جملتهم قنصل إنكلترا. وانتظم في سلك العشيرة الحرة عددٌ غفير من أعيان البلاد وثراتها، من وطنيين وأجانب، ولم يشتغل إلا بالدرجات الرمزية، أما لغته الرسمية فالفرنسية.

وتأسس في بيروت سنة 1869 محفل ثالث، تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي، عُرِفَ بشرق لبنان، ولغته الرسمية العربية، أما اتصالاته مع الشرق الفرنسي فبالفرنسية...

ثم توسعت الحركة وتطورت، وخاصة على يد السيد شاهين مكاريوس الذي كان يشغل عام 1881 مهمة كاتب سر محفل لبنان، وكان بالإضافة إلى ذلك مؤسِّس محفل اللطائف في مصر ومحفل فينيقيا في بيروت عام 189،[3] أو على يد السيد جرجي يني الذي شهد أيضاً حينئذٍ تأسيس عدد من المحافل، حتى كانت الحرب العالمية الأولى والانتداب الفرنسي على سورية ولبنان.

في العام 1923 كان يوجد في سورية ولبنان وفلسطين ثلاثون محفلاً تضم نحو خمسة عشر ألف ماسوني، وتنتمي إلى خمسة شروق هي:

---

(1) جرجي زيدان، «تاريخ الماسونية العام».

(2) د. حسين عمر حمادة، نفس المرجع.

(3) وديع نقولا حنا، «الماسونية في سورية: أسرار لم تُعلَن بعد»، المعارف، العدد السابع، السنة السادسة، تموز/يوليو 1923، المطبعة الوطنية، بيروت.

1 ـ : الشرق الأعظم الاسكتلندي وكانت له تسعة محافل هي:

- محفل السلام في بيروت؛ رئيسه الدكتور عفيش.
- محفل قاديشا في طرابلس؛ رئيسه عبد الله غريب.
- محفل فم الميزاب في ميناء طرابلس؛ رئيسه الأمير أسعد الأيوبي.
- محفل صنين في الشوير؛ رئيسه فارس مشرق.
- محفل الكرمل في حيفا؛ رئيسه باترو أبيلا.
- محفل طوروس في الإسكندرية؛ رئيسه قيصر صايغ.
- محفل إميسا في حمص؛ رئيسه الخوري عيسى أسعد.
- محفل جبل لبنان في الشويفات؛ رئيسه القس طانيوس عبده.
- محفل صلاح الدين في عكا.

2 ـ : الشرق الأعظم الفرنسي وكانت له ستة محافل هي:

- محفل لبنان في بيروت؛ رئيسه سعيد صباغة.
- محفل سورية في دمشق؛ رئيسه نعمان أبو شعر.
- محفل زهرة العاصي في حمص؛ رئيسه حسن موصلي.
- محفل أورنتس في حماه؛ رئيسه عيسى الباوي.
- محفل كسروان في جونية؛ رئيسه يوسف ثابت.
- محفل أرز لبنان في سوق الغرب؛ رئيسه حبيب الحتي.

3 ـ : المحفل الأكبر الوطني المصري وله شرق إقليمي لسورية وفلسطين برئاسة الأستاذ الأعظم الداماد أحمد نامي، ومقام خليج بيروت للدرجة 18، ومقام الأرز في ميناء طرابلس وعشرة محافل هي:

- محفل الرشيد في بيروت؛ رئيسه الدكتور حسن الأسير.
- محفل بيروت؛ رئيسه الشيخ إبراهيم منذر.
- محفل الثبات في بيروت؛ رئيسه حسن المخزومي.
- محفل الاتحاد في بيروت؛ رئيسه جميل بيهم.
- محفل دفنة في أنطاكية؛ رئيسه محمد آل يحيى.

ـ محفل الميناء الأمين في أسكلة طرابلس؛ رئيسه جرجي ندلي.

ـ محفل فينيقيا في بيروت.

وهذه المحافل السبع كانت (للأستاذ الأعظم) محمد علي.

ـ محفل شرق بيروت؛ رئيسه فضل الله أبي حلقة.

ـ محفل الشمس؛ رئيسه مصطفى مخزومي.

ـ محفل الحاج؛ رئيسه يوسف الحاج.

وهذه المحافل الثلاث الأخيرة (للأستاذ الأعظم) إدريس الراغب.

4 ـ : المحفل الأكبر الفرنسي وكان له أربعة محافل هي:

ـ محفل الحكمة في بيروت؛ رئيسه لبيب الرياشي...

ـ محفل الشمس في بعلبك؛ رئيسه عبد الغني الرفاعي.

ـ محفل قاسيون في دمشق؛ رئيسه حسن الجندي.

ـ محفل الانبعاث في حلب؛ رئيسه نوري المدرس.

5 ـ : الشرق الأعظم الإيطالي وكان له محفل واحد هو:

ـ محفل الأونيون في طرابلس؛ رئيسه موسى النحاس[1].

أما بعد الاستقلال (عام 1965 مثلاً) فنسجل[2]:

1 ـ : وجود محافل تنهج الطريقة الأميركية كـ:

ـ المحفل السوري الأميركي؛ مركزه بيروت ورئيسه المستر سوان.

ـ محفل نيويورك؛ مركزه بيروت ورئيسه الأستاذ قمحين.

ـ محفل فخر الدين؛ مركزه بيروت ورئيسه سامي الحداد.

---

(1) ج. ف.، «الماسونية ومؤتمرها الدولي المئوي عقده بلبنان»، المسرة، العدد 505، السنة 51، أيار 1965.

(2) المرجع السابق، حيث جاء أن هذا المحفل الذي لا تعترف به المحافل الأخرى في لبنان قد استأثر بتاريخ 13/ 11/ 1964 بترخيص من وزير الداخلية اللبناني. وقد اكتسب بالترخيص صفة الشرعية، فأصبح من حقِّه العمل العلني في لبنان. وأول أعماله كان عقد مؤتمر دولي للماسونية في لبنان بتاريخ 23 ـ 31 آب 1965.

ـ محفل لبنان؛ مركزه بيروت ورئيسه فايز أسعد.

ـ محفل الشوف؛ مركزه بعقلين.

ـ محفل البردوني؛ مركزه زحلة ورئيسه جورج صليبا.

ـ محفل تربل؛ مركزه طرابلس ورئيسه ميشيل ديبي.

ـ محفل أميون؛ مركزه أميون (الكورة).

ـ محفل المرج؛ مركزه مرجعيون.

2 ـ : وجود محافل ناهجة النهج الاسكتلندي بعضها قديم نسبياً (بمعنى أنه كان موجوداً قبل الاستقلال)، وبعضها جديد هي:

ـ محفل السلام؛ مركزه بيروت ورئيسه عبد الله الرفاعي.

ـ محفل الميزاب؛ ورئيسه جاك بل.

ـ محفل زحلة؛ ورئيسه إيلي ليون.

3 ـ : وجود محافل أخرى أهمها:

1 ـ محفل الشرق الأكبر اللبناني السوري؛ مركزه بيروت ودمشق، له بضعة محافل فرعية، ويتصل باستمرار بالمنتمين إليه من الدول العربية.

ـ محفل حنين قطيني؛ مركزه بيروت وله بضعة محافل فرعية.

ـ محفل محمد بدر ـ الشرق العربي؛ وله بضعة محافل فرعية.

ـ محفل حنا أبي راشد؛ مركزه الحازمية ببيروت؛ وتتبعه عدد محافل فرعية. وهو، كما تنعته المحافل الأخرى محفل نفعي، وقد سمح بدخول المرأة إلى صفوفه.

ـ محفل الشرق الأكبر اللبناني؛ مركزه بيروت، له بضعة عشر محفلاً فرعيّاً؛ رئيسه سليم الترك[1].

ونشير هنا إلى أنه ما زالت الماسونية مسموحاً بها في لبنان.

---

(1) جرجي زيدان، «تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم».

الماسونية في سوريا:

دخلت الماسونية إلى سورية عام 1889 بمساعي الأمير عبد القادر الجزائري، وكان أول محفل تأسَّس فيها هو محفل سوريا شرق دمشق، تحت إشراف شرق إيطاليا الأعظم... وكان الأمير عبد القادر الجزائري قد سمع كثيراً عن الجمعية الماسونية وما لها من صحيح المبادئ، فتاقت نفسه إلى الانضمام إليها واغتنم فرصة مروره بالإسكندرية أثناء عودته من الحجاز سنة 1864، فانتظم في سلوكها في 18 حزيران / يونيو بمحفل الأهرام التابع للشرق السامي الفرنسي، ووافقت مشاربه من كلِّ الوجوه، فأحبها وأحبَّ أهلها، ومال إليها وإليهم كثيراً، وكان لا يخفي نفسه. ولطالما جاهر أنه من أعضائها[1].

أما رسمياً فتقول الوثائق أنه تأسس محفل سوريا شرق دمشق تحت رعاية شرق فرنسا السامي بموجب براءة مؤرخة في 18 /ديسمبر كانون الأول عام 1921، تحت رقم 17043. وجرى افتتاحه وتأسيسه يوم الجمعة 24 شباط/فبراير عام 1922. وهو يجري أعماله طبقاً لدستور وقانون الشرق الأسمى، وهو يشتغل على الطريقة الإيكوسية القديمة والمقبولة[2].

وفي العام 1924 تأسس محفل إبراهيم الخليل تحت رعاية المحفل الأكبر في ولاية نيويورك. ومن مؤسِّسيه: داوود المارديني، مصطفى القباني، مصطفى شوقي، عثمان سلطان، خليل الهبل، توفيق بيضون، عبد الرزاق عابدين، رفيق الجلاد ومصطفى القلعي[3]. كان من أهم أعضائه الأحياء حتى فترة ليست ببعيدة السيد بدر الدين الشلاح (الرئيس الأسبق لغرفة تجارة دمشق) الذي لم يجد في حياته أيَّ حرج بالمجاهرة بماسونيَّته[4].

وأيضاً، كان هناك محفل نور الشرق، ويحمل الرقم 1058، الذي كان من أقدم المحافل الماسونية في سورية ولبنان، وقد ضم نخبة من الشخصيات العربية منهم: جبران لويس، فارس الخوري، مصطفى السباعي، عبده القدسي وأمين الأسطواني وعبد

---

(1) شاهين مكاريوس، «فضائل الماسونية»، مصر، مطبعة المقتطف، 1899.

(2) النظام الداخلي لمحفل سوريا شرق دمشق باسم وتحت رعاية شرق فرنسا السامي سنة 1922.

(3) عبد الحليم الياس الخوري، «الماسونية ذلك العالم المجهول».

(4) بدر الدين الشلاح، «للتاريخ والذكرى: قصة جهد وعمر».

الرحمن الشهبندر[1]. وكان يعمل تحت رعاية المحفل الاسكتلندي[2]. وأيضاً كان هناك محفل خالد ابن الوليد[3] الذي كان يعمل تحت رعاية الشرق الأكبر المصري والذي كان عام 1938 برئاسة إبراهيم كنعان. وكان من بين أعضائه، حين كان ما زال طالباً في المدرسة الحربية، جمال فيصل (الذي أصبح فيما بعد، بين عامي 1958 ـ 1961، قائداً للجيش السوري).

في يوم الخميس 31/ 07/ 1924 اجتمع مندوبو المحافل المتحابة في سورية ولبنان في دار محفل سوريا، وكان عدد الوفود ستة وعشرين، وعقدت الجلسة الأولى في الساعة الثامنة منه برئاسة نعمان أبو شعر، أكبر هيئة المؤتمرين سنّاً. ثم انتخب جميل بيهم لرئاسة الأعمال، وسعيد صباغة لنيابة الرئاسة، وجبران تويني لكتامة السر، يعاونه منح هارون، سجعان عارج وسعيد الغزي. وقد واصل المؤتمرون اجتماعاتهم طيلة أربعة أيام متتالية، عقدوا خلالها سبع جلسات قانونية، ختمت في الساعة الثالثة من بعد الظهر يوم الأحد 3 آب /أغسطس 1924. وقد اتخذ المؤتمر قراراته التي جرى إبلاغها لمقام الشرق السامي الفرنسي والمحفل الأكبر الفرنسي ومنها: «. . . إن الحلفاء احتلوا بلادنا باعتبارها من أراضي العدو، وأنشأوا فيها الإدارات العسكرية المؤقتة، تلبية للضرورات العسكرية المؤقتة يومئذ. . . وظلت التشكيلات المؤقتة سارية إلى الآن، وقد نتج عن هذه الحالة اضطراب في التشريع والحياة السياسية والعلمية والعمرانية والقومية، لأن بقاء البلاد ست سنوات في حكم مؤقت غير ثابت يوقع الارتباك في فروع حياتهم جميعاً[4]. . .»

وكان هنالك أيضاً عدة محافل أهمها:

ـ محفل الزهرة، وقد تأسس قبيل الحرب الكونية الثانية، أسسه الأستاذ جورج كويتر. . . وقد تخلى عن السلطة المصرية في سنواته الأخيرة[5].

---

(1) نجدة فتحي صفوة، «الماسونية في الوطن العربي»، لندن، مطبوعات مركز الدراسات العربية.

(2) د. حسين عمر حمادة، «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي».

(3) نفس المصدر.

(4) قرارات المؤتمر الماسوني الذي عقدته المحافل المتحابة السورية اللبنانية في مدينة دمشق من 31 تموز /يوليو إلى 3 آب /أغسطس سنة 1924، بيروت، مطبعة جريدة الأحرار.

(5) د. حسين عمر حمادة، نفس المرجع.

ـ محفل العزيز، أسسه الأستاذ إبراهيم كنعان، تحت سلطة المحفل الأكبر الوطني المصري. ثم عدل عنه لسلطة الشرق العربي.

ـ محفل طوروس بالإسكندرونة الذي كان يحمل الرقم 1249، وكان يعمل تحت رعاية المحفل الاسكتلندي بأدنبره[1]، قبل أن يصبح فيما بعد تحت رعاية المحفل الأكبر السوري العربي.

ـ بتاريخ 14 آذار / مايس 1937، وبرعاية الشرق الأكبر المصري، جرى تدشين المحفل الأكبر الإقليمي السوري الشغَّال بالطريقة الإيكوسية القديمة والمقبولة، من اتحاد أربع محافل نظامية هي: 1 ـ محفل قاسيون ش. . . دمشق. 2 ـ محفل نور الشرق ش. . . دمشق. 3 ـ محفل فاروق ش. . . دمشق. 4 ـ محفل خالد بن الوليد ش. . . دمشق[2]، الذي كان يترأسه أيضاً إبراهيم كنعان والذي كان أيضاً تحت رعاية الشرق الأكبر المصري، وضمَّ عدداً من الشخصيات السورية الهامة.

أما الشرق الأعظم السوري الذي كان أول شرق ماسوني مستقل في سورية، فقد تأسس في 23 نيسان/أبريل عام 1937، وكان يعمل على الطريقة الإيكوسية القديمة المقبولة، ويمنح بالتالي الدرجات حتى الثالثة والثلاثين. وقد كان تحت إشرافه ستة عشر محفلاً موزعة في مختلف أنحاء سورية هي:

ـ محفل الإيمان رقم 1 شرق دمشق.

ـ محفل الأمل رقم 2 شرق دمشق.

ـ محفل التوفيق رقم 3 شرق دمشق.

ـ محفل الأندلس رقم 4 شرق دمشق.

ـ محفل النهضة رقم 5 شرق دمشق.

ـ محفل النجاة رقم 6 شرق حمص.

ـ محفل الوادي رقم 7 شرق زحلة.

ـ محفل الاتحاد رقم 8 شرق دمشق.

---

(1) عبد الحليم الياس خوري، نفس المرجع.

(2) حنا مالك، «بيان المحفل الأكبر الإقليمي لسورية ـ الطريقة الإيكوسية القديمة المقبولة»، دمشق.

ـ محفل الإنسانية رقم 9 شرق حماه.

ـ محفل الغافقي رقم 10 شرق دمشق.

ـ محفل الأنوار رقم 11 شرق حلب.

ـ محفل الفيحاء رقم 12 شرق طرابلس.

ـ محفل اليرموك رقم 13 شرق درعا.

ـ محفل الأربعين رقم 14 شرق بانياس.

ـ محفل ذي قار رقم 15 شرق السويداء.

وأيضاً، أنشئ المحفل الأكبر الوطني اللبناني السوري عام 1947، على أثر إعلان استقلاله الماسوني عن السلطة المصرية. وكان يعمل تحت رعايته أحد عشر محفلاً ومقامان ومجلسان[1]، من أهمها كان محفل العروبة في حمص الذي كان رئيسه حينذاك السيد بشير المعصراني. وأيضاً كان الشرق الأعظم العربي السوري الذي أعلن تأسيسه عام 1947 إثر قطع العلاقة بين محفلي الزهرة والعزيز والمحفل الأكبر الوطني المصري... وكان يعمل تحت رعايته أربعة محافل هي:

ـ محفل العدل رقم 1، رئيسه الأستاذ شاكر الحنبلي.

ـ محفل الزهرة رقم 2، رئيسه الأستاذ وجيه الحفار.

ـ محفل العزيز رقم 3، رئيسه إبراهيم كنعان.

ـ محفل الحكمة رقم 4، رئيسه د. حاج ويس[2].

وأخيراً، وليس آخراً، كان المحفل الأكبر السوري العربي الذي كان يترأسه الأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري قطباً أعظماً، والذي دعا حينئذٍ، عام 1951، إلى الاستقلال التام ماسونياً، والذي كان من أعضائه كلٌّ من العقيد أديب الشيشكلي والزعيم فوزي سلو. هذا وقد كان يعمل تحت رعاية هذا المحفل المقامات والمحافل التالية:

ـ مقام ابن الوليد لدرجة 18 رقم 4 شرق حمص.

---

(1) مجلة «كل جديد»، عدد خاص عن الماسونية، العدد الثامن، السنة الرابعة، آب / أغسطس 1948.

(2) نفس المرجع.

ـ مقام ابن هاني لدرجة 18 رقم 5 شرق اللاذقية.

ـ مقام الشباب رقم 7 شرق دمشق.

ـ محفل الجزيرة رقم 8 شرق القامشلي.

ـ محفل أويس القرني رقم 10 شرق المعرة.

ـ محفل الحرية رقم 11 شرق سيواس.

ـ محفل الوطن رقم 12 شرق قصيري.

ـ محفل طوروس رقم 13 شرق إسكندرون.

ـ محفل الشمس رقم 14 شرق دمشق.

وهناك معلومات مبعثرة ومشتتة، وتفتقر للدراسة والتعمق والتمحيص. . . لكنها إن كانت تدل على شيء فإنما تدل على سعة انتشار الماسونية في سورية، حتى كان العام 1965 وحلُّها رسمياً بقرار من السلطات آنذاك[1].

ويظهر لنا مما تقدم بوجوب الإقرار بأن هذه الحركة، التي كان لها وجود واسع وتأثير عميق في سوريا، حتى فترة قريبة، والتي ما زال لها تأثيرها ونفوذها في العالم عامة، وفي أوساط النخب والمثقفين خاصة، تستحق المزيد من البحث والتمحيص ـ الأمر الذي سنحاول تقصيه من خلال ما سيأتي من بحثنا.

(1) صحيفة «البعث» السورية، «إلغاء المحافل الماسونية وأندية الروتاري في سوريا»، العدد 740، الثلاثاء 10 آب / أغسطس 1965.

الفصل الثاني

ـ مواضيع الفصل:

* كتاب الدساتير

ـ الرمزية الطقسية للماسونية التأملية وتدرجاتها

ـ الماسونية عبر التاريخ

كتاب الدساتير

في العام 1723 كتب جيمس أندرسون (1679 ـ 1739) «دستور الماسونية». وكان أندرسون ماسونياً، بدأ حياته كناشط في كنيسة اسكتلندا، وقام بنجامين فرانكلين بعد 11 سنة بإعادة طبع الدستور وذلك في العام 1734 بعد انتخابه زعيماً لمنظمة الماسونية في فرع بنسلفانيا. وكان فرانكلين يمثل تياراً جديداً في الماسونية، وهذا التيار أضاف عدداً من الطقوس الجديدة لمراسيم الانتماء للحركة، بحيث أضاف مرتبة ثالثة وهي مرتبة الخبير Master Mason للمرتبتين القديمتين، المبتدئ وأهل الصنعة، والتي سنأتي عليهم بالتفصيل لاحقاً.

من الجدير بالذكر أن النسخة الأصلية للدستور الماسوني الذي كتبه أندرسون عام 1723 وأعاد طباعته فرانكلين عام 1734 كانت عبارة عن 40 صفحة من تاريخ الماسونية من عهد آدم، نوح، إبراهيم، موسى، سليمان، نبوخذنصر، يوليوس قيصر، إلى الملك جيمس الأول من إنكلترا. وكان في الدستور وصف تفصيلي لعجائب الدنيا السبع، ويعتبرها إنجازات لعلم الهندسة، وفي الدستور تعاليم وأمور تنظيمية للحركة، وأيضاً يحتوي على خمس أغاني يجب أن يغنيها الأعضاء عند عقد الاجتماعات.

الدستور الماسوني يشير إلى أن الماسونية بشكلها الغربي المعاصر هو امتداد للعهد القديم من الكتاب المقدس، وأن اليهود الذين غادروا مصر مع موسى شيدوا أول مملكة للماسونيين، وأن موسى كان الخبير الماسوني الأعظم.

ـ في ما يتعلق بالألوهة والدين:

«بحكم التزامه، يُعتبَر الماسوني مجبراً، بالخضوع للقانون الأخلاقي؛ وإن كان فهم فنَّه جيداً فإنه لن يكون أبداً ذلك الملحد الأبله، ولا ذلك المتحرر اللاديني».

«رغم أنه في الأزمنة الغابرة كان إلزامياً، وفي أي بلد، أن يعتنق الماسون ديانة ذاك البلد، أياً كانت هذه الديانة، فإننا نجد أنه من الأنسب عدم إلزامهم بأية ديانة تحديداً، إنما تلك التي يتفق حولها جميع البشر، وأن تكون لهم كامل الحرية في ما يتعلق الأمر بآرائهم الخاصة. بالتالي، يكفي أن يكونوا أناساً طيبين ومخلصين، أناساً أصحاب شرف ونزاهة، وذلك أياً كانت الانتماءات الدينية أو القناعات التي تميِّزهم».

«هكذا تصبح الماسونية مركز اتحاد ووسيلة لإقامة علاقات صداقة بين أشخاص كانوا بقوا متفرقين لولاها».

ـ في ما يتعلق بالسلطة المدنية العليا أو التابعة لها:

«يُعتبَر الماسوني في الواقع تابعاً مسالماً في كلِّ ما يتعلق بالسلطات المدنية، وأينما كان مقرُّ إقامته أو عمله؛ وبالتالي، لا يُفترَض أن يتورط على الإطلاق في أية مؤامرة أو تآمر يمسُّ سلامة الأمة ورفاهيتها، ولا أن يتصرف بشكل غير لائق تجاه الحكام التابعين. إن الحرب وسفك الدماء، والثورات، كانت دائماً مُضِرَّة بالماسونية».

«إذا حصل وتمرد أيٌّ من الأخوة ضد الدولة فإنه ينبغي عدم تشجيعه على ذلك، والتعامل معه في نفس الوقت برأفة، وكإنسان بائس الحال. وفي حال لم تتم إدانته بأية جريمة فإنه ليس بوسع الأخوية الوفية ـ التي يُفترَض فيها أن تستنكر التمرد، من أجل عدم إثارة السلطات القائمة، وعدم إعطائها أيَّ مبرر سياسي يثير الشكوك ـ طرده من المحفل، بحكم كون العلاقات التي تربطهما علاقات لا تنفصم عراها».

ـ السلوكية داخل المحفل:

«لا تدعو لخلافاتكم كأفراد أو لصراعاتكم أن تعبر عتبة هذا المحفل؛ وتجنبوا خاصةً أية نقاشات حول الديانات، والقوميات والسياسة، لأنه معروف أنه، بحكم كوننا ماسوناً، فإننا لا ندعو إلا لتلك الديانة العالمية التي ذكرنا أعلاه. ولأننا أيضاً من كلِّ الأمم واللغات والأعراق، فإننا نتجنب السياسة التي لم تؤدِّ في الماضي إلى ازدهار المحافل ولن تؤدي إلى ذلك في المستقبل».

ـ في العضوية:

إن المنعطف الرئيسي الآخر في تاريخ الحركة كان في العام 1877 عندما بدأ فرع الماسونية في فرنسا بقبول عضوية الملحدين والنساء إلى صفوف الحركة، وأثار هذا الخلاف نوعاً من الانشقاق بين فرعي بريطانيا وفرنسا. وكان هذا الخلاف مصدره تحليلاً مختلفاً من قبل الفرعين حول بند دستور الماسونية الذي كتب عام 1723 والذي ينص في أحد بنوده أنه «لا يمكن أن يكون الماسوني ملحداً أحمقاً».

أضاف الفرع الرئيسي للماسونية في بريطانيا على الدستور في العام 1815 نصاً يسمح للعضو باعتناق أي دين يراه مناسباً، وفيه تفسير لخالق الكون الأعظم. وبعد 34 عاماً قام الفرع الفرنسي بنفس التعديل. وفي العام 1877 تم إجراء تعديلات جذرية على دستور الماسونية المكتوب عام 1723، وتم تغيير بعض من مراسيم الانتماء للحركة بحيث لا يتم التطرق إلى دين معين بحد ذاته، وأن كل عضو حرّ في اعتناق ما يريد شرط أن يؤمن بفكرة الخالق الأعظم.

ـ في شروط العضوية:

لكي يصبح الفرد عضواً في منظمة الماسونية يجب عليه أن يقدِّم طلباً إلى مقر فرعي في المنطقة التي يسكن فيها، ويتم قبول الفرد أو رفضه في اقتراع بين أعضاء ذلك المقر. يكون التصويت على ورقتين، ورقة باللون الأبيض في حال القبول وورقة باللون الأسود في حال الرفض، وتختلف المقاييس من مقر إلى آخر، ففي بعض المقرات صوت واحد رافض يعتبر كافياً لرفض عضوية الشخص.

ـ في شروط قبول طلبات الانتساب:

ـ أن يكون رجلاً حرّ الإرادة.

ـ أن يؤمن بوجود خالق أعظم بغض النظر عن ديانة الشخص، ولكن هناك فروعاً من المنظمة ـ كالتي في السويد ـ تقبل فقط الأعضاء الذين يؤمنون بالديانة المسيحية.

ـ أن يكون قد بلغ سن الثامنة عشر من عمره، وفي بعض الأحيان 21 سنة.

ـ أن يكون سليماً من ناحية البدن والعقل والأخلاق، وأن يكون ذا سمعة حسنة.

ـ أن يكون حرّاً وليس عبداً، بمعنى أن يكون صاحب عمل وليس عاملاً.

ـ أن يتم تزكيته من قبل شخصين ماسونيين على الأقل.

ـ أن يُصرّ العضو الجديد بأن منظمة الماسونية ليست عبارة عن دين وليست بديلة عنه.

ـ في الأسس والمبادئ التي تحدِّد نظامية أي محفل أكبر[1]:

بتاريخ 4 أيلول / سبتمبر 1929 حدَّد المحفل الأعظم الإنكليزي المتحد United Grand Lodge of England المبادئ والأسس التي يتم بموجبها الاعتراف بنظامية أي محفل أكبر. وهذه الأسس هي:

1 ـ نظامية الأصول: بمعنى أنه يُفترَض بالنسبة لأيِّ محفل أكبر أن يكون مؤسَّساً بشكل فعلي ونظامي من قبل محفل أكبر نظامي آخر معترف به أو مما لا يقل عن ثلاثة محافل نظامية.

2 ـ الإيمان ب م. . . ك. . . أ. . . (أي بـ «مهندس الكون الأعظم») وبتجلِّياته كإحدى الشروط الأساسية للأعضاء.

3 ـ على جميع المسارَرين القَسَم بالتزامهم بواجباتهم على الكتاب المقدس مفتوحاً وواضحاً. بمعنى أن ما يتضمنه من وحي يصبح، بالتالي، مُلزِماً لضمير الشخص المسارَر.

4 ـ يجب أن يكون جميع أعضاء المحفل الأكبر والمحافل التابعة له من الرجال حصراً. ومن غير المسموح لأيِّ محفل أكبر إقامة أية علاقات ماسونية مع محافل مختلطة أو مع منظمات تقبل النساء في صفوفها.

5 ـ يجب أن يكون المحفل سيداً ومسيطراً على جميع المحافل التابعة له. مما يعني أنه يجب أن يكون مسؤولاً حرّاً وسيداً في حكومته، وأن تكون له سلطة لا تناقش بالنسبة لدرجاته الرمزية (المريد والرفيق والأستاذ الماسوني) التابعين له. وعلى أية حال لا يُفترَض أن يكون منقسماً على نفسه أو أن يشارك سلطته أيَّ مجلس أعلى أو أية سلطة أخرى قد تتطلب بعض السلطة أو الإشراف على هذه الدرجات.

---

(1) - R.W. Christopher Haffner, Regularity of Origin.

6 ـ يفترض أن تكون أنوار الماسونية الكبرى الثلاث، أي تحديداً الكتاب المقدس والزاوية والفرجار، مبينة بشكل واضح في المحفل خلال أعماله؛ وأهمها الكتاب المقدس.

7 ـ يمنع في المحفل أيٌّ نقاش له علاقة بالدين أو السياسة.

8 ـ يجب في أعمال المحفل الاتباع الدقيق لنقاط العلام القديمة Ancient Landmarks المحددة للتقاليد والأعراف.

الرمزية الطقسية
للماسونية التأملية وتدرجاتها

«... أين أنا؟ ماذا تراني أفعل هنا؟ أتراهم يسخرون مني؟
ألن أخجل من نفسي مستقبلاً حين أعود لأتذكر كل هذا؟...»

ليو تولستوي على لسان
الكونت بيير بيزوغوف

ـ الحرب والسلم:

لأن القضية، وفي حالنا هذه تحديداً، هي قبل كل شيء، قضية مساررة... وهذا منطقي وطبيعي بالنسبة لجماعة عرَّفت نفسها بكل وضوح منذ البداية بأنها «تنظيم مسارّي نقلي»، ولأنه لكل مساررة تقاليدها وطقوسها، كذلك الأمر بالنسبة للماسونية «العملية أو التأملية». خاصةً وأنه كما قال رونيه غينون: «... لم يبق في العالم الغربي، وكتنظيم مسارّي يستطيع الادعاء بنسب تقليدي حقيقي، إلاّ معلمي الكار والماسونية[1]...». لذلك، فإننا سنحاول في هذا القسم من بحثنا، ومن أجل تفهم أكبر لطبيعة الماسونية وأبنائها، تسليط بعض الضوء على ما نعتقد أنه أهم ما لديهم. نقصد، طقوسهم ورمزيتها... مؤكدين خاصةً ـ واستناداً إلى ما يقولونه عن أنفسهم ـ على الدرجات الثلاث الأولى. ثم سنحاول، واستناداً إلى نفس المرجعية، فتح نافذة قد تنير الطريق بالنسبة لما قد تعنيه درجاتها العليا... ونبدأ أول ما نبدأ بـ:

---

(1) - René Guénon - «Aperçus sur L'Initiation», 1946, p. 103

ـ الأدوات:

وهي تلك التي يحتاجها البنّاء كي يتمم عمله. لأن الأدوات الأساسية التي تستعملها الماسونية مجازاً ورمزاً هي في الأصل، تلك التي كان يستعملها البناؤون العمليون في الأزمنة القديمة. وأول هذه الأدوات وأهمها ـ الأمر الذي يجعلها مقترنة بالماسونية كشعار، إن لم نقل رمزها الأساسي ـ هي الزاوية والفرجار. . .

حيث تمثل الزاوية العنصر السلبي أو الجامد لكن، الضروري والذي لا غنى عنه لتحديد استقامة وصحة قائمية الحجر أو المنشأة. بينما يمثل الفرجار العنصر الإيجابي أو المتحرك الذي يؤكد على ملكة الفكر وتحكمه بالمادة. هذا وتختلف في الرمزية الماسونية، وحسب الدرجات، إن لم نقل، حسب مقدرة البنّاء على التحكم بطبيعة الأشياء، وضعية كل من الفرجار والزاوية أحدهما بالنسبة للآخر. ففي الدرجة الأولى التي هي درجة المبتدئ، ولما كانت المهمة الأساسية المطلوبة من هذا الأخير تتمحور حول صقل نفسه، بحيث تتطور من حجر أصم إلى حجر مصقول ومنحوت يمكن استعماله في البناء، نجد أن الزاوية تأتي من حيث وضعيتها فوق الفرجار الذي ما زال على المريد تعلم كيفية التحكم به واستعماله كما يجب. أما في الدرجة الثانية والتي هي درجة الرفيق فنلاحظ تداخل الإثنين ببعضهما البعض. بينما في الدرجة الثالثة أي في درجة الأستاذ فإننا نلاحظ ركوب الفرجار، الذي هو استحقاقاً أداة المعلم، فوق الزاوية.

ونتابع استعراض باقي الأدوات، وفقاً لأهميتها، فننتقل إلى المطرقة والإزميل، اللتين هما الأداتين الرئيسيتين المستعملتين من قبل البنّاء لتشذيب وصقل الحجر الأصمّ. وهذه ترتبط في الماسونية بدرجة المبتدىء أي بالدرجة الأولى. لكنها أيضاً، وخاصةً منها المطرقة، تعتبر من الأدوات الأساسية لرئيس المحفل ولمراقبيه ومن رموز سلطتهم. ونلاحظ هنا أيضاً أننا أمام عنصرين أولهما إيجابي (ألا وهو المطرقة) وثانيهما سلبي (الذي هو الإزميل). هاتان الأداتان اللتان يتحدث عنهما أوزفالد فيرث حين يقول: أنه «. . . يستلزم الأمر بطبيعة الحال أداتان (لنحت الحجر الأصم): الأداة الأولى تمثل ما نقرره أصلاً في صميم أنفسنا: وهو الإزميل الذي نتناوله باليد اليسرى، أي العنصر السلبي، الذي يرمز إلى ما نتلقاه فكراً ونميزه تحليلاً. بينما الأداة الأخرى التي تجسد الإرادة المنفّذة: أي المطرقة، فهي رمز السلطة، التي نشهرها باليد اليمنى،

أو لنقل العنصر الإيجابي، المرتبط بالطاقة الفعالة والإرادة الأخلاقية التي ينبع عنها كل تحقق فعلي على أرض الواقع»[1].

ومن الأدوات الأساسية التي يستعملها البنّاء، القائم والمستوي، وهذا (المستوي) الذي كما قال بلانتاجينيت: «... يمثل... العدالة الفطرية التي لا علاقة لها بتدرج القيم إنما يذكرنا دائماً بأن علينا معالجة كل الأمور بصفاء»[2]... أما القائم فهو كما قالت جيدالج: «... رمز البحث ـ المتعمق ـ في الحقيقة، ورمز الثقة بالنفس والتوازن الذي يبدو وكأنه يقود إلى غرفة الوسط»[3]... لهذا، يقولون في الماسونية، أنه عندما يصبح المبتدئ رفيقاً فإنه ينتقل من المستوي إلى القائم.

وأخيراً كأدوات، هناك المسطرة والعتلة والمالج... تلك التي تتجلى قيمتها بكامل أبعادها في الدرجة الثانية أي في درجة الرفيق، من خلال ما يرمز إليه كل منها خلال «الرحلات الخمس» لهذه الدرجة، والتي هي (حسب الطقس) كما يلي:

جدول يبين الأدوات حسب الرحلات والطقس بالنسبة لمريد الدرجة الثانية أي الرفيق:

الرحلة	الطقس الاسكتلندي	الطقس الفرنسي	الحق الإنساني
الأولى	المطرقة والإزميل	المطرقة والإزميل	المطرقة والإزميل
الثانية	المسطرة والفرجار	الزاوية والفرجار	الزاوية والفرجار
الثالثة	المسطرة والعتلة	المسطرة والعتلة	المسطرة والعتلة
الرابعة	المسطرة والزاوية		الفرجار والكتاب[4]
الخامسة	الأيدي حرة	المالج	الأيدي حرة

(1) - Oswald Wirth; Le livre du compagnon.

(2) - Plantagenet; Causeries en chambre de compagnons.

(3) - Dic. Rhea. Art. «Fil a plomb».

(4) هذا الكتاب هو عادة توجهات المنحى الذي يتبع له المحفل.

وهي رموز سنحاول توضيحها بشكل أفضل ضمن سياق بحثنا الذي يقودنا بطبيعة الحال إلى بعض التوسع في الدرجات الأساسية للماسونية. ونبدأ بـ:

رمزية الدرجة الأولى أو... المبتدئ:

1 ـ لأنه حين يدخل «المريد» الذي ما زال جاهلاً (profane) غرفة التأمل، وهي كما يفترض غرفة صغيرة متشحة بالسواد، فإنه يجد أمامه بقايا هيكل عظمي وجمجمة ومنضدة صغيرة وضع عليها بعض أدوات الكتابة ـ محبرة وريشة وورق ـ وأيضاً. . . يجد على المنضدة نفسها قطعة خبز وإبريق ماء وإبريق آخر يحتوي على بعض الكبريت ووعاء يحتوي على بعض الملح. . . وعلى جدران هذه الغرفة يجد معلقاً بعض الشعارات الغريبة التي تبدو وكأنها تخاطبه حين تقول مثلاً وليس حصراً أنه:

«إن دخلت إلى هنا بدافع من الفضول فاخرج من فضلك. . .».

«وإن شعرت بالخوف يتملك نفسك فتوقف ولا تستمر. . .».

« ولكن إن قررت الاستمرار، فستتحرر من عناصرك، وتخرج من أعماق الجحيم، وترى النور». . .

ويجد أيضاً، (معلقاً) على أحد الجدران، لوحة رمزية تزين الغرفة، وعليها رسوم وكلمات غريبة، كصورة ديك، وأحرف V.I.T.R.I.O.L. وأشياء أخرى. ذلك أنه يتوجب على المريد في هذا «السجن» إعادة التفكير في حياته الماضية، وتحديد ما يبتغيه من حياته الجديدة المفترضة. كما يتوجب عليه الإجابة بصدق على الأسئلة الثلاثة التي ستطرح أمامه. وأن يكتب وصيته. . . فماذا يعني كل هذا؟

ـ يعني أنه بعد خروجه من هذا المكان سيكون المريد قد مات بالنسبة لحياته الماضية. وأنه أصبح مستعداً لمجابهة مسؤوليات ما تتطلبه حياته الجديدة. تلك التي يتوجب عليه ههنا (وفي هذه الغرفة بالذات) أن يتهيأ لها.

ـ يعني وكتحصيل حاصل، أن عليه من أجل ذلك الغوص في أعماق نفسه، إن لم نقل في أعماق جحيمه. وهذا تحديداً ما تعنيه إختصاراً أحرف V.I.T.R.I.O.L. التي إن أعدناها إلى أصلها اللاتيني Visita «Interiora Terrae Rectificando Invenice Ocultum Lapidem». تعني «قم بزيارة باطن الأرض تجد صخرة الحكمة المستورة». . . وحيث الكبريت والزئبق (والديك) والملح هي المبادئ الباطنية الثلاثة

التي يرمز أولها إلى العنصر المذكر وثانيها إلى العنصر المؤنث وثالثها إلى العنصر الحيادي... أما الخبز والماء فهما يرمزان إلى ما هو أساسي في هذه الحياة حيث يتوجب على المريد تعلّم ضرورات التقشف وأهميته.

ويجيب «المريد» كتابةً على ما يطرح أمامه من أسئلة ثلاثة قد تكون ربما «من أين أتينا؟ ومن نحن؟ وإلى أين نسير؟» ويكتب ما يصطلح على تسميته «وصيته الفلسفية». ثم يجرِّد من معادنه (أي مما هو بحوزته في حينه من مال وزينة وأشياء مادية أخرى) فيسلمها إلى «خادم المحفل». ويُكشف عن الجانب الأيسر من صدره، وبعد تجريده من نعليه يكشف عن ركبته اليمنى، ويلبس خفّاً في قدمه اليمنى، ثم تعرى قدمه اليسرى. وتغطى عيناه بضماد كثيف يمنعه من الرؤيا...

هذا يعني رمزاً أن عليه أن يكون صادقاً (ما يرمز إليه كشف منطقة القلب)، متواضعاً (ما يرمز إليه كشف الركبة اليمنى)، وأن يحترم المكان المقدس الذي هو على وشك تجاوز عتبته (ما ترمز إليه تعرية القدم اليسرى). وأنه ما زال حتى هذه اللحظة أعمى (ما يرمز إليه الضماد الذي يمنعه من الرؤيا).

2 ـ ثم يؤذن له بعد هذا، بأن يطرق بوابة المحفل التي تنفتح أمامه بصخب... تلك البوابة التي يُسمح له بتجاوز عتبتها شريطة أن يكون حرّ المولد وحسن الأخلاق... فيتقدم إلى داخل المحفل ورأس سيف متألق يضغط بنعومة على صدره. ويقوم برحلاته الرمزية الثلاث، تلك التي يصفها أوزفالد فيرث[1]، كما يلي...

الرحلة الأولى: «... لأن مسار المرء الذي يبدأ التدرب على التفكير الحرّ يكون بادىء ذي بدء كمسار الأعمى. فإننا نراه ينطلق مبتدئاً من الغرب (الذي يرمز إلى العالم الحسّي والملموس)، فيتجه نحو ظلمات الشمال عبر تلك الغابة التي وصفها دانت وحيث يتواجد مختبئاً الغصن الذهبي الذي هو رمز مفتاح أبواب الجحيم. فيتعلم التعميم والاستنتاج وغالباً ما يخطىء... لذلك نراه يعيد الكَرَّة من جديد مصححاً أخطاءه. ما يقوده شرقاً إلى عالم التجريد... ثم يدفعه غرباً (إلى العالم الحقيقي)... وتكون رحلته الأولى هذه مليئة بالأشواك، فيرتفع فيها إلى القمة ثم يهبط فجأة إلى الأعماق. ويشعر في نهايتها بتعب شديد، وبشعور مرير بالفشل...».

(1) - Oswald Wirth; «La franc-maçonnerie rendue intelligible à ses adeptes», L'apprenti.

الرحلة الثانية: «... لأن فشله في الأولى لا يدفعه إلى اليأس. لذلك نراه يحاول تلمّس مسببات أخطائه، فيعود أدراجه. ويتقدم بحذر فتتملك الحيرة نفسه... لكنه، في هذه الرحلة، التي تتحقق فيها معموديته الفلسفية (بالماء)، تعود إليه ثقته بنفسه... فيتعلم التفكير بحرية بمفرده، من دون أن يصبح أسيراً لرأي الآخرين... لكن، الحكمة التي تعلَّمها في هذه الرحلة لا تكفي حيث ما زال عليه إتمام...»

الرحلة الثالثة: «... تلك التي يتوجب عليه فيها التعرف إلى مملكة الجحيم، وهي رمز الحقيقة المختبئة في أعماق قلبه. وأن يجرب لهيب نارها... لكن المريد السائر بخطى واثقة سرعان ما يتجاوز هذه المرحلة بلا صعوبة ويصل إلى هدفه. فيتملكه شعور عميق بالراحة وبالثقة. تلك الثقة الناتجة خاصةً عن حبه العميق للآخرين. وعن هذه النار التي يفترض أن تبقى دائماً في قلبه متألقة لا تنطفئ»...

ويشرب المريد بعد هذا من «كأس المرارة». والتي هي (رمزاً) كأس المسؤولية والحرية. ثم، بعد أدائه القسم أمام الهيكل، وتعلّم الإشارة وكلمة السرّ المتعلقة بدرجته تعاد إليه معادنه، ويصبح المريد المبتدىء متدرباً.

ـ في رمزية الدرجة الثانية أو الرفيق:

لأنه «... عندما يتملك المتدرّب ما يكفي من الفهم النظري بحيث يصبح بوسعه استيعاب طقوسية مساررته الأولى، يصبح بإمكانه التطلع إلى المساررة الثانية. عندئذ، يعود الأمر لأستاذه كي يقترح تقديمه إلى المحفل من أجل الحصول على الترقية التي أضحى يستحقها. لكن المشغل لا يعطي قراره إلاّ بعد الاستماع إلى المرشح الذي يتوجب عليه، وأمام باقي الممتهنين، الإجابة على ما يطرح أمامه من أسئلة تتعلق بالدرجة الأولى... ولعل أهم سؤال يتوجب على المريد إجابته في حالنا هو من نحن؟[(1)]».

ويتحضّر المريد لتلقي راتبه الأعلى لكن التحضير في هذه الدرجة، وحسب أوزفالد فيرث، هو تحضير أخلاقي من حيث الأساس[(2)]. بمعنى أنه في هذه المرحلة

---

(1) - Oswald Wirth; «La franc-maçonnerie rendue intelligible à ses adeptes», Le Compagnon.

(2) هذا بالنسبة للطقس الفرنسي، أما في الطقس الاسكتلندي، فإن طقوس التحضير، حسب جول بوشيه، مشابهة إلى حدّ كبير لطقوس التحضير للدرجة الأولى.

بات يتوجب عليه أن يوضِّح لإخوانه في المحفل «. . . ماذا أعدّ في قلبه للحصول على درجته الثانية[1]». . .

ونسجل هنا مع الأسف، ما نلاحظه بشكل عام في الحياة، أن هذه الدرجة التي يفترض أن تكون الأهم والمرتكز والأكثر اتساعاً في الماسونية، هي عملياً على أرض الواقع أقلها اتساعاً، وأقلها أهميةً. وهذا قد يعود ربما ـ حسب جول بوشيه[2] إلى عدم تفهم الماسون بمعظمهم لما تعنيه رمزية «الرحلات الخمسة» المرتبطة بهذه الدرجة الأساسية. تلك الرحلات التي يقوم بها المريد بعد أدائه القسم، والتي سنحاول إيجازها كما يلي:

الرحلة الأولى: التي من المفترض أن يكتشف المريد فيها ما تعنيه الحواس الخمسة، أو ربما كما عبر أوزفالد فيرث رمزاً «. . . تعلم استعمال أدوات مهنته. . .». «. . . لأن النظرية تبقى بلا فائدة ما لم تقدنا إلى التطبيق العملي. كما أن العمل يفرض نفسه بنفسه على المريد ما دام يرى الأمور بوضوح وما دامت الغشاوة قد زالت عن عينيه. لهذا فإن من أهم واجبات التدرب على العمل من خلال الثقافة المنطقية وقوة الإرادة. لأن عليه إتمام تنوير نفسه وتعلم استعمال هذه الإرادة. وأدواته المعبرة في هذه الرحلة هي المطرقة والإزميل[3]». . .

الرحلة الثانية: يتعلم المريد الطامح لأن يصبح رفيقاً معنى الأنظمة الهندسية الأربعة (أو الخمسة حسب بعض المراجع). تلك التي أدواتها الرئيسية الفرجار والمسطرة حسب الطقس الإسكوتلندي (أو الزاوية والفرجار حسب الطقس الفرنسي والحق الإنساني). «. . . لأن المسطرة والفرجار يعلمان كيف نوفق بين المطلق والنسبي؛ ما يعني أن لا نرفع مثاليتنا أعلى مما تتوجبه الأمور، ما يعني أيضاً أن لا نطلب أبداً شيئاً يستحيل تنفيذه، وما يعني أخيراً أن نتجنب الوقوع في أي تصلّب عقائدي غالباً ما يخطىء مساره على أرضية الواقع. من هذا الإدراك، لا يبقى من عائق أمام النفس سوى تلك العوائق التي تضعها المادة والتي يتوجب قياسها وتجاوزها بصبر وذكاء[4]». . . خاصةً، وأنه ما زال

---

(1) - Oswald Wirth; «La franc-maçonnerie rendue intelligible à ses adeptes», Le Compagnon.

(2) - Jules Boucher; «La symbolique Maçonnique».

(3) - Oswald Wirth; «La franc-maçonnerie rendue intelligible à ses adeptes», Le Compagnon.

(4) - Ibid.

يتوجب على الرفيق أن يتفهم كل أوجه وأبعاد مهنته، ما يعني رمزاً متابعة المسير أو لنقل القيام بالرحلة الثالثة.

الرحلة الثالثة: تلك التي أدواتها الرئيسية، وفي مختلف الطقوس، المسطرة والعتلة. والتي يربطها الطقس الفرنسي رمزاً بالعلوم بينما يربطها الطقس الإسكوتلندي بالفنون الحرّة السبعة التي يتوجب على الماسوني كما يقول بلانتاجينيت «. . . أن يصونها كصميم إيمانه، وكما كان يقدمها رمزاً الدستور القديم للـ«البنائين» العمليين. تلك التي هي تعداداً القواعد والبلاغة والمنطق والحساب والهندسة والموسيقى وعلم الفلك، هذه الفنون التي يتلقى المريد المبتدىء، وإلى يومنا هذا، التعاريف المتعلقة بها[1]». . . وتتجسد هذه العلوم من حيث الرمز بالعتلة التي «. . . كما تتجلى في المساررة، ليس بوسع أي شيء أن يقاوم قوتها. إلى حدّ أن أرخميدس حين تحدث عنها كمسار ادعى أن بوسعه بواسطتها رفع العالم[2]. . .

الرحلة الرابعة: التي أدواتها وفق الطريقة الإسكوتلندية المسطرة والزاوية. وحيث يتعرّف المريد (حسب نفس الطريقة) إلى الفلاسفة الخمسة، والذين هم تعداداً وفق هذه الطريقة: صولون، سقراط، ليسورج، فيثاغوراس ويسوع. . . وهو تعريف يتجاهله أوزفالد فيرث الذي يفضل من ناحيته هنا أيضاً التقيد برمزية الأدوات. تلك التي هي في الحقيقة مسار في منتهى العمق. لأنه يوصلنا في النهاية إلى الرحلة الخامسة. . .

الرحلة الخامسة: والتي يؤكد أوزفالد فيرث بشكل أساسي على طابعها التأملي. «. . . لأنه، وبعد أن يكون قد بذل كل جهده، يصبح من واجب الرفيق تكريس بعض الوقت للتأمل. أي للاستيعاب الداخلي للملاحظات التي تراكمت عنده خلال رحلاته الماضية. وهي اكتشافات عميقة بات عليه هضمها. وهذا أمر لا يتم مباشرة ولا بسهولة[3]». . .

إن الطابع العملي لهذه الرحلات قد يفسر ربما، حسب جول بوشيه، عدم الاهتمام الكافي للماسون بهذه المرتبة[4]. لكنه، لا يبرره إطلاقاً. لأن التجاوز السريع

---

(1) - Plantagenet; «Causeries en Chambre de Compagnon»; p. 79

(2) - Oswald Wirth; «La franc-maçonnerie rendue intelligible à ses adeptes», Le Compagnon.

(3) - Ibid.

(4) - Jules Boucher; «La Symbolique Maçonnique».

لهذه المرتبة، دون استيعابها كما يجب، هو في الحقيقة تكرار ولو رمزي، ولو غير مقصود ربما، لقتل حيرام الذي يدعي الماسون الانتساب إليه... الأمر الذي سنحاول تفسيره بمزيد من التفصيل لدى تعرضنا لرمزية الدرجة الثالثة. تلك التي قبل الانتقال إليها نجد من الضروري التوقف قليلاً أمام بعض أهم الرموز المتعلقة بالدرجة الثانية.

ـ النجمة المتوهجة أو النجمة الخماسية:

لأن هذا الرمز هو الأكثر أهمية في هذه المرتبة. لذلك يتوجب على الرفيق التأمل ملياً في معانيه. وذلك ربما لأنه كان من أكثر رموز الفيثاغوريين قداسةً. لأنه يعيدنا مباشرة إلى الرقم الذهبي الذي كان هؤلاء أول من اكتشفه... ولإنه قد يكون ربما مشتقاً من أكثر الرموز المصرية القديمة قداسةً، ونقصد بهذا رمز الصليب المصري أو العنخ...

أمّا حرف الـ G الذي يتوسط النجمة، فإنه قد يكون اختصاراً لكلمة إله God بالإنكليزية حسب البعض، أو قد يعني أيضاً المجد Glory أو العظمة Greatness أو الهندسة Geometry أو الغنوص Gnosis في نفس اللغة حسب البعض الآخر، وهو قد يكون ربما أيضاً اشتقاقاً لرمز الملح حسب السيميائيين. وقد يعيدنا أصله إلى الحرف اليوناني G والذي هو أصلاً رمز الزاوية.

وأيضاً هناك العمودان اللذان أنشأهما حيرام لبوابة الهيكل. وهما كما ورد ذكرهما في العهد القديم (التوراة) «... العمود الأيمن ودعا اسمه ياكين... والعمود الأيسر ودعا اسمه بوعز[1]»... وهما يشكلان مدخل الهيكل أو لنقل في حالنا، مدخل المحفل. هذان العمودان اللذان يقف مراقبا المحفل أمام كل منهما. فيقف المراقب الأول أمام العمود الأيمن (أو الجنوبي) ويقف المراقب الثاني أمام العمود الأيسر (أو الشمالي).

وأيضاً هناك الدرجات السبعة التي ترمز ربما، حسب أوزفالد فيرث، إلى السنوات السبعة التي كان على المريد المبتدئ (وفق التقاليد الفيثاغورية) قضاؤها قبل أن يسمح له بأن يصبح رفيقاً. ما يؤكد، ربما أيضاً، صحة وجهة نظرنا المتعلقة بالأهمية القصوى لهذه الدرجة التي ضمرت وأضحت مهملة، والتي أضحى المرور بها يتم كمرور الكرام...

---

(1) العهد القديم؛ الملوك الأول؛ الإصحاح السابع، 21.

وأيضاً هناك النوافذ الثلاث التي يتلقى منها الرفيق في المحفل النور من الخارج. على عكس ما كان عليه الأمر في درجة المبتدئ حيث كان المريد المبتدىء يتلقى النور من داخل الهيكل فقط.

وأيضاً، هناك السيف المتوهج الذي يرمز لواجب الدفاع عن المحفل والمقرون بالمالج تلك الأداة الأساسية التي كان يستعملها البناء في المقابل لتحريك وتناول الإسمنت (أو الجبصين) كعنصر ضروري يؤمن لحمة وتماسك حجارة البناء.

وأخيراً، هناك لوحة الكتابة أو المرسم، التي هي أساساً من أدوات الأستاذ، والتي من المفترض أن يطلع عليها ويتفهمها الرفيق كي يتمكن من قراءة المخططات واستعمال الأحرف والأرقام الرمزية التي تلقنه هذه المرحلة مبادئها الأولية. وهذا ما ينقلنا بشكل طبيعي إلى رمزية الدرجة الثالثة...

ـ رمزية الدرجة الثالثة أو الأستاذ:

تلك المرتبة التي يفترض أن يكون الأستاذ الماسوني قد تعلم فيها نظرياً ممارسة أسرار فنّه. ذلك الفن الذي تدعوه الماسونية بـ «الفن الملوكي». فما هو هذا الفن يا ترى؟ أتراه كما قال بلانتاجينيت[1] الذي كان يعتقد بأن «جماعة الوردة + الصليب هم أصل الماسونية التأملية»... فنّ الحكم في ظل الفعل الشمسي، أي الحكم ليس بالقوة المباشرة وإنما بقوة الروح. حكم هو في الحقيقة للإنسانية وليس للأمم. حكم ليس مجاله الكون اللانهائي إنما محدودية هذه الأرض التي هي أرضنا. لذلك نتفهم لماذا نسبت ممارسة الفن الملوكي إلى الماسونية. فممارسة السلطة على أرض الواقع قد أفسدت الملوك والحكام جاعلة من «حقهم الإلهي» الذي تستند إليه سلطتهم مجرد شعار أفرغ من محتواه، عندما أصبح هذا الفن على يدهم مجرد ممارسة ظاهرية لحكمة زال عنها كل ما كان يجعلها في الماضي سرانية ومتلقاة.

لذلك نلاحظ «إعادة إحياء هذه الحكمة في هياكل الماسونية، لأنهم يعتبرون أن الكنائس قد دنست الديانات باطنيتها وشوهت وحورت تعاليمها...»؟ كما عبّر أوزفالد فيرث[2] مجرد «... سرّ ديني تناقله البناؤون منذ القدم. سرٌّ لم يعد قويماً حين لم تعد

---

(1) - Plantagenet; «Causeries en Chambre du Milieu».

(2) - Oswald Wirth; «Les Mystéres de l'Art Royal».

المسيحية المنتصرة في زمانها تتقبل أية عقيدة إلاّها. مما فرض على البنّائين من باب الاحتراز التستر وراء سليمان. الأمر الذي أضعف الشكوك بالتقاليد المعمارية المتوارثة والتي أضحت آنذاك مسيحية...»؟ على كل حال، وسواء صحّ التفسير الأول، أم التفسير الثاني، أم الإثنان معاً، فإن سرّ الفن الملوكي وما يتبعه من رمزية لهذه المرتبة إنما يدور بشكل أساسي حول أسطورة باني هيكل سليمان، نقصد، أسطورة حيرام...

حيرام الذي كان، كما سبق وأسلفنا في القسم الأول من بحثنا، البنّاء الحقيقي لهيكل سليمان؛ والذي كما تقول الأسطورة الماسونية، قتله رفاق سوءٍ حاولوا أن ينتزعوا منه «الأسرار المقدسة لمرتبته المهنية العليا».

إن هذه الأسطورة الأساسية والأجمل في الماسونية، هي التي يتوجب أن يعيشها رمزاً، وبكامل طقسوها، الرفيق الطامح إلى الأستذة. وهذا ما يقصّه علينا راجون[1] حين يقول أنه: «... كان هناك مهندس متمكن من مهنته، معلم يدعى حيرام، ويتمتع بكل المهارات والمزايا. وقد جاء من تلك البلاد التي يلد النور منها، وعمل سبع سنوات متتالية في بناء هيكل كان يبغي من خلاله جمع البشر تحت سقف عقيدة واحدة، ألا وهي عقيدة الحقيقة. وكان هذا المعلم ينسِّق بين مكونات وأجزاء عمله بفن وبحكمة. فيستيقظ مع الصباح، ويراقب خلال النهار سيرورة العمل وتقدمه. متابعاً عماله الكثر الذين كان قسّمهم إلى ثلاث مراتب هي: المتدربون، والرفاق والأساتذة (أو المعلمون)؛ بحيث كان لكل مرتبة كلمة سرّها الذي بموجبه كانت تقبض استحقاقها. فكان المتدربون يقبضون راتبهم عند العمود (ي...)؛ والرفاق يقبضون راتبهم عند العمود (ب...)؛ أما الأساتذة فكانوا يقبضون راتبهم في غرفة الوسط. وكانت الأعمال قد شارفت على نهاياتها، عندما قرر ثلاثة رفاق، غير راضين بما كانوا يتقاضونه من استحقاق، ومتعطشين للحصول بسرعة على المرتبة الأعلى، (قرروا) أن بوسعهم بالقوة انتزاع كلمة سرّ هذه المرتبة. وكان هؤلاء يعلمون أنه عند الظهيرة وحين يذهب الجميع للغداء، كان حيرام يتفقد ورشات البناء لوحده. لذلك قرروا، ومن أجل تحقيق مآربهم، انتظاره عند بوابات الهيكل الثلاث. ويحضر حيرام عند الباب الجنوبي؛ فيجد رفيقاً يطلب منه مهدداً تلقينه كلمة سر المعلم؛ فيجيبه حيرام أن ليس بوسعه

---

(1) - Ragon; «Rituel du grade de Maitre».

الحصول عليها بهذه الطريقة، وأن عليه من أجل هذا أن ينتظر بصبر حلول وقته. لكن الرفيق الذي لم يعجبه الجواب، ضرب المعلم بالمسطرة على رقبته. فيتراجع حيرام متفاجئاً نحو البوابة الثانية حيث يجد رفيقاً ثانياً بانتظاره ليسأله نفس الطلب؛ والذي، أمام رفضه الاستجابة ضربه مجدداً ضربة قوية بالزاوية على قلبه. فيهرب حيرام مترنحاً من الألم نحو البوابة الثالثة حيث كان ينتظره الرفيق الثالث؛ والذي أمام رفضه المتكرر إعطاءه كلمة سر المعلم ضربه ضربة قوية بالإزميل على جبينه، وتكون هذه هي الضربة القاضية التي أردته قتيلاً.

ويجتمع القتلة بعدما فعلوا فعلتهم ويتساءلون حول كلمة سرّ المعلم التي لم يستطيعوا الحصول عليها، فيتملكهم اليأس لارتكابهم جريمة من دون جدوى، ويقررون إخفاء آثار هذه الجريمة، فيحملون الجثة ويخبئونها بين الأنقاض أولاً، ثم عندما يحل الظلام، يأخذونها إلى خارج المدينة حيث يدفنونها في التراب عند أسفل تلة قرب الغابة ويغطون المكان للتمويه بغصن من نبتة السنط أو الفضّة. ولكن... سرعان ما يتنبه العمّال لغياب المعلم. فيسودهم شعور بأن كارثة وقعت بسبب أولئك الرفاق الثلاثة الذين تغيبوا في حينه عن النداء. وبسرعة يجتمع المعلمون في غرفة الوسط التي جللوها بالسواد، وبعد أن تركوا العنان بعض الوقت لعواطفهم المتأججة من هول الكارثة، يقررون بذل ما في وسعهم كي يجدوا جسد رئيسهم ليدفنوه (إن كان ميتاً) في قبر يليق بمقامه. ويرسلون للبحث عنه تسعة معلمين قسّموا إلى ثلاث مجموعات. وتذهب كل مجموعة في اتجاه مختلف... «وبعد بحث مضن، يجد أحد هؤلاء المعلمين حفنة تراب بدت له وكأنها قد ردمت حديثاً وتغطيها نبتة السنط (أو الفضّة). فينتزع النبتة وتبدو أمامه جثة المعلم التي كانت بدأت تتفسخ. فيصرخ صرخة رعب عظيمة ويستنجد بزملائه...

ونتوقف هنا قليلاً. لأنه لما كانت كل الغاية من هذه القصة ـ الأسطورة ـ التي تشكل في الماسونية التأملية أساس رمزية طقس الدرجة الثالثة أو الأستاذ هو، حسب نفس المرجعية[1]، «... إفهامنا بأن الكذب والجهل والطموح الفارغ هي الأوبئة الرئيسية المدمرة التي تسبب شقاء البشر. فإنه من الأهمية بمكان إعطاء هذه المرتبة وطقوسها كامل ما تستحقه من اهتمام وشروحات أخلاقية وفلسفية...».

---

(1) - Ibid.

ونعود إلى أوزفالد فيرث الذي يقدم شرحاً متميزاً للطقسية النقلية لهذه المرتبة مبتدئاً بما يدعوه السير التراجعي (La Rétrogradation)[1] يقول: «... عندما يصبح الرفيق جديراً بهذه المساررة العظيمة، فإنه يقاد إلى مدخل مكان مظلم حيث يدعى إلى السير ببطء متدرجاً نحو الخلف وظهره باتجاه الظلام. ذلك (الظلام) الذي سرعان ما يحجب بكثافته رؤية ذلك الشخص الجسور الطامح إلى النور الكامل. لأنه ككل شيء في الماسونية، كذلك فإن لهذا المسير التراجعي تأويلاته المختلفة... هذه التأويلات التي من أهمها ربما أنه للحصول على الأستذة فإنه من الضروري جداً التملك العميق لكامل تعاليم الدرجتين الأولين. من هنا تأتي ضرورة استعادة الأستاذ المقبل لكامل مساره المهني وحتى هذه اللحظة.

ويعيد الرفيق مساره متطلعاً إلى النجمة المتوهجة لأنها وحدها نجمة الإدراك هذه تنيره خلال تراجعه مبتدئاً بالرحلة الخامسة... والتي عليه فيها هذه المرة التأمل بما تعنيه تصوراته الخاصة... وحيث (متجرداً من أوهامه) يتوجب عليه أن يدرك بأن جميع الأشياء إنما هي رموز في النهاية؛ لذلك فلا ننخدع بالمُرَمَّز إنما دعونا ندخل إلى عمق الرمز نفسه.

ويدرك الرفيق أن ليس بوسعه البتة، في الواقع، تملك الحقيقة الكلّية. تلك التي لا يمكن لأية معادلة الإحاطة بها. لكن، ولما كان ما زال يتوجب عليه العمل بثقة، لهذا نراه سرعان ما يجد أمامه وقد عاد إلى رحلته الرابعة، أدوات هذه الرحلة؛ نقصد الزاوية والمسطرة...

وأيضاً، لما كان لا يكفي المعلم مجرد الثقة بنظامه الخاص. ولأنه إن كان بتحقيقه الحجر المكعب المنحوت، إنما يؤثر حتماً على محيطه الذي يرفعه إلى حال تبلور مشابه؛ فإنه يبقى من المفترض أن يعمل بحزم وبقوة لرفع أثقل الأحمال... مما يستدعي استعماله للعتلة التي هي أداة رحلته الثالثة خلال مساره الرفاقي.

ثم يعيد رحلته الثانية مستلهماً المسطرة والفرجار... (المسطرة التي تعيده دائماً إلى الواقع من خلال محدودية قياسها) لأنه وإن كان الفرجار هو أداة المعلم استحقاقاً فإن الإحساس بالواقع (أي المسطرة) هو ما يجعل منه في النهاية أستاذاً.

---

(1) - Oswald Wirth; «La franc-maçonnerie rendue intelligible à ses adeptes», Le Maitre.

ولأن على المعلم أن يتعلم القيادة من خلال استعمال المطرقة والإزميل، فإنه لن يتردد في استعادة رحلته الأولى كرفيق، ما يذكّره دائماً بأن عليه، وباستمرار، السعي والعمل على تحسين نفسه...

ورغم أن الرفيق يكون قد حاول جاهداً أن لا يفقد من ناظره خلال رحلاته التراجعية الخمس هذه النجمة المتوهجة، إلاّ أنه سرعان ما يلاحظ بأن نورها قد بدأ يتلاشى عن ناظره، ما يعيده مجدداً لحال يسود حوله فيها ظلام دامس. فيشعر وكأن الضماد قد عاد ليوضع مرة أخرى على عينيه. ويعود ليتجرع مجدداً من كأس المرارة. ما يعني أن عليه تحمل كل الصعاب في سبيل أداء مهمته»... وبالتالي، استمرار المسار التراجعي من خلال استعادة الرحلات الثلاث لتلك المرحلة التي كان فيها مبتدئاً. ما يفهمه بأن عليه دوماً التعلم وإعادة التعلم بلا كلل، الأمر الذي يعيده في النهاية إلى ما قد يبدو بالنسبة له من جديد وكأنه غرفة التأمل. وحيث يتساءل عن «... تلك الهياكل العظمية المضيئة التي يراها أمامه وعن هذه الدموع المتألقة التي تتحرك على الجدران. وكأن أمواتاً عدة قد ملأوا هذه الغرفة[1]»...

ويكون الرفيق ـ المعلم قد أصبح في الواقع في غرفة الوسط. تلك الغرفة التي يكرَّس فيها الأستاذ والتي نستعيد بعضاً مما قاله عنها بمنتهى العمق الرمزي والجمالية، أوزفالد فيرث حيث قال «... كما كان الأمر بالنسبة لـ(الأسرار الصغيرة) في العصور القديمة، والتي كانت تهيئ فقط النفوس المنتقاة للمسارّة الكبرى المخصصة، كذلك هو الأمر حالياً بالنسبة للماسونية التي يجري تلقينها على مرحلتين، لأن ما يتعلمه المتدرب المبتدئ والرفيق يتتاليان، ثم سرعان ما نراهما يتحدان ليشكلا معاً مجمل البرنامج التحضيري الذي يستكمله الأستاذ. لأنه لا يمكن الحصول على هذه المرتبة مسبقاً. فهي المحصلة المنطقية للتقدم الحاصل بسبب ما سبقها. لذلك فإنه من الواجب التملك العميق للمرتبتين الأوليين قبل التطلع إلى الثالثة. من هنا تأتي الأهمية الرمزية للمسار التراجعي من أجل العودة إلى نقطة البداية، والانطلاق منها في اتجاه جديد.

لكن تراجع طالب الأستذة لا يؤدي به إلى السرداب الضيق لدفنه حيث مات في المرحلة الأولى، إنما يجعله يغوص أعمق بكثير هذه المرة في باطن الأرض إلى حد

---

(1) - Ibid.

ولوج ذلك المركز حيث يتكون فكره الخلاّق. فوحده هذا الفكر الخلاّق بوسعه أن يحيي الحقيقة الميتة وأن يعيد الحياة إلى تلك المؤسسات التي دمرها الفساد.

فقد أصبح الآن في هذه المغارة العميقة حيث تحاك تلك المؤامرة الأزلية، أصبح في كهف ميترا حيث يعود ليحيا ذلك النور المحتجب بشكله الأكثر تألقاً. في هذا القبر حيث يدفن الماضي ويتكون المستقبل. في هذا المكان الباطني والمستور الذي لا يمكن ولوجه إلاّ من قبل المسارّين الجديرين بتلقي أعلى التجليات. إن هذا الحرم الذي لا يعرفه إلاّ الأساتذة (المعلمون)، إن هذا المكان هو غرفة الوسط.

لذلك، توجب الأمر بالنسبة للرفيق الذي سُمح له بدخول هذه الغرفة تقديم ضمانات جادة. بأنه كان عاملاً دقيقاً ومنتظماً وماهراً وذكياً ومخلصاً كما يشهد على ذلك أساتذته. وأنه خاصة، ومن خلال سعيه للأستذة، لا يحركه أي غرور أو طموح دنيء. فهو لم يسع إلاّ إلى تحسين نفسه في هذا الفن العظيم بهدف جعل عمله أكثر نفعاً. وهو لم يعمل إلاّ من أجل تقديم خدمات أكبر، وإفادة أكبر لإخوته ألم... ألا... الأقل موهبة وعلماً منه.

ويُسأل (الرفيق ـ المعلم) بصوت جاد يبدو وكأنه آت من أعماق سحيقة، فيجيب المرشح بكل صراحة. ثم يدعى لأن يستدير وأن يؤكد ما صرّح به بالإشارات وبتمثيل المسار المتعلق بالمراتب التي يحملها.

ويكاد الظلام في هذا المكان أن يكون دامساً لولا تلك الجمجمة المتألقة التي تسمح له أن يميز نعشاً وضع أمامه. ويلمح خيالات أشخاص يبدو وكأنه يتملكهم حزن عظيم.

ويعلم حينئذ أن ما بنته الماسونية قد أصبح مهدداً بالانهيار بسبب اغتيال المعلم الذي كان يقود أعمالها... ويعلم أيضاً أن العمل متوقف الآن، وأنه لن يستعاد قبل أن يطهّر الرفاق صفوفهم. حيث بات من الواجب على كل رفيق أن يبرهن بأنه بريء من جريمة اغتيال حيرام[1]»...

ويكون امتحان المعلّم ـ وكما أوردها جول بوشيه[2] ـ الذي يتوجب عليه أولاً

---

(1) - Ibid.

(2) - Jules Boucher; «La Symbolique Maçonnique«

«. . . إن كان يشعر بالصفاء في قلبه أن يتخطى الجثمان الموضوع أمامه. بدءاً من الرأس». . . ووفق خطوات محددة في ما يتعلق بالطريقة الإسكوتلندية. ثم «. . . بعد الانتهاء من هذه المسيرة يسقط يده اليسرى التي كانت مرفوعة بزاوية قائمة نحو السماء وينزل يده اليمنى من منطقة القلب إلى ما قرب الحالب الأيسر، مبيناً بهذه الحركة أنه مستعد لأن تنتزع أحشاؤه إن لم يقم بواجباته كمعلم.

لقد أصبح الرفيق الآن جديراً بأن يعطى الأستذة، ما يرمز إليه واقع أن الجثمان قد أصبح خلفه[1]». . . ولأنه فهم ما يعنيه التملك التام لنفسه ولمهنته، فإنه ثانياً، يقبل الموت مرة أخرى كي ينبعث مجدداً لحياة جديدة. «. . . ويمثل المعلم الجديد (مع بعض من في الغرفة) مأساة حيرام. فيُضرب (المعلم المريد المرشح) على التتالي بالمسطرة والزاوية والإزميل. ثم، كما كان الأمر بالنسبة لمهندس الهيكل، يُلقى (المعلم ـ الأستاذ الجديد) أرضاً حيث يستلقي على ظهره في ذلك الكفن حيث يحل محل الجسد المفترض لحيرام. فمصيره أضحى من الآن فصاعداً مرتبطاً بكل شيء بمصير المعلم المفقود[2]». . .

ثم تأتي ثالثاً المرحلة الثالثة والأخيرة من طقس هذه المرتبة. حين يجد الأخوة الأساتذة (رمزاً) جثة معلمهم حيرام. فيلتفّون حول الكفن الذي بات يستلقي فيه الآن زميلهم الجديد مشكلين حلقة طقسية. «. . . وينفصل عنهم رئيس المحفل الواقف عند قدمي الميت، فيمسك باليد اليمنى للجثة من المعصم، ويشدها إليه في الوقت الذي يدفعها المراقبان نحوه من الكتفين، وذلك حتى وقوفها تماماً. بحيث يكون المعلم الذي بعث من الموت مواجهاً تماماً للرئيس الذي يتلقاه فتكون قدمه اليمنى ملامسة لقدمه اليمنى وركبته ملاصقة لركبته، وصدره ملاصق لصدره. ويداهما اليمنيان متشابكتان. أما اليد اليسرى لرئيس المحفل فتكون ماسكةً (من أجل سنده) بكتف الجثمان المترنح. فالانبعاث لم يكتمل تماماً بعد[3]».

رابعاً، ما زال يتوجب الأمر إعطاء المعلم الجديد كلمة السرّ التي يفترض أن تلقن له بصوت منخفض جداً من قبل رئيس المحفل. ويوشوش رئيس المحفل في أذن

---

(1) - Oswald Wirth; «La franc-maçonnerie rendue intelligible à ses adeptes», Le Maitre.

(2) - Ibid.

(3) - Ibid.

الأستاذ الجديد كلمة السرّ المتعلقة بهذه المرتبة ويعلمه إشاراتها. بعد هذا، تضاء الغرفة التي كانت مظلمةً بأنوار ساطعة. وتنفتح من جهة الشرق تلك الستارة التي كان يختبىء خلفها «المعلمون المستورون»، ويصبح بإمكان جميع المتواجدين في المكان التواصل في ما بينهم.

وننتهي بهذا العرض المختصر والمعبر تلخيص هذا الطقس الأهم. ولكن أيضاً قبل الانتهاء من عرضنا لهذه الدرجة نرى من الضروري المرور ولو باختصار شديد على بعض أهم رموزها الفلسفية، وخاصة منها، تلك المتعلقة بالأرقام وسرّانيتها. تلك الأسرار التي استقاها الماسون من التقاليد الباطنية القديمة.

ونبدأ بأسرار الرقم السابع «7» الذي لن نستعرض تأريخ ميثولوجيته كما تناقلتها أساطير شعوب الشرق القديمة إنما، نكتفي في ما يتعلق به، بشرح بعض ما تعنيه الرموز السبعة المرسومة في قلب الوردة الثلاثية الدوائر والتي تزين وزرة المعلم.

ترمز الدائرة الذهبية والشمس التي تتوسطها (الدائرة الأولى) للروح التي تحرك المادة ولونها هو الأحمر. بينما ترمز الدائرة الفضية والقمر الذي يتوسطها (الدائرة الثانية) للجوهر السلبي والأساس المتزاوج لكل تشكيل ولونها هو الأزرق. بينما ترمز الدائرة البرونزية أو الرصاصية (الدائرة الثالثة) لزحل أو المادة التي هي الأساس الصلب لأية منشأة ولونها هو الأصفر. أما منطقة تداخل الدائرتين الأولى والثانية، فهي ترمز للإبن الناجم عن تزاوج الأب والأم أو لنقل للمثالية والوعي والمسؤولية والتحكم بالذات ولونها هو البنفسجي. بينما ترمز منطقة تلاقي الدوائر الثلاث للمجال الأوسط أو النجمة المتوهجة التي هي الأثير، لأن لونها الناجم عن تداخل جميع الألوان هو الأبيض. أما تداخل الدائرتين الثانية والثالثة فهي ترمز للزهرة أو لنقل للمودة والحنان فلونها هو الأخضر. أما تداخل الدائرتين الأولى والثالثة فهي ترمز للمريخ أو لنقل للنار الناجمة عن تفاعلات المادة فلونها هو البرتقالي (أي ما بين الأحمر والأصفر).

أما الرقم الثامن 8 فهو يرمز للتوازن الناجم عن الرقم الذي سبقه، وهو رمز بابلي مقدس كان يتمثل في الماضي بتقاطع صليبين مشعين. والرقم 8 يرمز في الماسونية للتجانس البنّاء الذي هو رمز متانة البناء الماسوني الأكبر.

وننتقل إلى الرقم 9 الذي يمكن تمثيله رمزياً بمربع مقسم إلى تسعة أقسام متساوية، وفيه سجلت الأرقام من واحد إلى تسعة، وحيث يمثل الصف الأول درجة المبتدىء أو لنقل السبب. والصف الثاني درجة الرفيق أو لنقل الفعل، والصف الثالث درجة الأستاذ أو لنقل الموضوع.

أما الرقم 10 فيقودنا إلى بعض القبالة أو إلى بعض ما كان يسمى بالعهد القديم بالأرقام أو الأسفار العشرة والتي تمثل رمزاً تلك التي تبغي، من خلال رمزيتها، الربط بين المطلق أو الواحد الذي هو التاج أو الألوهة، بالنسبي أو الخليقة والتي هي العشرة. وذلك مروراً بالإثنين الذي يرمز إلى الحكمة، فالثلاثة التي هي رمز الذكاء، فالأربعة التي هي رمز الرحمة، فالخمسة التي هي رمز الجبروت، فالستة التي هي رمز الجمال، فالسبعة التي هي رمز النصر، فالثمانية التي هي رمز المجد والجلال، فالتسعة التي تشكل الأساس غير المادي لكامل البناء.

وننتقل إلى الرقم 11 رمز القوة السحرية وهذا يفسره ربما، أن هذا الرقم، مؤلف من جمع رقمين هما الخمسة التي ترمز إلى العالم الأصغر أو الميكروكوزم والستة التي ترمز إلى العالم الأكبر أو الماكروكوزم.

أما الرقم 12 وهو الرقم المطابق للتقسيم الأقدم للدائرة التي هي رمز الكمال. وننتهي بهذا من رمزية الدرجة الثالثة وننتقل إلى القسم قبل الأخير من هذا الفصل من بحثنا والمتعلق بالدرجات العليا.

ـ الدرجات العليا:

تلك التي نكتفي في ما يتعلق بها بنقل ما يقوله عنها بعض الأساتذة. كأوزفالد فيرث مثلاً الذي يرى أن «. . . القمة في الماسونية هي الأستذة: فمن يشعر بنفسه أستاذاً عن حق وحقيق لا يفترض أن يطمح لأي شيء آخر. لكن، لما كان الواقع ليس كذلك مع الأسف. لما كان كل من مثل دور حيرام لم يتشبع حقيقة روح طقسه. لما كان معظم من تلقى هذا الطقس إنما تلقاه بشكل منفعل ومن دون أن يتأثر به في العمق. لذا نراهم بقوا كما كانوا (على حالهم). ما يجعلنا نتساءل: كم من أصل أولئك الأربعة ملايين ماسوني الذين يحملون المرتبة الثالثة، هم في الواقع أساتذة حقاً؟! وحول كم

من المحافل يحق لها الادعاء حقيقةً بأنها محافل «صاحبة حق وكاملة»، وهل من يديرها هم أساتذة عن فعلاً؟!

ونجد أن الماسونية الرمزية بمجملها ما هي في الواقع، ومع الأسف، إلاّ رمز لما كان يفترض أن تكون في الحقيقة. ونجد أن الماسون قد انتبهوا إلى هذا الأمر منذ القرن الثامن عشر، أي منذ بدأت الماسونية بالانتشار. حيث لوحظ أن من كانوا يُدعَون الأستذة، لم يكونوا أساتذة فعلاً. وأن من كانوا يبتغون تطوير أستذتهم، إنما كانوا بحاجة إلى مشاغل أنشئت خصيصاً لهذا الغرض.

لهذا، يفترض أن يتم انتقاء الأفضل من بين المعلمين الإيكوسيين الذين برّروا في العام 1740 تشكيل درجة رابعة من المعلمين الفعليين الذين كانوا ينقصون في المحفال الزرقاء (رمز الدرجات الثلاث الأول). وأصبح اللون الأحمر هو لون مشاغل الدرجات العليا.

لكن، لما لم توفق الدرجة الرابعة عملياً في تجاوز تلك الثالثة على أرض الواقع، فإن كل ما حصل كان مجرد مزاودة أدت إلى مضاعفة الدرجات التي لم تتوقف عند الرقم 4. ولم التوقف عنده والرقم 7 أكثر روعة منه؟ وكان هذا ما حصل... إنه من أجل هدف تحسين مستوى الماسونية والتحقيق الفعلي للأستذة الحقيقية، انبرت العديد من الطقوس للعمل على وضع تراتبيات لا تنتهي من الدرجات التي أضحت تعرف بالعليا.

من هنا، نفهم لماذا انتقد جميع الذين تعمقوا في دراسة الثلاثي الأساسي والحقيقي للماسونية، بقسوة، ما أسموه «زؤان الدرجات العليا» معتبرين إياها مجرد ترّهات لا تسهم إلا في ضياع الروح وفي تشويه الصورة الحقيقية للماسونية.

والكثير يعتقد أن هذا النقد مبرر إلى حدّ كبير. لأنه إن كانت طقسية الدرجات الثلاث «الرمزية» الأولى تحمل إلى حد كبير في طياتها بصمة المعلمين، فإن لا شيء في المقابل أقل جدارة من رمزية تلك الدرجات التي أسمت نفسها بالفلسفية. فمن كل شيء فيها تفوح رائحة الابتذال. وهي لم تنعكس إطلاقاً، كتركيب مضيء، للفكرة المسارية.

لكن دعونا لا نلقي الحجارة رغم هذا على مخترعي تلك الدرجات العليا لمجرد

أنهم أخطأوا في إلهامهم. فهدفهم كان نبيلاً ألا وهو التوصل إلى الأستذة الحقيقية. لذلك، يُعتقد أنهم إن أخطأوا المرمى خلال بحثهم عن اللغز الأكبر، فإن جهودهم المخلصة تستحق كل التقدير. كما تستحق أخطاؤهم المزيد من التعمق والمزيد من الدراسة[1]»... ويختتم أوزفالد فيرث تحليله العميق جداً لهذه الظاهرة قائلاً: «... وباختصار، فإن ما بوسعنا استنتاجه في المحصلة هو أن الحاجة إلى تلك الدرجات العليا ما كانت لتظهر لو لم تتحول الدرجات الثلاث الأساسية الأولى إلى مجرد أحرف ميتة. لأنه لو لم يحصل هذا، لو كان بوسع المحافل تخريج معلمين حقيقيين، فإنه سرعان ما ستفقد هذه الدرجات العليا مبرر وجودها. لذلك، وبانتظار تحقق هذا الأمر، دعونا لا ندمّر شيئاً مما تم بناؤه[2]»...

أما إدمون كارتييه لاتانت الذي وإن كان يشارك فيرث في النتيجة، إلا أنه لا يتفق معه في قسوة تقويمه للدرجات العليا فيقول: «... لو كان علينا النظر إلى الماسونية من منظور مجرد أو لنقل نظري، فإن تلك الانتقادات القاسية جداً «لزؤان الدرجات العليا» مبررة جداً مع الأسف. ولكن، علينا أن نأخذ كل الاحتمالات بعين الاعتبار، كما علينا أن نبدي ما بوسعنا من تسامح في ما يتعلق بعامل الضعف الإنساني. فجميع أنصار الفنّ الملوكي يكتفون فقط بتلقي درجاته الرمزية، لكنهم في الحقيقة لا يحصلون عليها. فالذي بين أيديهم هو مجرد كنز يجهلون قيمته وبالتالي، لا يعرفون كيفية الاستفادة منه. لأن الغاية أو الهدف من الدرجات العليا في الماسونية ما هو إلا إفهام ما يعنيه العمق الباطني للدرجات الثلاث الأساسية الأولى. خاصة وأن هذه الدرجات التي لا تدّعي كشف المزيد من الأسرار إنما يقتصر طموحها على مجرد شرح أبعاد هذه الأخيرة من خلال ما تحركه في قلوب أتباعها الساعين للتدرب الفعلي، كيف يكون بوسعهم أن يصبحوا رفاقاً حقيقيين وأساتذة حقيقيين. فالدرجة العليا هي الهدف والمثل الذي يجب أن نسعى إليه والذي يتجاوزنا حقيقةً. لأن هيكلنا لن يكتمل أبداً ولأن أي منّا لا يمكنه أن يعيش تماماً في أعماقه حقيقة القيامة الفعلية لحيرام الخالد[3]»...

---

(1) - Oswald Wirth; «La franc-maçonnerie rendue intelligible à ses adeptes», Le Maitre.

(2) - Ibid.

(3) - Ed. QUARTIER LA TENTE. «Les Grades et les Rites Maçonniques».

ونكتفي بهذا القدر مذكرين في نهاية هذا القسم الثاني من بحثنا بأن الدرجات حسب «الطقس الإسكوتلندي القديم» هي ثلاث وثلاثون درجة مقسمة كما يلي:

أ ـ المحافل الزرقاء أو الرمزية وهي تتضمن الدرجات التالية:

1 ـ مريد، 2 ـ رفيق، 3 ـ أستاذ.

ب ـ محافل أو ورش الإتقان الخضراء وهي تتضمن الدرجات التالية:

4 ـ أستاذ مكتوم، 5 ـ أستاذ كامل، 6 ـ أمين ثقة، 7 ـ قاض وحَكَم، 8 ـ مدير الأبنية، 9 ـ أستاذ مختار التسعة، 10 ـ أستاذ مختار الخمسة عشر، 11 ـ فارس أعلى منتخب (أو رئيس الأسباط الاثني عشر)، 12 ـ مهندس معلِّم أعظم، 13 ـ الفلك الملكي، 14 ـ معلِّم قديم كامل.

ج ـ المحافل أو الورش الحمراء وهي تتضمن الدرجات التالية:

15 ـ فارس السيف، 16 ـ أمير بيت المقدس، 17 ـ فارس الشرق والغرب، 18 ـ الأمير الأعظم للصليب الوردي.

د ـ المحافل أو الورش الفلسفية أو السوداء وهي تتضمن الدرجات التالية:

19 ـ الحبر العظم أو الإيكوسي الأعظم، 20 ـ معلِّم أعظم محترم لجميع المحافل، 21 ـ فارس بروسي أو أستاذ أعظم لمفتاح الماسونية، 22 ـ الفأس الملكي أو أمير لبنان، 23 ـ رئيس المظلة، 24 ـ أمير المظلة، 25 ـ فارس الثعبان البرونزي، 26 ـ أمير الرحمة، 27 ـ القائد الأعلى للمعبد، 28 ـ فارس الشمس، 29 ـ الاسكتلندي الكبير للقديس أندراوس الإيكوسي، 30. ـ المنتخب الأعظم فارس قدوش.

هـ ـ ديوان القضاة ويتضمن الدرجة:

31 ـ القائد المفتش المحقِّق الأعظم.

و ـ مجمع الكرادلة ويتضمن الدرجة:

32 ـ الأمير السامي للسرِّ الملكي.

ز ـ المجلس الأعلى (ولونه الأبيض) ويتضمن الدرجة:

33 ـ المفتش العام الأكبر الأعظم.

وفي محصلة هذا القسم الذي قد يشعر المرء في نهايته ببعض الدوار بسبب عمق وصعوبة رمزيته، فإننا نرى ضرورة التمعن والتحليل والمناقشة على أرض الواقع ـ في عالمنا بشكل عام أو في بلادنا بشكل خاص ـ ما يمكن أن يعنيه كل هذا، سواء من منظور أهل الظاهر (الذين هم أغلبية ناسنا)، أو من منظور أهل الباطن (الذين هم القلة أو النخبة). مناقشة وعرض ما يقرأونه لتلمّس الموضوعية ولكن بحذر.

الماسونية عبر التاريخ

«أنا الكرمة الحق وأبي هو الكرّام.
كلُّ غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه،
وكلُّ غصن يأتي بثمر يقضِّبه ليأتي بثمر أكثر»...

إنجيل يوحنا، 15: 1 ـ 2

ـ مقدمة:

في النهاية، يجد أي باحث في الشأن الماسوني نفسه حائراً، غير قادر على الحكم أو على اتخاذ موقف قطعي من هذا الموضوع الشائك المعقد، لأن ثمة جانباً من هذه المؤسسة يجذب إليه بشدة، وأخصُّ بالذكر ها هنا العمق الروحي والفلسفي والسرَّاني لتقاليدها ورمزيتها وطقوسها. كما أن ثمة، بالمقابل، جانباً آخر ينفِّر، وأخصُّ منه بالذكر، ها هنا أيضاً، واقعَ حالها الغامض والمتشعب على أرضية انحطاطنا الإنساني القائم.

وما يجذبني يجعلني أتفهَّم، إلى حدٍّ كبير، لماذا استحوذت هذه الحركة وقتئذٍ على نخبة النخبة من إنسانيتنا واستقطبتْها ـ تلك العقول والنفوس العظيمة التي وجدت فيها الملاذ، وعن طريقها ومن خلالها، الوحي.

لذا ترى أن هؤلاء العظماء في التاريخ كان معظمهم أعضاء في هذه المؤسسة، يا ترى ما هو الجاذب لكل هؤلاء أن يكونوا ماسون؟ ومن أهم هؤلاء العِظام: عبد القادر الجزائري وجمال الدين الأفغاني من بلادنا. موتسارت، رونيه غينون، هيلينا بلافاتسكي، ليو تولستوي ونيكوس كازانتزاكيس. ولكن واقع حالها القائم، المقرون بالمحدودية وبالسذاجة، وخاصةً بالنفعية المباشرة للكثير من أبنائها، يجعلني أتفهَّم، في المقابل أيضاً، بعض ما واجهته ـ وما زالت تواجهه ـ هذه الحركة من عداء وتشكيك،

وخاصة من مؤسَّسات بشرية أخرى ـ بدءاً من المؤسَّسة الكنسية الكاثوليكية، مروراً، إبان القرن الماضي، بالأممية الشيوعية وبعض رموز الفكر القومي، وصولاً إلى بعض الحكومات والمرجعيات القوّامة على بلدانها في منطقتنا اليوم ـ وإن كانت هذه الأخيرة، أيضاً بحكم بشريتها، ليست ـ ولم تكن يوماً ـ أفضل منها حالاً!

ـ الماسونية مشروع فلسفي جديد:

لأن «مهندس الكون الأعظم»، أو لنقُلْ «إله الماسون»، هو، مبدئياً وفي نهاية المطاف، إله عقل مُحكَم أكثر منه إله قلب، إن لم نقل إنه «إله فلاسفة».

كذلك فإن الماسونية لا تتبنى مبدئياً أي دين محدد. وهذا ما يبدو جلياً في نظر كل من اطلع على «دساتيرها»، وبمجرد قراءة الأسطر الأولى من افتتاحية هذه الدساتير حيث جاء: «... رغم أنه في الأزمنة الغابرة كان إلزامياً، في أي بلد، أن يعتنق الماسون دين ذاك البلد، أياً كان هذا الدين، فإننا نجد أنه من الأنسب عدم إلزامهم بأي دين حصراً، إنما ذاك الذي يتفق عليه جميع البشر، وأن يكون لهم مطلق الحرية في ما يتعلق الأمر بآرائهم الخاصة. بالتالي، يكفي أن يكونوا أناساً طيبين ومخلصين، أناساً أصحاب شرف ونزاهة، وذلك أية كانت الانتماءات الدينية أو القناعات التي تميزهم[1]»...

وبالتالي، فإن هذا الأمر يضعنا، بشكل طبيعي، أمام مشروع أممي حاول ـ وربما ما زال يحاول ـ وطمح ـ وربما ما زال يطمح ـ أن يتجاوز المؤسسات الدينية والمدنية القائمة، سواء في البلدان التي نشأ وترعرع فيها أو بشكل عام، مشروع دعا ـ وربما ما زال يدعو ـ إلى عقيدة يُفترَض أن يتفق عليها البشر، على اختلاف مشاربهم وأديانهم.

مشروع آمن مؤسسوه وفلاسفته آنذاك ـ وربما ما زالوا يؤمنون ـ بضرورته الملحة لأنه، كما عبر بكل بلاغة بلانتاجينيه (متحدثاً عن الفن الملكي)، يجب «... إعادة إحياء هذه الحكمة في هياكلنا، لأن كنائسنا التي دنست الأديان باطنيتها قد شوهتْ تعاليمها وحرفتها[2]»... الأمر الذي، إن لم تُفهَم منه ـ بالنسبة للموقف من الأديان

---

(1) - James Anderson, «The Book of Constitutions of the Freemasons, Containing the History, Charges and Regulations of That Most Ancient and Right Worshipful Fraternity».

(2) - Plantagenet, «Causeries en Chambre du Milieu».

والمؤسسات الدينية السائدة في أي بلد ـ حيادية دينية مطلوبة، فقد يفسر، إن تجاوزنا حرفية التعبير، على أنه تجاوز للشرائع وعودة إلى جوهر مفترَض، لن يتفق عليه الجميع قطعاً.

لذلك كان من الطبيعي أن تواجه هذه الحركة، منذ بداياتها، وفي الكثير من الأماكن حيث انتشرت، بدءاً من القارة الأوروبية، وصولاً إلى معظم بلداننا العربية ذات الغالبية الإسلامية المحافظة، معارضة قوية من المؤسسات المدنية والدينية السائدة آنذاك.

ونبدأ بالكنيسة الكاثوليكية التي كانت، منذ اليوم الأول، العدو الأساسي والأهم للحركة الماسونية، ولم تزل كذلك (على الأقل نظرياً ونسبياً) إلى الآن. وهناك عدة محطات هامة تسجل في تاريخ هذا الصراع، منها:

أنه في العام 1735، أصدر البابا كليمانت الثاني عشر أمراً بعنوان In eminenti apostolatus specula، أدان فيها، لأسباب مختلفة، من ضمنها «... أسباب أخرى نعرفها نحن، وهي في الوقت نفسه صحيحة ومنطقية...»، أدان التجمعات الماسونية التي «... تقبل في صفوفها، دون أي تمييز، أشخاصاً من مختلف الأديان والمناحي، حيث، وراء ظاهر خلفية صالحة يتم القبول بموجبها، وُضِعَتْ أنظمة تجمع في ما بينهم، وتجبرهم خاصة، تحت طائلة أقسى العقوبات، بالقَسَم على الكتب المقدسة، من أجل الحفاظ على سر لا يمكن البوح به، ويتعلق بما يجري في تجمعاتهم[1]»...

في العام 1751 أكد البابا بونوا الرابع عشر، إدانة سلفه. لكننا نلاحظ، في المقابل أيضاً، أن هذه الإدانات ـ التي بالإمكان تبريرها، من منظور الكنيسة طبعاً، من جراء ما يُفترَض أنه تشجيع الماسونية للميول الهرطقية ولا يمكن أن تحمله هذه الأخيرة في طياتها من مؤثرات أنغليكانية وبروتستانتية ألمانية، نجد أن هذه الإدانات لم تصادق عليها آنذاك، بسبب تطور أوضاع تجاوزت على أرض الواقع سلطات الكنيسة، برلمانات معظم الدول والممالك الأوروبية، وبالتالي، بقيت يومذاك حبراً على ورق، الأمر الذي قد يفسر، ربما، واقع تواجد الكثير من الكهنة في صفوفها. وقد استمرت الأمور على هذه الحال حتى قيام الثورة الفرنسية[2].

---

(1) - Alain Guichard, «Les Francs-Maçons, Grasset».

(2) - Ibid.

ثم كانت إدانات أخرى في بدايات القرن التاسع عشر. لكن الأمور استمرت على هذه الحال العائمة، حتى كان ذلك الموقف الأهم والأعمق عبر رسالة البابا ليون الثالث عشر في العام 1884، التي أدان بموجبها الفرمسون بشدة، واصفاً إياهم بأنهم أناس «... يريدون التدمير الكامل للسلوكية الدينية والاجتماعية المنبثقة عن المؤسسات المسيحية، واستبدال أخرى بها تخصهم، وهي مبادئ تعود، من حيث منطلقاتها الأساسية، إلى النزعة الطبيعية[1]».

ثم تلاه البابا بونوا الخامس عشر، الذي أعطى لجميع هذه الإدانات بُعداً شرعياً؛ فكان البند 2335، الصادر في العام 1915 عن الفاتيكان، الذي تحرم الكنيسة الكاثوليكية بموجبه «... كل من ينتسب إلى الملة الماسونية أو إلى أية جمعية سرية تتآمر ضد الكنيسة وضد السلطات الشرعية[2]».

وفي تلك الأيام، كانت الكنيسة الكاثوليكية ما زالت تحارب من أجل الحفاظ على سلطاتها المدنية والسياسية على ما تبقى لها من الأرض الإيطالية، وأن ألد أعدائها، والمهددين مباشرة لسلطاتها الدنيوية هذه، كانوا جماعة الوحدة الإيطالية، الذين كان معظمهم من «الكاربوناري» أو من الفرمسون.

وأيضاً كانت الكنيسة قد فقدت الكثير من تأثيرها المباشر في فرنسا، حيث قامت في العام 1789 ثورة أطاحت بالنظام الملكي المطلق الذي كان سائداً هناك؛ ثورة دَعَتْ، في ذروة عنفوانها، إلى قيام دين العقل، وأعلنت ميثاق حقوق الإنسان والمواطن، ثورة كان الكثير من شخصياتها، أيضاً آنذاك، من الفرمسون، الأمر الذي يفسر عداء كنيسة تلك الأيام لهذه الحركة، من جهة، ويضع على بساط البحث أمامنا، بشكل ملح، من جهة أخرى، عدداً من المواضيع الشائكة التي قد يكون أولها، ضمن سياق بحثنا، موضوع العلاقة بين الماسونية والسياسة.

ـ الماسونية والسياسة:

رغم ما تؤكده «دساتير أندرسُن»، التي اشترطت اشتراطاً واضحاً عدم تدخل المحافل بالسياسة، وأصرت على ضرورة أن يكون: «... الماسوني في الواقع تابعاً

---

(1) - Ibid.

(2) - Ibid.

مسالماً في كل ما يتعلق بالسلطات المدنية، أينما كان مقر إقامته أو عمله. وبالتالي، لا يُفترَض أن يتورط على الإطلاق في أية مؤامرة أو تآمر يمس سلامة الأمة ورفاهيتها، ولا أن يتصرف بشكل غير لائق تجاه الحكام التابعين...»، وافترضت، بالتالي، أنه «... إذا حصل أن تمرد أي من الإخوة ضد الدولة فإنه ينبغي عدم تشجيعه على ذلك، والتعامل معه في نفس الوقت برأفة، وكإنسان بائس الحال. وفي حال لم تتم إدانته بأية جريمة فإنه ليس بوسع الأخوية الوفية ـ التي يُفترَض فيها أن تستنكر التمرد، من أجل عدم إثارة السلطات القائمة، وعدم إعطائها أي مبرر سياسي يثير الشكوك ـ طرده من المحفل، بحكم كون العلاقات التي تربطهما علاقات لا تنفصم عراها[1]».

فما نلاحظه يقول إن هذه الافتراضات لم تكن واقعية، وبالتالي، لم تكن مصيبة من حيث النتيجة. وقد كانت هذه الافتراضات غير مصيبة، بمعنى أنه لم يكن بالإمكان تطبيقها، إن لم نقل إنه كان من المتعذر، منذ البداية، فرضها على الإخوة وعلى المحافل. لأنه إن كان مفهوماً ومبرراً جداً عدم التدخل هذا ـ من أجل حماية معتقدات «رفاق الكار» وسرانية تنظيمهم ـ عندما كانت الماسونية «عملية»، وعندما كانت الكنيسة مهيمنة ومسيطرة سيطرة شبه كاملة، إلا أن هذا الافتراض أضحى مستحيلاً بمجرد أن تحولت المؤسسة الماسونية افتراضياً إلى حركة «تأملية»، وبمجرد أن بدأت تزعزع، على أرض الواقع، سلطات الكنيسة الكاثوليكية في البلدان التي كانت خاضعة لسيطرتها ـ أقصد بمجرد أن تحولت الماسونية إلى مشروع جامع، فلسفي العمق والأبعاد، وبمجرد أن بدأ عصر التنوير. لماذا؟ لأن مثل هذا المشروع هو السياسة بعينها.

كان من الواجب عندئذ الارتقاء في فهم وتطبيق ما يُفترَض أن تعنيه السياسة في نظر الفرمسون. ربما لأنه إن كان ضرورياً وما زال مطلوباً من الماسونية رفض تعاطي السياسة بمعناها المباشر الحزبي أو العامي أو التآمري الممارَس والسائد، فإنه كان ـ ولم يزل ـ من الواجب والمطلوب، في المقابل، وإلى يومنا هذا، فهم السياسة وممارستها ـ سواء من خلال المحافل أو من قبل أبنائها مباشرة ـ من منظورها الأرسطي المبدئي، المثالي النبيل.

لكن ما نلاحظه، في نهاية الأمر، يؤكد ـ مع الأسف! ـ حقيقةً واحدةً تقول: إن

---

(1) - James Anderson, «The Book of Constitutions of the Freemasons, Containing the History, Charges and Regulations of That Most Ancient and Right Worshipful Fraternity».

الماسون كانوا، كغيرهم من أتباع المعتقدات والتوجهات الدينية والفلسفية الأخرى، مجرد بشر لم يتفهموا، كما كان ينبغي، عمق فلسفتهم وأبعادها، وأنهم، في كل مكان، تعاطوا - تعاطياً مباشراً جداً، وغير معمق على الإطلاق في معظم الأحيان، إلى هذا الحد أو ذاك، وفق توجهات محافلهم - السياسة وغيرها من النشاطات الاجتماعية والإنسانية الدنيوية. ونسجل، ها هنا أيضاً، مستعيدين التاريخ، وأيضاً للتذكير.

1 - في فرنسا[1]:

أ - على الرغم من أن المحافل الماسونية كانت، دائماً وعامةً، مرتعاً خصباً للأفكار التحررية، إلا أنها بقيت حتى الثورة عام 1789 متعايشة، إلى حد كبير، مع السلطات الملكية، وتدعو أعضاءها للتعبير عن تأييدهم للملكية من حيث الظاهر على الأقل.

أما في واقع الحال، وكما كان يجري في المجتمع، فقد كانت النار تتأجج تحت الرماد، وكانت المحافل مراكز لتجمع المفكرين والفلاسفة والعلماء والمشككين والسياسيين، على اختلاف مشاربهم.

ونلاحظ، في تلك الفترة مثلاً، انتشارها الخاص في أوساط ضباط الجيش الفرنسي العائدين من حرب التحرير الأميركية، كما نلاحظ انتساب عدد من الشخصيات الهامة إليها، كفولتير الذي تلقى مُسارَرته على يد بنجامين فرانكلين في محفل «الأخوات التسع»، ذلك المحفل الشهير الذي ضم آنذاك في جملة أعضائه كوندورسيه وسييس وفريسو وكميل دِهْ مولان ودانتون وفلوريان، الذين لعبوا جميعاً دوراً بارزاً جداً في الثورة الفرنسية.

لكننا نلاحظ أنه كان هناك أيضاً، في المقابل، ماسون ملكيون، حاربوا الثورة بشراسة، ودافعوا عن المؤسسة الملكية، وعملوا من أجل قضيتها. وقد كان من أبرزهم آنذاك بعض أعضاء العائلة المالكة نفسها، الذين سيعود بعضهم، من بعد، ملوكاً على فرنسا، كـ«الأخوين» (صاحبي الجلالة) لويس الثامن عشر وشارل العاشر.

ب - نلاحظ إبان عهد الإمبراطورية الأولى، أو لنقُلْ إبان حكم نابوليون الأول، الذي نسجل للمناسبة أنه لم يكن ماسونياً، ازدهار الماسونية التي كان يترأس أحد أهم

(1) - Alain Guichard, «Les Francs-Maçons».

توجهاتها ـ نقصد «شرق فرنسا الكبير» ـ شقيق الإمبراطور، جوزيف بونابارت. ونسجل أنه في تلك الفترة تحديداً تم وضع القانون المدني الفرنسي الذي كان على رأس لجنة صياغته، من الحقوقيين الكبار، ميرلان وجوبير وفابر دُهْ لود.

ج ـ ونلاحظ أيضاً كيف أنه بعد انهيار الإمبراطورية الأولى، عين الملك لويس الثامن عشر قرينه الدوق دُهْ مايبل رئيساً لـ«معهد الطقوس» في «شرق فرنسا الكبير».

ونسجل أنه هكذا، بشكل عام، وعلى الرغم من سيطرة منحاها العام المتحرر والليبرالي، إلا أن الماسونية الفرنسية ضمت في صفوفها شخصيات هامة جداً من مختلف الاتجاهات السياسية. ونؤكد هنا، خاصة، على الاتجاهات اليسارية منها: شخصيات كبلانكي ولويس بلان، وخاصة... الشيوعي الطوباوي برودون.

د ـ نلاحظ تطور الماسونية كثيراً خلال فترة حكم نابوليون الثالث، الذي عين، في كانون الثاني/يناير عام 1862، المارشال مانيان على رأس «شرق فرنسا الكبير».

هـ ـ بعد انهيار الإمبراطورية الثانية، وإثر هزيمة الجيش الفرنسي في سيدان على يد بسمارك، نرى حقيقة أمر، إن دل على شيء فإنما يدل على عدم وجود موقف سياسي ماسوني موحد على أرض الواقع، حيث تشكلت في فرنسا آنذاك حكومتان: الأولى دُعِيَتْ «حكومة الإنقاذ الوطني»، برئاسة الكاثوليكي تروشو، وكان تسعة من أعضائها الأحد عشر من الفرمسون، الذين كان من أهمهم غامبيتا وأدولف كريميو وجول فيري ـ صاحب قانون «العلمانية» الشهير ـ وإرنست بيكار إلخ؛ كما تشكلت، في المقابل، حكومة معارضة، هي حكومة «كومونة باريس»، التي كان العديد من أعضائها أيضاً من الفرمسون، الذين كان من أهمهم جول فاليس وأودز وراسباي وغوستاف فلورينز.

ونتابع هكذا، مستعرضين إلى ما لا نهاية مختلف تموجات التاريخ الفرنسي، ومن خلاله، تموجات مواقف الإخوة، حتى نصل إلى الأزمنة الحديثة التي شهدت ظهور الحركة الاشتراكية والشيوعية.

و ـ قبل أن يعلن المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية، المنعقد في موسكو في العام 1922، عدم تطابُق سياسات الحركة الشيوعية وتوجهاتها مع الماسونية وإدانته لها، فإن العديد من الماسون كان قد انتسب عن قناعة إلى الحزب الشيوعي الفرنسي الوليد، وأضحى من أبرز أعضائه، إن لم نقل من أهم قياديه. نذكر منهم، على سبيل المثال:

مارسيل كاشان صاحب صحيفة «l'Humanité» وأندريه مارتي وأنطونيو كوين وباشوليه وشارل لوسي وفروسار إلخ؛ مما استدعى، من بعد، قراراً صادراً عن المكتب السياسي للحزب بتاريخ الأول من كانون الثاني/يناير عام 1923 يؤكد على ضرورة أن يختار الماسون ـ الرفاق بين التزامهم الحزبي أو الماسوني. وقد خضع آنذاك بعض الماسونيون لقرار الحزب، فتنازلوا عن ماسونيتهم، ككاشان ومارتي، بينما رفض بعضهم الآخر ذلك القرار، وتنازلوا عن حزبيتهم، كفروسار وموريزه وكوين.

وقد استمر واقع الحال هذا بين مد وجزر، لكن لصالح الماسون عموماً، وخاصة منذ زوال الستالينية وما تبعها من متلاحقات أدت إلى تمايز معظم الأحزاب الشيوعية في أوروبا وفي العالم وإلى استقلالها عن الحزب الأب في روسيا.

ز ـ وأخيراً، نسجل أن الماسونية التي مُنِعَتْ وحورِبَتْ بشراسة في فرنسا خلال فترة الاحتلال النازي، سواء من سلطات الاحتلال، أو من الحكومة المتعاونة معه في فيشي، عادت شرعية ومسموحاً بها من جديد فور استعادة فرنسا لاستقلالها وديمقراطيتها.

2 ـ في المشرق العربي[1]:

أ ـ إن الحركة الماسونية، منذ تأسيسها، وإبان تاريخ وجودها العلني كله، ضمت العديد من الشخصيات الوطنية العاملة في الحقل العام، إضافة إلى أكابر البلد ووجهائه، حيث كان من أعضائها، خلال فترة الانتداب الفرنسي، السادة (مثلاً وليس حصراً): عبد الرحمن الشهبندر وفارس الخوري ومصطفى السباعي وجبران لويس «المحفل الاسكتلندي رقم 1058»...

ب ـ إن الماسونية كانت تضم عدداً من ضباط الجيش، الذين من أبرزهم، كما هو معروف: العقيد أديب الشيشكلي والفريق جمال فيصل (قائد الجيش الأول أيام الوحدة)، الذي كان منتسباً لمحفل «خالد بن الوليد» منذ أن كان طالباً في المدرسة الحربية... كما نلاحظ أن معظم المنتسبين إليها كانوا من أبناء الطبقة الوسطى، وخاصة من الموظفين الحكوميين أصحاب المراكز.

ج ـ إن الماسونية المحلية تعاطت السياسة بشكل صريح ومباشر جداً. لا بل إن

---

(1) حسين عمر حمادة، «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي».

هذا التعاطي كان موضع مطالبة وأمراً طبيعياً في نظر غالبية أبنائها، كالمحامي خيري رضا «محفل قاسيون»، الذي عبَّر بصراحة، في محاضرة له عن تاريخ الماسونية: «. . . نعم، لتكن لنا كلمة نافذة في إدارة شؤون بلادنا ومقدراتها. فحسبنا هذه العزلة الطويلة، وأن يكون لنا رأي مسموع في سياسة بلدنا. ثم ينبغي أن تحس الأوساط السياسية بأن هنالك من يعالجها. ولا يجدر بنا أن يُنظَر إلينا بعين الإهمال، وأن نظل على مثل هذه الحال من الاجتماع للقيام بطائفة من الطقوس والمراسيم التي تتمثل، ويعاد تمثيلُها كل أسبوع، دون أن تصل إلى غاية عملية[1]».

ونتوقف هنا قليلاً، لأن مثل هذا الرأي إنما يدل على أمرين خطيرين: أولهما هو التعامل مع الماسونية كتجمع سياسي، وثانيهما ـ وهو الأخطر والأعمق ألا وهو تلك النظرة من الاحتقار ـ إن لم نقل عدم الفهم المطبق ـ لما يدعوه صاحب العلاقة خيري رضا تلك «. . . الطقوس التي تتمثل، ويعاد تمثيلُها كل أسبوع، دون الوصول إلى غاية عملية». . . الأمر الذي يُربط بما سبق وأشرنا إليه، ويتحدث عن سطحية المنتسبين إليها، وخاصة في بلداننا، وسعيهم إلى تحقيق غاياتهم النفعية من خلالها. لأنه، كما عبر بمنتهى البلاغة وجيه بيضون: «. . . الماسونية في هذا البلد فاسدة، فاسدة لآخر حد. وقد أدرك ذلك الغرباء الأباعد، فضلاً عن الإخوان الأدنين. وعلل الماسونية أخلاقية بحتة، لا تقوم بغير المظاهر، ولا يفيدها الانتساب إلى شرق دون آخر. إذن فليفكر العاملون بالأسباب الجوهرية قبل المظاهر الفرعية، ما داموا عاجزين عن إصلاح أخلاق الأعضاء المنتسبين إلى المحافل. وما دام هؤلاء الإخوان الماسون خليطاً مختلفاً، لا يمكن أن تكون بينهم وحدة فكرية، ولا يمكن أن ينشدوا الكمال الذي تتطلبه المبادئ الحرة، ولا يعرفون من الماسونية إلا ظواهرها، لأنهم خُدِعوا في الدخول إليها، ولم يطلبوها إلا للربح والكسب على أكتاف غيرهم[2]».

د ـ إن المواقف السياسية العامة للماسون السوريين إنما كانت تتطابق مبدئياً مع

---

(1) خيري رضا، «شذرات من تاريخ الماسونية»، ص 29 ـ 30؛ نقلاً عن: كتاب حسين عمر حمادة «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي».

(2) وجيه بيضون، «بين الهياكل: شرق سوري جديد، الإنسانية»، دمشق، ج 7 و8، شباط وآذار / فبراير ومارس 1937، ص 291 ـ 292؛ نقلاً عن: «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي» لحسين عمر حمادة.

المواقف الوطنية العامة، حيث كان الكثير منهم من «الكتلة الوطنية» ومن دُعاة الاستقلال والوحدة العربية. لكن، مع تطور الأوضاع بعيد الاستقلال، ومع احتدام الصراع العربي ـ الإسرائيلي وانهيار الأنظمة الليبرالية في المنطقة لصالح أنظمة عقائدية وعسكرية، حُظِرَت الماسونية رسمياً في سورية بموجب الأمرين العرفيين رقم 25، تاريخ 10 آب 1965، القاضي بـ «. . . إلغاء الجمعية الماسونية المسماة بـ «المحفل الأكبر السوري العربي» والمحافل التابعة له في جميع أنحاء القطر العربي السوري، إن وُجِدَتْ. ويُحظَر على المؤسسين المنتسبين القيام بأي نشاط لصالح الجمعية، وتُختَم بالشمع الأحمر، وتصفى موجوداتها من قبل لجان وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، ويلاحق المخالِفون أمام المحكمة العسكرية المختصة، لإجراء محاكمتهم بجرائم الانتساب إلى جمعية ذات طابع دولي. . .»، ورقم 26، القاضي بـ «. . . إلغاء أندية الروتاري الدولي في دمشق وحلب وحمص وفي جميع أنحاء القطر العربي السوري، إن وُجِدَتْ. . .».

هـ ـ وإبان الفترة نفسها تقريباً، كان حل المحافل الماسونية في مصر، حيث «طلب «الإخوان الماسون» تسجيل عشيرتهم في وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية[1]. ولكنه بعدما رفض الماسونيون إخضاع محافلهم لإشراف الوزارة، عملاً بقانون الجمعيات التي تخول الوزارة حق التفتيش على أعمال الجمعيات ونشاطاتها، للتثبت من أنها لا تخالف النظام العام، صدر في حزيران /يونيو 1964 قرار رسمي بإغلاق وحل المحافل الماسونية في جميع أراضي الجمهورية العربية المتحدة. وقد تم وضع المحفل الماسوني بشارع طوسون تحت الحراسة، وقام الأستاذ علي عوض، نائب الحارس العام، بجرد محتوياته، وتبين من عمليات الإشراف والجرد أن المحفل يُدار طبقاً للقانون الماسوني الإنكليزي، ويعمل جميع أعضاؤه وفقاً لأحكام هذا القانون. . .».

قرارات تسارعت من بعد وتلاحقت، كان أهمها توصية مكتب مقاطعة إسرائيل (رقم 4 للعام 1977) للحكومات العربية بحظر وإغلاق فروع الحركة الماسونية في أراضيها، وقرار مجلس جامعة الدول العربية رقم . . 2309.

---

(1) جورج فاخوري البولسي، «المسرة»، العدد 497، تموز /يوليو 1964، ص 485 ـ 486؛ نقلاً عن: «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي».

لأن الماسونية أضحت، مع الأسف، في معظم الدول العربية ذات الأغلبية المسلمة، تُربَط بالصهيونية. وهو واقع حال لم يكن حين نشوئها، حيث كانت تُربَط بالحداثة وبالتحرر.

و ـ يبقى أن الماسونية ما زالت علنية ومسموحاً بها في بعض الدول العربية، كلبنان وبعض بلدان المغرب العربي، كالمغرب وتونس، وأنه حتى في سورية، حيث هي في حكم المحظورة، ما زالت بعض الشخصيات الهامة تجاهر بانتمائها إليها، كالمرحوم السيد بدر الدين الشلاح (أبو راتب)، الرئيس السابق لغرفة تجارة دمشق. . .

ونتوقف هنا قليلاً. . . لأن الحقائق على أرض الواقع تقول إن كوبا ـ وهو من البلدان الاشتراكية القليلة «الصامدة» إلى الآن ـ هو البلد «الاشتراكي» الوحيد الذي ظلت الماسونية علنية ومسموحاً بها فيه، ولم تتعرض لأية مضايقة، منذ انتصار الثورة هناك في الأول من كانون الثاني/يناير عام 1958 إلى الآن.

والواقع الذي يقول إن فيديل كاسترو كان ـ ولم يزل ـ «ثورياً وشيوعياً مخلصاً»، وأنه في بلده، حيث فرض حكم الحزب الشيوعي الواحد ـ ولم يزل ـ لم يتعرض إطلاقاً للماسونية كسواه.

إن الماسونية في أميركا اللاتينية كانت ولم تزل لها تقاليدها الثورية واليسارية، وذلك منذ أيام سيمون بوليفار، مما قد يفسر، إلى حد كبير ربما، موقف كاسترو منها وعدم تعرضه لها على الإطلاق. ومما يؤكد أن العديد من أهم الشخصيات اليسارية في أميركا اللاتينية كانوا من الفرمسون، كالرئيس الأسبق للتشيلي، سالفادور ألليندي.

الفصل الثالث

ـ مواضيع الفصل:

* الماسونية من المنظار الإسلامي
* المسار التاريخي للماسونية
* الانتساب والرموز عند الماسونية

الماسونية
من المنظار الإسلامي

كما أسلفنا فإن الماسونية اشتقاق لغوي من الكلمة الفرنسية (MACON) ومعناها «البنّاء» والماسونية تقابلها (MACONNERIES)، أي «البناؤون الأحرار». وفي الإنكليزية يُقال: فري ماسون (FREE-MASON) «البناؤون الأحرار». وبذلك يتضح أن هذه المنظمة يربطها أصحابها ومؤسسوها بمهنة البناء، وبالفعل يزعم مؤرخوها ودعاتها أنها في الأصل تضم الجماعات المشتغلين في مهن البناء والعمار، وفي هذا التبرير التخفيفي يحاولون إظهارها وكأنها أشبه بنقابة للعاملين في مهن البناء.

إلا أن تتبُّع تاريخها، واستقراء نظمها وأهدافها المعلنة أو المستترة، يدل على أنها تخفي وراء الأكمة ما تخفي. وكما سيتبين معنا لاحقاً، فإن المسألة ليست احتراف مهنة البناء، وإنما دعوة سياسية، وينسب البعض إليها أنها تعمل لتحقيق مزاعم بني إسرائيل في العودة إلى ما يقولون إنه أرض الميعاد (فلسطين والقدس بخاصة)، وذلك لإعادة بناء هيكل سليمان حيث كانت النشأة الأولى لهذه الجمعية.

لقد نظر الإسلام إلى الماسونية من خلال الصراع العربي ـ الإسرائيلي، حيث كان لهذا الصراع الكلمة الفصل في نظرة المسلمين إلى الماسونية، لما لهذه المنظمة من علاقات وطيدة مع إسرائيل، بالإضافة إلى تقاطع الأفكار والمعتقدات مع اليهودية كبناء الهيكل وما شابه.

ومن هذا المنطلق قاوم الإسلام المد الماسوني وحاربه بإصدار الفتاوى بتحريمها، ونهي المسلمين عن الدخول في هذه المنظمة أو التعامل معهم في شتى المواضع ومن هذه الفتاوى وهذا النهي نورد ما يلي:

أ ـ التوصيات والفتاوى:

1 ـ توصية رقم (4) المُتخذة في المؤتمر الحادي والأربعين لضباط اتصال المكاتب الإقليمية لمقاطعة (إسرائيل) بسبب موضوع الماسونية:

استعرض المؤتمر وضع الماسونية في ضوء:

1 ـ التوصية رقم (60) المتخذة بشأنها خلال المؤتمر التاسع والثلاثين.

2 ـ الدراسات والمعلومات التي تلقاها المكتب الرئيسي من السلطات الرسمية في الجمهورية العراقية، وجمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية السورية، وجمهورية السودان، ودولة البحرين، ومنظمة التحرير الفلسطينية، والآراء التي أبداها بعض السادة الأعضاء أثناء انعقاد المؤتمر، والتي تضمنت جميعها ما يلي[1]:

أ ـ إن لهذه الحركة علاقة وثيقة بإسرائيل والصهيونية العالمية، ومؤسسيها من الصهاينة المعروفين، وهذه العلاقة ثابتة منذ التقاء مؤسس هذه الحركة مع حكماء صهيون، في المؤتمر الصهيوني بمدينة بال السويسرية برئاسة تيودور هرتزل، سنة 1897م الذي انبثقت عنه خطة إنشاء دولة إسرائيل.

ب ـ إن اسم الحركة الماسونية «البنّاؤون» يشير إلى بناء «هيكل سليمان»، وهو هدف الصهيونية العالمية.

ج ـ إن المحافل الماسونية في جميع أنحاء العالم تضع على واجهاتها في غالبية مراكزها نجمة داوود، وهي شعار إسرائيل، كما أن اللون الأزرق الذي تُطلى به المحافل هو لون علم إسرائيل والمطرقة والفرجار، وآلات النجارة، والبناء التي تستعملها هذه المحافل في شعاراتها هي هدم «هيكل سليمان»، والعمل على إعادة بنائه..!

3 ـ ما ثبت من إصرار هذه الحركة على عقد مؤتمراتها السنوية في إسرائيل، وذلك بغية جذب عدد كبير من الأعضاء الماسونيين من أنحاء العالم لزيارة إسرائيل، والعمل على دعم اقتصادها، وتضمن نشراتها دعاية حق إسرائيل في فلسطين المحتلة!.

---

(1) حسين محمد جمادة، «شهادات ماسونية» ص 162 ـ 164، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1982.

4 ـ ما ثبت رسمياً في كل من جمهورية مصر العربية وجمهورية السودان، من أن فروع هذه الحركة في هذه البلدان كانت تعمل لمصلحة الصهيونية العالمية، الأمر الذي دعا إلى اتخاذ الإجراءات في كل من البلدين لوقف نشاط هذه الحركة!

وبعد مداولة الأمر في ضوء ما سبق، والرجوع إلى أحكام قانون ومبادئ المقاطعة المقررة، وقرار مجلس جامعة الدول العربية الرقم (2309) المتخذ في دورة انعقاده السابع والأربعين بشأن الأشخاص ذوي الميول الصهيونية، أوصى المؤتمر بما يلي:

أولاً ـ اعتبار الحركة الماسونية حركة صهيونية تعمل بإيحاء منها لتدعيم أباطيل الصهيونية وأهدافها، كما أنها تساعد على تدفق الأموال على إسرائيل من أعضائها، الأمر الذي يدعم اقتصادها ومجهودها الحربي ضد الدول العربية.

ثانياً ـ حظر إقامة مراكز أو محافل لنشاط الحركة الماسونية في الدول العربية، وإغلاق أي أماكن لها تكون قائمة الآن في تلك الدول.

ثالثاً ـ لا يجوز التعامل أياً كان نوعه وطبيعته مع مراكز هذه الجماعة أو محافلها في مختلف أنحاء العالم.

2 ـ بيان لجنة الفتوى في الأزهر الشريف بشأن الماسونية والأندية التابعة لها، مثل: «الروتاري»، و«الليونز»(1).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد..

فإن الإسلام والمسلمين يحاربهم الأعداء العديدون بكل الأسلحة المادية والأدبية، يريدون بذلك الكيد للإسلام والمسلمين، ولكن الله ناصرهم ومُعزُّهم. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ..﴾ [غافر: 51].

ومن بين هذه الرسائل التي يحاربون بها الإسلام، وسيلة الأندية التي ينشئونها باسم «الإخاء والإنسانية»، ولهم غاياتهم وأهدافهم الخفية وراء ذلك. لأن من بين هذه

(1) أنظر: أبو إسلام أحمد عبد الله، الروتاري في المنطقة، مصدر سابق، ص 239 ـ 240.

الأندية الماسونية والمؤسسات التابعة لها مثل: الليونز، والروتاري(*)، وهما: من أخطر المنظمات الهدامة التي يسيطر عليها اليهود والصهيونية يبتغون بذلك السيطرة على العالم، عن طريق القضاء على الأديان وإشاعة الفوضى الأخلاقية وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطانهم باسم الإنسانية.

ولذلك.. يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها، وواجب المسلم ألا يكون إمّعة، كل داعٍ ونادٍ، بل واجبه أن يمتثل لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقول:

[لا يكن أحدكم إمّعة، يقول: أنا مع الناس، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم..].

وواجب المسلم أن يكون يقظاً حتى لا يُغرَّر به، فللمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، والتي لها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس في الإسلام ما نخشاه، ولا ما نُخفيه.. والله أعلم.

ختم

لجنة الفتوى **رئيس لجنة الفتوى**

بالأزهر عبد الله المنشد

ج ـ قرار المجمع الفقهي في مكة المكرمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

نظر المجمع الفقهي في دورته الأولى المنعقدة بمكة المكرمة في العاشر من شعبان 1398هـ، الموافق 15/ 7/ 1978م، في قضية الماسونية، والمنتسبين إليها، وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك.

(*) بناءً على الوثائق والأدلة التي تيقنها، ووصلت إلى دار الإفتاء بجمهورية مصر العربية، وبعد التشاور مع لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف فتواها الرسمية هذه بتحريم الانتساب إلى أندية الروتاري والليونز، صباح يوم الأربعاء 20 شعبان 1405هـ ـ 15 أيار/ مايو 1985م.

وقد قدّم أعضاء المجمع دراسة راقية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كُتب عنها من قديم وجديد، وما نشر من وثائقها نفسها، في ما كتبه ونشره أعضاؤها وبعض أقطابها، من مؤلفات، ومن مقالات، في المجلات التي تنطق باسمها.

وقد تبين للمجتمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص، ما يلي[1]:

1 ـ إن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة، بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال، محجوب علمها حتى على أعضائها إلاّ خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.

2 ـ إنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين، وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد، والنحل، والمذاهب.

3 ـ إنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمّهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر في أي بقعة من بقاع الأرض يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي، ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أياً كان على أساس معاونته في الحق والباطل ظالماً أو مظلوماً. وإن كانت تستر ذلك ظاهرياً بأنها تعينه على الحق لا الباطل، وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال.

4 ـ إن الدخول فيها يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة.

5 ـ إن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلون لها، ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة

---

(1) انظر: د. صابر طعيمة، «الماسونية ذلك العالم المجهول»، مصدر سبق ذكره، ص 441. وانظر أيضاً: أبو إسلام أحمد عبد الله، «الماسونية في المنطقة»، مصدر سابق، ص 174. 176.

أو المستعدّون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو، على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة.

6 ـ إنها ذات أهداف سياسية، ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية، والتغيرات الخطرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية.

7 ـ إنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا العالمية السرية، وصهيونية النشاط.

8 ـ إنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعاً لتهديمها بصورة عامة، وتهديم الإسلام في نفوس أبنائه بصورة خاصة.

9 ـ إنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية والسياسية أو الاجتماعية أو العلمية، أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم. ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها. ولذلك، تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء والوزراء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.

10 ـ إنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار، لكي تستطيع ممارسة نشاطها تحت مختلف الأسماء إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما. وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الأسود، والروتاري والليونز. إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافى تنافياً كلياً مع قواعد الإسلام، وتناقضه مناقضة كلية!

وقد تبين للجميع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات الكثير من المسؤولين في البلاد الأوروبية وغيرها في موضوع قضية فلسطين، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية. لذلك، ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة، وأهدافها الماكرة، يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين. وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله.

والله ولي التوفيق...

نائب الرئيس	الرئيس
محمد علي الحركات	عبد الله بن حميد
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي	رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية
الأعضاء	
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	محمد محمود الصواف
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالعربية السعودية	صالح بن عثيمين
محمد بن عبد الله السبيل	محمد رشيد قباني
مصطفى الزرقاء	محمد رشيدي
عبد القدوس الهاشمي الندو	أبو بكر جومي

أما في ما يتعلق برأي الكتّاب العرب والمسلمين بالماسونية فنورد ما يلي:

يقول الدكتور أسعد السحمراني في كتابه «الماسونية: نشأتها وأفكارها»: «... إن تغليف الهدف السياسي بادعاء الحق التاريخي في فلسطين زعم فارغ؛ والقول إنها جمعية بنائين أحرار ما هو إلا أسلوب في العمل يُراد به تسخير جماعات لهدف صهيوني، وهي تعلم أو لا تعلم جوهر الحقيقة، فإن كان الماسون، من غير يهود، لا يعرفون الخلفية فينخرطون في صفوفها فتلك مصيبة، وإن كانوا يعلمون ومع ذلك ينخرطون فالمصيبة أعظم»[1].

إن إضفاء الضبابية، عند الماسون أنفسهم، حول تعريف منظمتهم يشكل مؤشراً لما ذهبنا إليه، ففي القانون الأساسي للمحفل الأكبر المصري[2] جاء مثلاً: «الماسونية،

(1) د. أسعد السحمراني. «الماسونية: نشأتها وأفكارها»، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان 2001.

(2) القانون الأساسي للمحفل الأكبر الوطني المصري لعشيرة البنائين الأحرار القدماء المقبولين، مصر، مطبعة طه إبراهيم ويوسف برلادي، سنة 1921، ص 3.

أي البناية الحرة، المسماة أيضاً بالفن الملوكي، هي عشيرة أدبية لها رموز خاصة وموضحة بروايات مجازية. والغرض من العشيرة البحث وراء الحقيقة والأحاسن ودرسها والسعي في نشرها، والإعجاب بالجمال وممارسة الفضيلة».

ويطالعنا جرجي زيدان، وهو كان من الأعضاء البارزين في الماسونية، بإقراره أنها جمعية سرية، فيقول: «الماسونية كما، لا يخفى، جمعية سرية، ونظراً لما كان يتهددها من الاضطهادات المتواترة في الأجيال المظلمة وغيرها كانت تبالغ في إخفاء أوراقها[1]».

ويتابع جرجي زيدان: «فالماسونية إذاً قد نسجت على منوال الجمعيات السرية القديمة، هذا إذا لم نقل إنها فرع من فروعها أو استمرار إحداها»[2].

والسؤال الذي يحق لنا أن نطرحه هنا: إذا كانت الماسونية نقابة محترفي أعمال بناء فما الداعي لسريتها وإخفاء أوراقها؟

وإذا كانت منظمة بنائين فما علاقتها بالجمعيات السرية؟ وبأية جمعيات سرية لها علاقة؟ هل بتلك التي أعطت لنفسها طابعاً دينياً؟ أم سياسياً؟.. الخ.

وإذا كانت الأجوبة، على مثل هذه الأسئلة، غير جاهزة، فإن الاستنتاج يقودنا إلى رفع درجة الشك والريبة بهذه المنظمة وبأهدافها.

ومما يمعن في ضبابية التعريف قول ماسوني آخر: «البنائية عالم مجهول، عريقة في القدم، عراقة الوجود الإنساني، سائرة جنباً إلى جنب مع التاريخ. والبنائية عالم مغلق، لم يتمكن إنسان بعد من الوصول إلى قاعها البعيد، فدون الكنوز المستقرة في هذا القاع أبواب عديدة موصدة، يتطلب فتحها جهداً ومثابرة وتضحية هي فوق طاقة الإنسان[3]».

وينتقل فؤاد فضول إلى التهويل بأهمية الماسونية التي لا حدود لها في مختلف الميادين، بما فيها الدين وبعثة الرسل، فيقول:

«مهدت لظهور الأديان، وأعطت المرسلين الركائز الروحية لانتشار دعواتهم،

---

(1) جرجي زيدان، «تاريخ الماسونية العام»، بيروت، دار الجيل، ط 2، سنة 1984، ص 14.
(2) جرجي زيدان، المرجع نفسه، ص 30.
(3) فؤاد فضول، «الماسونية ـ خلاصة الحضارة الكنعانية»، بيروت، دار كنعان، بدون تاريخ، ص 19.

والأسس الفكرية، والقواعد الخلقية، والقوانين والشرائع لترسيخ أديانهم.. رموزها وطقوسها وأسرارها كانت في جوهر تكوين الأديان والجمعيات والمؤسسات الخيرية الإنسانية، والفكرية، والعلمية[1]...».

لكن الماسونية تختلف في قانون المحفل الأكبر المصري، حيث جاء في قانونه عدم تعصبها للأديان فكيف يستقيم الأمر بألا تتعصب للأديان وهي قاعدة انطلاقها؟ ثم بعد ذلك أي الأديان من أصل ماسوني؟ هل هي الوثنية؟ أم هي شرائع السماء المنزلة وحياً من الله تعالى؟ وما دخل الماسونية بذلك؟ وإذا كانت لا تتعصب للأديان فالسؤال: من الذي دعاها إلى ذلك والدين إيمان ورحمة وليس تعصباً؟ فقد جاء في قانون المحفل المصري المادة 3: «من أصول العشيرة عدم التعصب للأديان واحترام سائر المذاهب المعروفة. أما شعارها فهو: الحرية والإخاء والمساواة[2]».

نصل بعد ذلك إلى تعريف لماسوني آخر هو حنين قطيني الذي يقول: «الماسونية لفظة مختصرة من أصل لاتيني وهي مركبة من مقطعين (فرا ماسون)؛ أي البنّاؤون الأحرار. شعارها: الحرية والمساواة والإخاء.

من هو الماسوني؟: رجل مؤمن بالله وبخلود النفس[3]».

هذه خطوط عامة جداً، ولكن إذا أردنا أن نعرف بدقة ما هي الماسونية؟ وما هي أفكارها وأهدافها؟ يأتينا الجواب مبهماً غامضاً والتبرير هو السرية، ومن مثل ذلك جواب حنين قطيني:

«في الواقع لا نعرف للماسونية نظرية رسمية، وكل ما نعرفه فيها نظريات متفقاً عليها اتفاقاً ضمنياً من السلطان الماسونية المختلفة، وقد يصيب خلل في بعض التفاصيل بسبب اختلاف نزعات هذه السلطات الماسونية نفسها، وإن الماسونية لم تصل، حتى الآن، إلى تكوين سلطة عليا تتحد فيها جميع السلطات، لأن الأخيرة تحتفظ بسيادتها وتغار على استقلالها معتزة بوقتها، منفردة بتقاليدها، رغم منافاة هذا الانعزال لجوهر الماسونية وطبيعة وجودها[4]».

---

(1) فؤاد فضول، مرجع سابق، ص 20.
(2) القانون الأساسي للمحفل الأكبر الوطني المصري، مرجع سابق، ص 4.
(3) حنين قطيني، «البناؤون»، بيروت، مطابع فغالي، بدون تاريخ، ص 107.
(4) حنين قطيني، المرجع نفسه، ص 100.

ويتابع د. أسعد السحمراني بالقول: «إن شكوى هذا الأخير من عدم وجود سلطة متفاهمة للماسونية، وأن أهدافها ضمنية، يزيدنا شكاً بمآرب هذه المنظمة التي يحاول من يمسكون بخيوطها الدقيقة الفعلية تضليل عملائهم بواسطة عدم الثبات على طرح قواعد واضحة، وأهداف صريحة».

«ومما يطلعك أيها القارئ الكريم على التضليل والتمويه المتعمد أن مؤلف «دائرة معارف ماسونية» حنا أبي راشد يقول مرة: «بدأت الفكرة الماسونية، كالفكر منذ البدء، أسطورة من أساطير الحقيقة، والحقيقة بعثت الفكرة في هيكل سليمان، فاقترنت بالعمل، مهما كابر أرباب التاريخ[1]».

والغريب هنا قوله: «من أساطير الحقيقة»، فكيف يمكن جمع هاتين الكلمتين المتناقضتين، من حيث المدلول والمعنى. ثم إن سليمان، عاش كما هو معروف في حوالي القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وإذا كانت الماسونية نشأت في هيكله لماذا لم يثبت حنا أبي راشد على رأيه؟ حيث نراه يقول في مكان آخر من مؤلفه: «الماسونية كلمة فرنسية، مأخوذة من قولهم (MACONS) بمعنى بناء، إذ كانت في الأصل مقصورة على طائفة البنائين، وذلك قبل الميلاد بنحو سبعة قرون[2]».

---

(1) حنا أبي راشد، «دائرة معارف ماسونية»، ج 1، بيروت، مكتبة الفكر العربي، ط1، سنة 1961، ص 20.

(2) المصدر السابق، ص 37.

المسار
التاريخي للماسونية

إن القراءة المتأنية لتاريخ الحركة الماسونية في الكتب، التي خطها مناصروها والمنتسبون إليها، أو خصومها، لا توصلنا إلى جواب شاف واضح عن حقيقة هذه الجمعية السرية، لا بل قل الجمعيات المتعددة النظم والمفاهيم التي لا يربطها سوى خيط رفيع شكلاً هو التسمية «ماسونية»، ويربطها، من حيث الجوهر، رابط مستتر سنحاول تتبعه في كلام لاحق من هذا الكتاب.

لقد بالغ كثيرون من الماسون في الحديث عن تاريخ حركتهم عندما حاولوا أن يربطوها تاريخياً بكل جمعية سرية، أو جمعية بناء قامت في التاريخ، ويعترف بذلك أحدهم، وهو جرجي زيدان في كتابه: «تاريخ الماسونية العام» فيقول:

«للمؤرخين في منشأ هذه الجمعية أقوال متضاربة، فمن قائل بحداثتها فهي على قوله لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر بعد الميلاد، ومنهم من سار بها إلى ما وراء ذلك فقال إنها نشأت من جمعية الصليب الوردي التي تأسست سنة 1616 ب.م. ومنهم من أوصلها إلى الحروب الصليبية، وآخرون تتبعوها إلى أيام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد. ومنهم من قال إنها نشأت في هيكل سليمان. وفئة تقول إن منشأ هذه الجمعية أقدم من ذلك كثيراً، فأوصلوها إلى الكهانة المصرية والهندية وغيرها. ويبالغ آخرون في أن مؤسسها آدم، والأبلغ من ذلك قول بعضهم إن الله سبحانه وتعالى أسسها في جنة عدن، وإن الجنة كانت أول محفل ماسوني وميخائيل، رئيس الملائكة، كان أول أستاذ أعظم فيه، إلى غير ذلك من الأقوال المبنية على الوهم[1]».

---

(1) جرجي زيدان، «تاريخ الماسونية العام»، م. س.، ص 14.

إن هذا النص، الذي أوردناه للماسوني جرجي زيدان، لا يحتاج لتعليق، فهو كافٍ لإطلاع القارئ على الحالة الأسطورية التي يحاول الماسون إلحاقها بجمعيتهم لكي يزرعوا في عقول الناس شبحاً يجلب القلق اسمه: الماسونية. إن المتفحص لهذا النص يستطيع أن يحكم بأن الماسونية شتات وآراء وأقوال متضاربة وأنها لا تقف على أرض صلبة واضحة المعالم.

وجرجي زيدان نفسه، الذي يعترف بأن الأقوال عن قدم الماسونية مبنية على الوهم، نراه يبيح لقلمه أن يحدد تاريخاً ثابتاً لنشأة الماسونية فيقول في كتابه الآنف الذكر:

«إن مهد هذه الجمعية رومية، وأول اجتماع التأم تحت اسم البناية كان في سنة 715 ق.م. بأمر نومابومبيليوس، وتحت عنايته[1]».

إن جرجي زيدان، بعد تصريحه هذا، يحاول جهده أن يربط عمليات بناء المعابد والأسوار، وكل أشكال العمار، بالماسونية وكأن الإنسان على الأرض لم يبنِ إلا لوجود الماسونية، وكأن الدارس لتاريخ العمارة يمكنه أن يعده تاريخ الماسونية، وهذا كلام لا يقوم عليه دليل ولا برهان. إن كل ما يقال في هذا الباب هو مبني على الوهم، كما قال جرجي زيدان فعلاً، أما الماسونية بنظامها المعروف اليوم وأهدافها فيتفق عليه كل الكتاب تقريباً، وعن هذا يقول جرجي زيدان:

«يبتدئ تاريخ الماسونية الحديث أو الماسونية الرمزية من سنة 1717م. وقد قيل لها رمزية لأن الأدوات التي تستعمل فيها تختص البناء العملي[2]».

ويناقض كلام جرجي زيدان كلام ماسوني آخر هو حنا أبي راشد في مؤلفه: «دائرة معارف ماسونية» وهذا الأخير نرى في أقواله ما يوضح لنا حقيقة الإضطراب اللاحق بتاريخ الماسونية ونشأتها، وهذا يثبت لنا الحالة الأسطورية لهذه الحركة.

يقول حنا أبي راشد معترفاً بالإضطراب والزئبقية عند محاولة تحديد مسار الحركة الماسونية:

«لم ينعقد إجماع المؤرخين والباحثين على تاريخ أصفى، يمكن أن يكون هو

(1) نفس المرجع ص ص 32، 33.
(2) نفس المصدر، ص 43.

التاريخ الصحيح، الذي نشأت فيه الماسونية البناءة.. إن المصادر التاريخية الواضحة لم تستطع أن تضع للماسونية تاريخاً محدداً، لأنها بوصف كونها جمعية سرية - كما كانت نشأتها قديماً، أو جمعية ذات رموز، واصطلاحات خاصة، كما هو شأنها اليوم - حرص رجالها، على أن تظل اجتماعاتهم وأعمالهم، في طي الكتمان[1]».

والغريب في الأمر أنه في مكان آخر يخالف أقواله هذه، فنراه يحدد، بشكل قاطع، بداية نشأة الماسونية، ويعيد الفضل في تأسيسها إلى عهد سليمان الحكيم، فيقول:

«إن الماسونية نشأت في عهد سليمان الحكيم سنة 1015 ق.م.، إذ كان عهده موصوف بحضارة امتازت بصفة عمرانية بارزة، اقتضت قيام جماعة البنائين الأحرار، بتأسيس هذه الطريقة، في هيكل سليمان نفسه، ذلك هو القول الذي قد يكون أقرب إلى سلامة البحث في موضوع نشأة الماسونية»[2].

ويقول الماسون في هذا الباب إن سليمان اهتم ببناء الهيكل والعمران بشكل عام، وكان في صور يومها الملك حيرام الذي أرسل إليه يطلب منه أمهر البنائين ليساهموا في بناء الهيكل فأرسل له جماعة كان أمهرهم بناء «حيرام إبي» وعلى يد هؤلاء، تم تأسيس الماسونية العملية التي لم يكن في عضويتها إلا من أتقنوا فن البناء.

ولكن هذا القول لم يرسُ على منهج واحد، فنرى حنا أبي راشد يحاول أن يزيد في ضبابية الماسونية بعد أن قطع ببداية نشأتها وقال إنها عملية للبنائين فيقول:

«بدأت الفكرة الماسونية، كالفكر منذ البدء، أسطورة من أساطير الحقيقة، والحقيقة بعثت الفكرة في هيكل سليمان، فاقترنت بالعمل، مهما كابر أرباب التاريخ.

والفكرة حكمة، ولدت في بناء الهيكل، للاحتفاظ بسرية البناء!... ثم أصبحت فيما بعد، بفضل الحكيم سليمان، والمهندس حيرام إبي، والفينيقي ملك صور، عقيدة عمرانية، توارثها البناؤون القدماء أجيالاً، وآمن بها العلماء والمفكرون.. وقد احتفظ «البناؤون الأحرار القدماء والمقبولين» بسريتها[3]».

---

(1) أبي راشد، حنا، دائرة معارف ماسونية، م.س.، ص 43.

(2) حنا أبي راشد، م.س.، ص 44.

(3) حنا أبي راشد، م. س.، ص 20.

إن أقوال حنا أبي راشد تحمل تناقضاً واضحاً، فمرة يقول: الماسونية فكرة وحكمة، وينتقل ليقول بأنها تحولت إلى عقيدة عمرانية عملية، ثم يطالعنا بأن العلماء والمفكرين قد اعتنقوها! والغريب فعلاً هو كيف يكون العمران عقيدة؟! ويقول بأن البنائين احتفظوا بسرية جمعيتهم. والسؤال إذن كيف اعتنقها رجال الفكر ومن أين تعرفوا عليها؟!

يقفز حنا أبي راشد بعد هذا قفزة أخرى في المجهول ليحدد تاريخاً آخر لنشأة الماسونية، وكأن ما يفعله يذكرنا ببرامج إذاعية عنوانها: من كل بلد أغنية. فماذا يقول هذه المرة؟ يقول في دائرة معارفه نفسها عن تاريخ الماسونية:

«وتاريخها على الوجه المعقول؛ أي تاريخ الماسونية الرمزية، يرجع إلى عهد إبراهيم الخليل (1996 ق.م. ـ 1821 ق. م). الذي كون جمعية العمال البنائين، وأمرها بهدم تماثيل الوثنيين[1]».

ولم يتوقف حنا أبي راشد صاحب الموسوعة، والذي يدعي أنه أستاذ أعظم تم على يديه تكريس ماسونيين كثر، عند هذا الحد بل يبقى في تخبطه وهو يتحدث عن المسار التاريخي للماسونية، ولست أدري كيف يمكن للإنسان أن ينتمي لحركة تعتريها الضبابية نشأة ومبادئاً ونظاماً؟!!

في حديثه عن مهد الماسونية يقول: «الماسونية كلمة فرنسية، مأخوذة من قولهم (Maçon) بمعنى بناء، إذ كانت في الأصل مقصورة على طائفة البنائين، وذلك قبل الميلاد بنحو سبعة قرون. . . كان أول اجتماع عُقد باسم ـ بناية البنائين ـ في رومية سنة 715 قبل الميلاد، وذلك بأمر وتحت رعاية الإمبراطور نومابومبيليوس وذلك بعد موت روميلوس باني رومان، وكان هذا الامبراطور أحد أعضاء الجمعية السرية المقدسة. . .[2]».

بهذا الاستعراض لأقوال حنا أبي راشد يمكن للقارئ أن يتلمس طريقه إلى موقف سليم من الماسونية، وما ينشر حولها من معلومات، فإذا كان في دائرة معارف عنها ـ ويفترض فيها تحري الصدق ـ ولمؤلف واحد، وهو كما يزعم من كبار قادة المحافل

---

(1) ـ حنا أبي راشد، م. س.، ص 27.

(2) ـ حنا أبي راشد، م. س.، ص 37.

فيها، هذا الضياع في تحديد المنشأ فكيف الحال بين مؤلف وآخر، ومنتمٍ لها وآخر؟؟

إن هذا الاستعراض يعطي دليلاً كافياً على وهمية الكثير من المعلومات المطروحة حول هذه الحركة، ويحملنا على القول بأنها لا تعدو كونها ككل الجمعيات السرية التي تعتمد المنهج الباطني، والتي تعتمد الحيلة لزيادة أتباعها، وذلك باتباع أسلوب تعدد الطرح بما يناسب الموقع والشخص. في الحركات الباطنية يعتمد مع كل شخص أسلوب يناسب أهواءه، وهكذا الحال في الماسونية.

إن ما نقوله ليس كلاماً مرتجلاً، أو موقفاً من خلفيات ـ الله إلا البحث من أجل كشف حقيقة هذه الجماعة- وإنما الماسونيون أنفسهم يعترفون بهذه الحالة من الضياع والضبابية التي تكتنف نشأة حركتهم ومبادئها. فهذا ـ مثلاً - أحدهم شاهين مكاريوس يقول: .

«لم يتفق المؤرخون على أصل الماسونية وكيفية نشأتها، فقد تضاربت الآراء واختلفت الأقاويل فيها، فمن نسب أصلها إلى أقدم الأزمان، ومن قائل إنها لا تتجاوز الجيل السابع عشر. وبالإجمال فإن دون معرفة الحقيقة أستاراً مسدولة تمنع النور عن خرق الحجاب(1)».

لقد جاء عن نشأة هذه الحركة أنها أسست بعد ظهور السيد المسيح، لمحاربة أتباعه، ويظهر ذلك في التصريح التالي:

قال حيرام: «لما رأيت أن رجال الدجال يسوع وأتباعهم يكثرون ويجتهدون بتضليل الشعب اليهودي بتعاليمهم مثلت أمام مولاي جلالة الملك هيرودس أكيبا واقترحت عليه تأسيس جمعية سرية، مبدؤها محاربة أولئك المضلين»(2).

إن هيرودس أكربيا هو ملك اليهود من سنة 37 بعد الميلاد إلى سنة 44، وهو حفيد هيرودس الكبير، الذي قتل أطفال بيت لحم. وبهذه المعلومة يضاف سبب آخر، في أسباب نشأة هذه الجمعية، يتضح منه أنها ليست جمعية بناء، ولا حركة بنائين،

---

(1) شاهين مكاريوس، «الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية»، مصر، سنة 1897م، ص 11.

(2) «تبديد الظلام أو أصل الماسونية»، تعريب عوض الخوري، بيروت، مطبعة الاجتهاد، سنة 1929، ص 102.

وإنما حركةٌ ذات أهداف هدامة في ميدان الدين والسياسة والفكر، هذا وإن كنا نستبعد العودة بنشأة هذه الحركة إلى ذلك التاريخ.

ويقول الدكتور أسعد السحمراني في كتابه الآنف الذكر: «إن هذه المزاعم في قِدَم الماسونية تهدف إلى مسألتين:

1 ـ إيهام الناس بأنها حركة قديمة ملازمة لكل التكوينات المجتمعية والجماعات البشرية حيثما حلت، وأن ما ظهر من أنماط عمرانية، ومعالم حضارية، تاريخياً ليست إلا بفضل وجود هذه الجمعية، وذلك للتأثير في ضعاف النفوس والمولعين بالغرائب والطلاسم والألغاز.

2 ـ محاولة نسج خيط يربط كل الجمعيات السرية تاريخياً، بمختلف أنواعها، لإفهام من يريد بأن الماسونية وراء كل هذه الجمعيات، وهي السبب في وجودها ونشأتها، وهي وراء بروز ووصول من برز أو وصل، وهذا الأمر كذلك موجه إلى ضعاف تشغلهم الأهواء وتستهويهم الإتكالية، وتغرهم الحيلة.

إن الحقيقة التي تجمع عليها كل المصادر أن نشأة الماسونية لا ترقى لأكثر من مطلع القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي كانت أوروبا تتخبط فيه بين التيارات الفكرية ونشأة الأحزاب، والتجمعات بشعارات الإصلاح الديني، أو السياسي، أو الثقافي، أو الاجتماعي أو سواها، لذلك لا داعي للذهاب بعيداً قبل هذا التاريخ للبحث في المسار التاريخي للماسونية، فهي لا تعدو كونها كغيرها من الحركات التي نشأة في تلك الحقبة في أوروبا بعد الثورة الصناعية لهدف أو آخر، ولكن الماسونية، كما سنوضح لاحقاً أو كما بات أكيداً، واحدة من الحركات التي أسسها يهود تواصلاً مع تاريخهم المشتهر بالمكائد والمؤامرات».

حكاية الماسونية بدأت في بريطانيا بعد ثلاث سنوات من حكم الملك جورج الأول الذي دام حكمه (1714م ـ 1727م)، والانطلاقة كانت ببروز هذه الحركة إلى الوجود بالتقاء أربعة محافل أو جماعات سرية كانت منتشرة في جنوبي إنكلترا، وهذه المحافل هي:

1 ـ محفل (Goose And Crediron) وكان يجتمع في فسحة كنيسة مار بولس.

2 ـ محفل .(Crown)

3 ـ محفل (Apple - Terre Tavern).

4 ـ محفل (Rummer And Grapes Tavern).

لقد التقت هذه المحافل الأربعة في مقر الثالث بمناسبة عيد القديس يوحنا المعمدان، في حزيران /يونيو من العام 1717م، وقرروا، بعد اجتماعات متوالية برئاسة أنطوني ساير (Antony Sayer)، تأسيس ما يسميه الماسون الماسونية الرمزية، أي التي تضم أشخاصاً عاملين في حقول غير البناء والعمارة، وكان الاقتراح، بأن يدخل الحركة أعضاء من مختلف المهن والحرف، مقدماً من محفل كنيسة مار بولس الذي كان أقواها فأُخذ به، وبذلك تم تأسيس «محفل إنكلترا الأعظم» وعين عند التأسيس أنطوني ساير أستاذاً أو رئيساً أعظم لهذا المحفل، والمنبهان كانا: جوزيف آليوت ويعقوب لامبال. وبعد سنة على تأسيس محفل إنكلترا الأعظم تم استبدال ساير فأصبح جورج باين (Georges Payne) أستاذاً أعظم والمنبهان هما: جان كوردويل وتوماس موريس. وبهذا ظهر إلى الوجود أول محفل ماسوني أكبر في العالم قاطبة، وتعاقب عليه الأساتذة والمنبهون.

أما في فرنسا فإن أول محفل أبصر النور تم تأسيسه بين أيار وتموز /مايو ويوليو من عام 1728 على يد الدوق وارتون (Wharton)، الذي كان أستاذاً أعظم في لندن. والمحفل الفرنسي وكل المحافل كانت تحت سلطة المحفل الأكبر في إنكلترا، إلى أن كان العام 1773 حيث اجتمع حوالي 46 أستاذاً أعظم في باريس لعدة مرات في حزيران /يونيو، ومن ثم في أوائل أيلول /سبتمبر، من العام المذكور، أبصر النور في فرنسا محفل جديد مستقل عن «محفل بريطانيا الأعظم» اسمه: الشرق الأعظم (Le Grand Orient)، ونشط هذا المحفل، ما قبل الثورة الفرنسية عام 1789، حيث بات يتبع له قرابة 500 محفل تضم 130،000 منتسب، واستطاع بسط سلطته على المحافل في فرنسا فقطعت علاقتها مع المحفل الأعظم الإنكليزي.

في العودة إلى النشأة مع «محفل إنكلترا الأكبر» لا بد أن نذكر أن أبرز الشخصيات المؤسسة كان جورج باين، والدكتور جيمس أندرسون والدكتور تيوفيليوس ديزاجيليه، عضو الجمعية العلمية الملكية البريطانية، والذي كان محبباً للملوك، وخاصة جورج الثالث، وهذا ما ساعد على انتشار الماسونية بسرعة حيث احتضنت من السلطات البريطانية في ذلك الحين.

في أيلول / سبتمبر من عام 1721 أوكل الماسون في بريطانيا للدكتور أندرسون مهمة وضع نظام أو دستور ماسوني، استناداً إلى نصوص قديمة كانت تعتمدها جمعيات سرية منها يهودي ومنها مناوئ للكنيسة الكاثوليكية، وأبرزها نصوص مقدمة من محفل (Goose and Crediron) الذي كان يجتمع في كنيسة مار بولس كان قد وضعها عام 1703. وبعد جهد متواصل من أندرسون أنهى عمله ودُعي 24 محفلاً من بريطانيا في آذار / مارس من العام 1722 لمناقشة مشروع النظام الماسوني المقدم من جيمس أندرسون وإقراره، وكان يومها الأستاذ الأعظم لمحفل إنكلترا الأعظم الدوق وارتون. وبعد إقرار الدستور الماسوني الموضوع من قبل أندرسون وضع في التداول منذ العام 1723[(1)]».

وإذا كانت الماسونية الرمزية قد بدأت في بريطانيا عام 1717 وأقر دستورها سنة 1723، وهو ما يعرف بالطقس الأسكتلندي الماسوني، وبعدها كان الشرق الأعظم الفرنسي سنة 1773، فإن حبات السبحة قد تساقطت بعدها، وتناثرت المحافل الماسونية هنا وهناك كل منها يسفِّه الآخر ولا يعترف بمشروعيته، وهذا الأمر يعلم ضعاف النفوس ممن يظنون أن الماسونية شبح يقف وراء كل شخص بارز أو مشهور، ووراء كل قضية تنتصر أو تفشل، وما ذلك إلا وهم وزعه الإعلام الصهيوني، فالماسونية لا تعدو كونها حركة ذات منشأ يهودي ـ كما سنوضح لاحقاً ـ وهي كغيرها من الحركات السرية لحق بها الإنقسام، وساد بين المنتسبين اليها جو توزيع التهم والخصام.

ما ذهبنا إليه يؤكده كتاب صدر حديثاً عنوانه: «الماسونية بين الانحراف والأصولية»، قام بترجمته يوسف ضوميط، وفيه ما حرفيته:

---

(1) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع في نشأة الماسونية يراجع:
ـ شاهين مكاريوس، «الحقيقة الأصلية في تاريخ الماسونية العملية»، م. س.، ص 169 وما بعدها.
ـ حنين قطيني، م. س.، ص 21 وما بعدها، وص 82، 83.
ـ حنا أبي راشد، «دائرة معارف ماسونية».

- Dictionnaire universel de la franc - maconnerie, sous la Direction de aniel ligou, paris, l'annee 1974.
- Q'Mitterand, jacques, la politique des francs - macon, paris, edition robolot, l'annee 1973, p. 44-48.
- De poncins, leon, la f.m. d'apres ses documents secrets, montreuil, diffusion de la pensee francaise, 4e edition, l'annee 1978, p. 85.

«لا يزال البعض يتصور الماسونية على أنها مؤسسة عالمية لها تنظيمها الخاص، وتعمل وفق ما ترسمه لها هيئتها المركزية، كأن الماسونيين جنود طائعون يمتثلون بإخلاص للأوامر المعطاة لهم من رؤسائهم دون نقاش أو جدل[1]».

ويكمل صاحب الكتاب: «إن الحكومة الماسونية ليست موجودة لأن الماسونية ـ ككيان قائم ـ لم تعد موجودة هي أيضاً. فليس هناك أي جامع مشترك بين ماسوني أميركي تستهويه الأعمال الخيرية ومآدب العشاء والصداقات الطيبة، وماسوني ملتزم يناضل في هذا المحفل الفرنسي أو ذاك (واستطراداً في هذا الحزب السياسي أو تلك الحركة الدينية)... فهذا دليل على ضياع الماسونية وتشتتها بحيث لم يعد لهذه الكلمة مفهوم واضح وتعطي انطباعاً للرأي العام بأنها أصبحت بؤرة للدسائس والمؤامرات على أنواعها[2]».

ويعود الكاتب ليعلن أيضاً ألمه لما أصاب الماسونية فيقول: «إن تشتت الماسونية أصبح أمراً واقعاً والتفجع عليه لا يفيد، وينبغي للتعاليم الماسونية السعي لقلب الشر إلى خير[3]».

وعن كون الماسونية مطية للإنتهازيين يقول:

«إن أخطر ما نواجهه في هذه المرحلة هو تآمر بعض السياسيين للاستفادة من سذاجة الماسونيين وتحويل البنية الماسونية مطية لتحقيق مآربهم[4]».

إن هذا الكلام الذي نقلناه أردنا به أن يتخلص القارئ العربي من أوهام أرادها الأعداء، أوهام ومقولات أن الماسونية والصهيونية وراء كل شيء، وما علينا إلا أن نعترف لهم، ونستسلم لهم فلا حول لنا ولا قوة. إن إشاعة هذا المنطق مؤامرة لا يجوز بأي حال التسليم بها، إنهم يحاولون، ولكن أصابهم الإخفاق في مواطن كثيرة والمستقبل الأسود ينتظرهم حيث سقطت أقنعة كثيرة عن وجوههم.

---

(1) «الماسونية بين الانحراف والأصولية»، ترجمة يوسف ضوميط، بيروت، دار مختارات، ط 2، سنة 1986، ص 40، 41.

(2) نفس المصدر.

(3) الماسونية بين الانحراف والأصولية، م. س.، ص 44.

(4) «الماسونية بين الانحراف والأصولية»، م. س.، ص 44.

الانتساب والرموز عند الماسونية

لا يوجد ثمة توافق بين المحافل الماسونية على مراسم الانتساب للماسونية، وعلى ترتيب الأدوات الرمزية داخل المحافل، ولكن هناك خيطاً رفيعاً يجمعها، ويشكل القاسم المشترك لها جميعاً، ولأننا بصدد الدخول في اختلافات فِرَق الماسونية، فإننا سنحاول أن نعرض للقارئ، في هذا الباب، ما يعطيه صورة كافية عن الموضوع.

كانت الماسونية وما زالت تعتمد السرية عن حقيقة أهدافها، وبذلك يتدافع الكثير من محبي الكشف عن الألغاز، على الانتساب إليها. وكثيراً ما يسمع الواحد منا أحاديث وروايات عن هذا الأمر كأن يُقال فلان انخرط في الماسونية ثم انسحب منها، أو فلان لاحظ إشارات بين شخصين يعتقد أنها إشارت التعارف بين الماسون، إلى آخر ما هنالك من مقولات كهذه.

فإن الماسونية، أيضاً، تعتمد الرموز والإشارات في طقوسها وكتاباتها ومحافلها لإدراكهم أن الأمر يحمل المرء على توهم قدرة عجيبة وراء هذه الجمعية، أو أن القائمين عليها يملكون من خزائن المعرفة ما ليس لسواهم ولذا يستحقون التقدير.

«بعد أن عرفوا تأثير الرموز في قلب الإنسان شيدوا الماسونية العامة على الطريقة التي ترمز إلى التاريخ اليهودي، الذي هو نفسه رموز دينية بحتة، فكانت هذه الماسونية أكثر الجمعيات استعمالاً للرموز، وكانت أهمية الرموز فيها شديدة التأثير بما تضمنته درجاتها من إشارات وكلمات وحركات وكل يُستر وراءه معنى من معاني الماسونية».

إن موضوع الانتساب للماسونية له مستلزماته، ومنها حفلة إدخاله للمرة الأولى إلى

المحفل بأسلوب يحمل على الغرابة، وسنعرضه كما وصفه الصحفي البريطاني «كولين روس» من وثيقة ماسونية وقعت بين يديه، وجاء ذلك في ملحق لجريدة «أوزبرفر» الصادرة بلندن في 18 حزيران/يونيو عام 1968، ومما جاء في وصفه:

«يمر العضو الجديد، لدى تكريسه، بعملية مخيفة، ولكنها سخيفة وربما مضحكة... ففي غرفة انتظار خارج المحفل، يجرد المرشح عن جميع المواد المعدنية التي يحملها... وعلى المرشح أن يشمر عن ساقه اليسرى بأن يلف سرواله إلى ما فوق الركبة، وأن يخلع حذاءه الأيمن ويلبس بمكانه نعلاً مما يُلبس في البيت أو مع لباس النوم. وعليه كذلك أن يخلع سترته، ويفتح قميصه بحيث يكون صدره مفتوحاً تماماً من الجهة اليمنى. ويُعصب رأس المرشح بعصابة سوداء تغطي عينيه، ويُلف حول عنقه حبل غليظ طويل أشبه بحبل المشنقة ويقاد بهذه الصورة إلى الداخل.

... وأول ما يقابل المرشح عند دخوله المحفل، أو بالأصح اقتياده إليه، هو «حارس المحفل» (TYLOR)، وهو الموظف الذي يقف في باب المحفل وبيده سيف مسلول ليحول دون دخول غير المرغوب في دخولهم. وتبدأ طقوس النقر بمطرقة خاصة، ويقاد المرشح إلى داخل المحفل، حيث يوجه إلى صدره العاري خنجر يمسه مساً خفيفاً، ويُجري المرشح حواراً مع الأستاذ حول الدوافع التي جعلته يسعى للانتماء إلى المحفل».

إن هذه الطريقة المسرحية، التي يخضع لها العضو الجديد، كافية لخلق الوساوس في ذهنه بحيث لو فكر لوقت طويل بها لما أمكنه أن يفهم كل حركة أمر بها، فلماذا تُعصب عيناه مثلاً؟ ولماذا يخلع نعله الأيمن دون الأيسر؟ ولماذا يفتح قميصه؟ ولماذا...؟ ولماذا؟...

إن أول الشروط اللازمة لطالب الانتساب، كما حددها نظام المحفل الأكبر الوطني المصري، هي كما يلي:

المادة 140: في الشروط اللازمة لقبول الأجانب هي:

1 ـ أن يكون حر التصرف.

2 ـ أن يكون بالغاً السنة الحادية والعشرين من عمره.

3 ـ أن يكون حائزاً للعلوم الابتدائية على الأقل.

المادة 141:

أبناء الأخوة البنائين الأحرار يجوز تكريسهم في تمام الثامنة عشر سنة.

وشروط الانتساب للشق الإسكوتلاندي، وهو التابع لمحفل بريطانيا الأعظم أو الأكبر، والذي يسمى بالإسكوتلاندي، لا تختلف عن ذلك، فقد جاء في قانونه العمومي: «أما البناء الحر والمقبول عضواً فيجب أن يكون حر النسب صادقاً حازماً بالغاً الحادية والعشرين من سنيه، ولا يقبل العبيد والنساء ولا فاسدو الآداب مطلقاً».

ومن الأساليب المتبعة مع المنتسب الجديد لإلقاء الرهبة في قلبه من مخاطر إفشاء أسرار الماسونية، ولإفهامه أن التوراة كما هي بعد تحريف يهود فيها للكلِم عن مواضعه هي النور الذي اهتدى إليه وعليه أن يتمسك به، وأن يهجر ما عداها من كتب سماوية، وما سوى اليهودية، بالمفهوم الصهيوني الذي نراه اليوم من الأديان، يعتمدون الطريقة التالية ووفق وصفهم هم أنفسهم فلقد قالوا:

«نعصب على عيني الداخل، في أول الأمر، فلا ندعه يرى شيئاً من جميع موجودات الهيكل حتى يتم حلف اليمين. تُجعل العصابة على عينيه وهو خارج الباب وعند ذلك يأخذه الحاجب ويسلمه إلى الكفيل، فيقوده الكفيل إلى جهة الرئيس بعد أن يهمس في أذنه قائلاً له أن يخطو ثلاث خطوات متساوية مبتدئاً بالرجل اليمنى، ثم يوقفه بين العمودين، ونرمز بهذا الإغماض إلى أن الخارجي يكون قبل دخوله معنا في ظلام حتى إذا امتزج بنا، واتحد معنا وحلف اليمين، انتقل من الظلمة إلى النور، إلى الدين اليهودي، الممثل بالنور، وبذلك إشارة إلى أن الإنسان الخارج من الظلمة إلى النور يحافظ على النور ويتمسك به لئلا يرجع إلى الظلام فلا يرى طريقه فيتعثر في مسيره ويستقر في الظلمة. ثم إن الرئيس يدعوه ويلقي عليه الأسئلة التي يراها مناسبة ويحلفه اليمين، وفي يد الرئيس سيف على عنق الحالف وأمام عينيه التوراة على يدي كفيله. وعند انتهائه من اليمين تحل العصابة عن عينيه فيرى السيف مسلولاً على عنقه والتوراة، أي النور، أمام عينيه. فبعد هذه الحفلة يلبسه الكفيل مئزراً صغيراً نرمز به إلى أنه انضم إلينا ليشاركنا في تشييد أسوار بنايتنا».

والمنتسب للماسونية يجب أن يتقدم بطلب خطي، عن طريق ماسوني قديم، إلى المحفل الذي يريد الانضمام إليه، ولا يقبل قبل أن يزكيه الكفيل ناقل الطلب، ويكون الطلب على الصورة التالية:

«حضرات رئيس محفل.. المعتبر وأعضائه الكرام.

بعد تقديم واجبات الاحترام والوقار أعرض أني أنا ابن... البالغ من العمر... سنة المولود في... والمقيم في... ومهنتي... بناء على ما علمته واشتهر عن حسن مبادئ جمعيتكم الموقرة ألتمس الدخول فيها ضمن أعضاء محفلكم المعتبر، وأتعهد لكم بالمحافظة على مبادئ الآداب الشريفة وطاعة القانون والمواظبة على حضور الجلسات لاكتساب الفوائد إذا حُسبت أهلاً وقُبلت في ما بينكم. وطلبي هذا بإرادتي واختياري، وأنا مالك تمام صحتي وقوتي بلا إجبار ولا إكراه».

إقبلوا مزيد احترامي واعتباري لجنابكم.

تحريراً في... سنة... الداعي»

بعد تقديم الطلب والتزكية، ودخول المنتسب الجديد إلى المحفل يأتي دور اليمين التي يؤديها داخل المحفل، والسيف على رقبته كما جاء في نص سابق.

وفي أول احتفال يجري لقبول المبتدئ يقسم يميناً نصها وفق المحافل الإسكوتلاندية:

«أنا.. بين يدي، مهندس الكون الأعظم، وبحضرة أعضاء هذا المحفل، المفوض المعظم، محفل البنائين الأحرار القدماء المقبولين، المجتمع قانونياً، والمنتظم كما ينبغي. أتعهد بإرادتي واختياري، أن أصون وأكتم الأسرار والرموز، التي تباح لي الآن، أو فيما بعد، في الماسونية القديمة، ولا أبوح بها لأحد، إلا للأخ أو للأخوان الصادقين، أو لمحفل عادل تام، منتظم بعد دقة الاختيار والامتحان والتيقن، بأنه أو أنهم أهل للثقة، وأتعهد، بألا أكتب هذه الأسرار، ولا أطبعها، ولا أحفرها ولا أنقشها، ولا أدل عليها، بوجه من الوجوه، وأن أمنع بما استطعت، من يقصد اختياراً، أو إجباراً، أن يفعل ذلك على جميع ما تحت القبة الزرقاء، من الجامد والمتحرك، سواء كان بالحرف، أو بالوصف، أو بالصورة، صريحاً أو غير صريح، لنفسي أو لغيري من الناس، حتى لا تكشف أسرار البنائين الأحرار، ولا يطلع عليها أحد بإهمالي... وإذا حنثت بيميني هذا، أكون مستحقاً كل العقوبات الماسونية، حتى القتل[1]».

---

(1) القانون العمومي للشرق الإسكوتلاندي السامي، م. س.، ص 160، 161.

وإذا كانت هذه اليمين قد تختلف بعض عباراتها، بين محفل وآخر، إلا أن ما هو مشترك بينها هو تلك التعهدات القاطعة بالسرية والكتمان، وتعهد المنتسب بالخضوع طوعاً لأية عقوبة يفرضها عليه مسؤولو محفله حتى لو كانت القتل. وإذا كانت الماسونية حركة من أجل توحيد العالم ووقف النزاعات ونشر السلام، وإذا كانت الماسونية جمعية للخدمات الاجتماعية وإشاعة الآداب، وفق مزاعم أتباعها، فلماذا السرية يا ترى؟ لا بل لماذا التشدد بالسرية؟

يستخدم الماسون، في أدبياتهم ورموزهم، كلمة محفل يدلون بها على أماكن اجتماعاتهم السرية، ويشيرون بهذه الكلمة بشكل مموه للهيكل لأنهم أرادوا أن يتعاهدوا على إعادة بناء هيكل سليمان في القدس.

والمحفل، بالتعريف الماسوني، هو:

«مكان يجتمع إليه البناؤون الأحرار للعمل ليعلموا ويهذبوا أنفسهم بأسرار الفنون القديمة، وبعبارة أعم يطلق على الأشخاص أو المكان، فكل اجتماع قانوني أو جلسة منتظمة للبنائين الأحرار يدعى محفلاً، فيجب على كل أخ (ماسوني) أن يكون تابعاً لمحفل من المحافل وخاضعاً لقانونه الداخلي ولقانون العشيرة العام».

والمحفل في دستور الماسونية، والتزاماً بأهدافها في إعادة بناء هيكل سليمان، يجب أن يكون تصميمه الهندسي مماثلاً لوضع هيكل سليمان، وبذلك يضفي الماسون على محافلهم صفة من القداسة لتحريك الوجدان المؤسس على عقيدة أتباعهم، ففي مواصفات المحفل جاء في نظامهم:

«المحفل يمتد من الشرق إلى الغرب، لأن الشمس تشرق في الشرق وتغرب في الغرب، ولأن العالم نشأ في الشرق ومنه امتد إلى الغرب، ولأن المحافل يجب أن تبنى على مثال هيكل الملك سليمان، وذلك الهيكل بني على شكل خيمة الشهادة التي أوحى الله بها لموسى».

هذا هو المحفل بمعناه الهندسي، وهو إحياء وتذكير دائم بمهمة الماسون ببناء هيكل سليمان، لكن تأسيسه بالمعنى النظامي، واستحداثه له شروطه أيضاً، ووفق محفل الشرق الإسكوتلاندي حُددت شروط تأسيس المحفل بما يلي:

المادة 141:

«متى أراد عدد لا يقل عن السبعة من البنائين الأحرار الأساتذة الحائزين على تمام الصفات المطلوبة (أي مسددين الرسوم المطلوبة وغير مرتكبين جرائم) أن يؤسسوا محفلاً جديداً فعليهم أن يرفعوا إلى الشرق الأعظم عريضة يبينون فيها الأسباب التي دفعتهم لتأسيس المحفل، ويطلبون إليه أن يرخص لهم بالعمل ويمنحهم البراءة».

ولا يتم تأسيس محفل جديد، عند طلب ذلك، وفق ما جاء، إلا إذا تمت تزكية الطلب من قبل محفليْن ماسونيين مجاورين، وقد تختلف الإجراءات نسبياً عند محافل أخرى غير المحفل الإسكوتلاندي، ولكن التباين ليس بذي بال فهو عند آخرين على الوجه التالي:

«يقدم تسعة أساتذة عريضة إلى المحفل الأكبر باسم الأستاذ الأعظم يطلبون فيها إنشاء محفل جديد بالإسم الذي يختارونه والمكان والزمان للاجتماع، وبعد الترخيص لهم، حسب الأصول الماسونية، يحضر الأستاذ الأعظم والمندوبون من قبله لتكريس المحفل رسمياً وتثبيت موظفيه[1]».

عند تأسيس المحافل الجديدة أو تكريسها، وفق الاصطلاح الماسوني، تغلق الأبواب بعد دخول الجميع إلى مكان المحفل، وعادة تكون حفلة التكريس الأولى بحضور الأساتذة مؤسسي المحفل ومعهم الأستاذ الأعظم للطريقة الماسونية التي يتبعون لها، أو الأستاذ الأعظم الإقليمي. وبعد افتتاح الحفلة بأدعية من مثلها مثلاً:

«نسألك يا إلهنا وإله بني إسرائيل، يا من لا إله غيرك، أن تهب السكينة والرحمة في قلوب عبيدك الضعفاء المخلصين لك[2]». بعد الأدعية تُقدم الألبسة والأوسمة للأستاذ الأعظم، ويكون هذا الأخير قد قرأ البراءة التي تجيز للأساتذة تأسيس محفلهم الجديد، ومن جملة مراسم التكريس الطواف مرات عديدة في المحافل مع ترنيمات وأدعية لاسم مهندس الكون الأعظم، وتقديم خطيب المحفل كلمة يتلو فهيا نصوصاً توراتية.

«من سفر أخبار الأيام الثاني الإصحاح الثاني من عدد (1) إلى عدد (16). وأمر

(1) شاهين مكاريوس، «الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية»، م.س.، ص 107.
(2) المصدر السابق ص 109.

سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيت لملكه. وأحصى سليمان سبعين ألف رجل حمال وثمانين ألف رجل نحات في الجبل ووكلاء عليهم ثلاثة آلاف وست مئة وأرسل سليمان إلى حيرام ملك صور قائلاً: كما فعلت مع داود أبي إذ أرسلت إليه أرزاً ليبني له بيتاً يسكن فيه، فهأنذا أبني بيتاً لاسم الرب إلهي لأقدس له، لأوقد أمامه بخوراً عطراً ولخبز الوجوه الدائم وللمحرقات صباحاً ومساءً وللسبوت (ج. سبت) والأهلة ومواسم الرب إلهنا. هذا على إسرائيل إلى الأبد[1]».

إن ما يقرأه الخطيب في تكريس محفل جديد لا يحتاج إلى كبير عناء كي يثبت من خلاله الارتباط الوثيق بين الماسونية واليهود، لا بل كأن الطقوس في الماسونية هي ترتيبات دخول لفرد أو جماعة محفل ما في الديانة اليهودية، فإننا نلاحظ في الكلام الآنف استخدام النصوص من التوراة أولاً، ثم التركيز على إعادة بناء الهيكل، أي السعي لأرض الميعاد، كما يدعي اليهود، وحرمة أيام السبت وفق المعتقد اليهودي.

ومن طقوس تكريس المحفل التي تثبت يهودية الماسونية ومعاداتها للإسلام والمسيحية، استخدام كلمة «يهوه» العبرية في مخاطبة الإله الخالق سبحانه، وشرب الأنخاب بهذه المناسبة. ومما جاء في هذا الباب في القانون العمومي لمحفل الشرق الإسكوتلاندي:

«ثم يلفظ الأستاذ الأعظم أو الأستاذ الأعظم الإقليمي البركة قائلاً: باسم يهوه العظيم الذي يليق له كل مجد أكرس هذا المحفل للعشيرة الماسونية».

... ثم يتقدم المحافظ الأول الأعظم... ويقول:

«أيها الأستاذ الأعظم الكلي الاحترام (أو أيها الأستاذ الأعظم الإقليمي الفائق الاحترام) إن الخمر الذي هو دليل القوة والفرح والذي جرت العادة منذ القديم أن يستعمله إخواننا عند تكريس محافلهم أقدمه لك في هذه الحفلة ليستعمل جرياً على العادة الماسونية الثابتة».

ثم يلفظ الأستاذ الأعظم أو الأستاذ الأعظم الإقليمي، البركة الثابتة قائلاً: «باسم القديس يوحنا أكرس هذا المحفل[2]».

---

(1) «القانون العمومي للشرق الإسكوتلاندي السامي»، م.س.، ص 94، 95.

(2) القانون الأساسي للمحفل الأكبر الوطني المصري، م.س.، ص 11، 12، 13.

بعد ذلك يعلن الأستاذ الأعظم تكريس المحفل باسم الأستاذ الأعظم لمحفلهم الأم، ويرتل الجميع بعض الإصحاحات من التوراة كخاتمة لحفل التكريس.

أما عن ترتيب المناصب في المحافل بين الأعضاء فإنها أشبه بترتيب عسكري، كما يتضح من القانون الأساسي للمحفل الأكبر الوطني المصري، وهي في هذا المحفل على الوجه التالي:

المادة 21: «ينقسم أعضاء المحفل الأكبر إلى موظفين عظام وضباط عظام، سواء كانوا متقلدين وظائفهم حالاً أو تقلدوها سابقاً، ودرجاتهم تعتبر كالآتي:

1 ـ الموظفون العظام:

الأستاذ الأعظم ـ الأساتذة العظام السالفون ـ نائب الأستاذ الأعظم ـ نواب الأساتذة العظام السالفون ـ مساعد نائب الأستاذ الأعظم ـ مساعدو نواب الأساتذة العظام السالفون ـ الأساتذة العظماء الريفيون ـ الأساتذة العظام السالفون ـ المنبهان العظيمان ـ المنبهون العظام السالفون ـ أمين الخزينة الأعظم ـ كاتب السر الأعظم ـ مساعد كاتب السر الأعظم ـ الخبيران العظيمان ـ المرشدان العظيمان ـ أمين الدفتر خانه الأعظم ـ المهردار الأعظم.

2 ـ الضباط العظام:

المهندس الأعظم ـ التشريفاتي الأعظم ـ مساعد التشريفاتي الأعظم ـ المهيب الأعظم ـ مساعد المهيب الأعظم ـ الخازن الأعظم ـ حامل الكتاب الأعظم ـ حامل العلم الأعظم ـ السياف الأعظم ـ المدبرون العظام ـ الحاجب الخارجي الأعظم».

المادة 22: «لا يجوز تقليد وظيفتين لأخ واحد[1]».

إضافة إلى تقسيم المناصب في المحفل، وهي كثيرة كما لاحظنا، فإن الماسون، ووفق أقدمية انتسابهم للماسونية ومقدار تطورهم فيها، يتوزعون على ثلاثة مستويات هي: التلامذة ـ الرفاق ـ الأساتذة.

وفي الانتقال إلى ترتيب بناء المحافل الذي يزعم الماسونيون أنهم يقلدون في

---

(1) رسوم البناية الحرة الدرجة الأولى للطريقة الإسكوتلاندية، م.س.، ص 41.

تنظيمها هيكل سليمان كي يعمل الماسونيون بكل جهدهم لإعادة بنائه وتنظيم المحفل على مثاله ليتذكروه دوماً، نلاحظ في هذا الترتيب أن الركائز الأساسية للمحفل ثلاثة أعمدة تقوم عليهم قبة زرقاء، أما عن تفسير ما ترمز إليه هذه الأشياء فيقولون:

«إن محافلنا ترتكز على ثلاثة أعمدة وهي: الحكمة والقوة والجمال، فالحكمة لازمة في إدارة أعمالنا، والقوة لا مندوحة عنها لدى كل خطر، والجمال ضروري للزينة.

وسقف المحفل مثال القبة الزرقاء التي لا يرقى إليها إلا بمعراج من درجاته الإيمان والرجاء والرحمة. أما الإيمان فبمهندس الكون الأعظم، وأما الرجاء فبالخلاص والنجاة. وأما الرحمة فبالإحسان إلى سائر الناس[1]».

ويقوم على مدخل المحفل اثنان من الأعمدة هما عمودا الجمال والقوة. فعمود الجمال يسمى ياكين (Yakin) وينقش عليه الحرف (G)، ويزعمون أنه الحرف الأول من اسم جاكين، وهو أحد أسباط يعقوب. وعمود القوة يسمى بوعز (Bouz)، وينقش عليه الحرف (B) ويزعمون أنه الحرف الأول من اسم بوعز الجد الرابع للنبي سليمان.

ويعيد الماسونيون سنة وضع هذين العمودين إلى المهندس حيرام الذي بنى «هيكل سليمان. ولون العمودين واحد أحمر والآخر أبيض. ويرمزان للشمس والقمر، وهما رمز للثنائية والاتحاد بين المذكر والمؤنث وبين الموجب والسالب[2]».

ومن الرموز الهامة والأساسية في المحافل النجمة السداسية التي هي شارة مشتركة بين اليهود والماسونية، وهي تتألف من مثلثين الأول أبيض والثاني أسود، فإلى ماذا يرمزان؟

«المثلث الأبيض يمثل الألوهية والقداسة، وقوة التحول والتطور والقوى الروحانية. والمثلث الأسود المقلوب المكمل للأول يرمز للعدم وللإرادة وللقوى الأرضية والبشر[3]».

---

(1) - Hustin, D. Serge, Les socites secretes, paris, presses universites de france, 8e edition, i'annee 1973, p. 72.

(2) - Hustin, D. Serge, IBID, P. 73

(3) - Hustin, Serge, IBID, P. 71

إن المثلثات المستخدمة بين الرموز الماسونية تكون متساوية الأضلاع وفي وسطها عين ترمز إلى العين الإلهية. والمثلث عندهم يحمل معنى الألوهية والثالوث المقدس، ولكنه يختلف عن مدلول ومفهوم الثالوث المقدس في المسيحية، فهو عند الماسونية يعني التثليث في كافة أشكاله ومدلولاته، فهو يشير إلى: «الماضي والحاضر والمستقبل، ويرمز إلى الحكمة والقوة والجمال، ويرمز إلى الملح والكبريت والزئبق (العناصر الأساسية في المواد)، والثالوث في قانون الطبيعة يرمز إلى الولادة والحياة والموت... الخ. أما العين فهي رمز الإيمان[1]».

ومن محتويات المحفل آلات هندسية أخرى كالزاوية، والفادن (آلة تمتحن فيها استقامة البناء) والشاقول، وهذه الأدوات، وهي بعض ما في المحفل، ترمز إلى معاني لا يعرفها إلا الماسونيون، ويقولون في ذلك:

«تكون الزاوية عندنا رمزاً إلى وجوب الاشتغال حسب القانون الماسوني، والسير حسب الخطة الموافقة، وتوفيق مسلكنا على أصول الأدب والفضيلة. والفادن يدل على كون البشر جميعاً من أصل واحد وطبع واحد ولهم الرجاء الواحد، وإن يكن الامتياز بينهم ضرورياً لأجل الانقياد ومكافأة المحسنين عملاً والمستحقين تلطيفاً. مع ذلك لا يجوز أن يحملنا شيء من ذلك على نسيان كوننا أخوة لأنه يأتي زمان تزول فيه كل الحواجز بين البشر ولا تبقى سوى مميزات الصلاح والفضيلة، والموت الذي هو مبطل العظائم البشرية يساوي بين الناس.

والشاقول يعلن لنا وجوب السير باستقامة في أحوالنا المختلفة، ويعلمنا بأن نلاحظ كفتي العدالة ونضبط المساواة بينهما، ونسلك بالاعتدال بين طرفي الإفراط والتفريط ونجعل عواطفنا وأحكامنا منطبقة على خطة الواجب الحقيقي.

نتعلم من الزاوية القائمة الأدب، ومن الفادن المساواة، ومن الشاقول العدالة والاستقامة في سبل الحياة وسائر الأعمال[2]».

---

(1) «رسوم البناية الحرة الدرجة الأولى للطريقة الإسكوتلاندية»، تعريب شكري الفاخوري، طرابلس الشام، مطبعة البلاغة، سنة 1923، ص 18، 19.
(2) حنين قطيني، م.س.، ص 107.

لكن هذا التفسير لما ترمز إليه هذه الأدوات الهندسية أو سواها قد يختلف عند محفل غير المحفل الإسكوتلاندي، فالزاوية مثلاً ترمز عند محفل الشرق الأعظم الفرنسي إلى تأثير الإنسان على المادة وإلى ضبط الفوضى.

وأما البيكار فيرمز إلى النسبية التي تقاس بها، أو تحدد بواسطتها أكبر الميادين وأقصى درجات الإبداع التي يتوصل إليها النبوغ الإنساني.

وخيط الشاقول مثلاً، عند ماسونيين غير الإسكوتلانديين، يعني الأداة التي لا تخطئ، وهو مثل سلم يعقوب يصل السموات بالأرض، وهو علامة الاستقامة والحق.

وهذه الأدوات، وغيرها من أدوات هندسية يستخدمها الماسون، يدعونها الجواهر المتنقلة لأن الأساتذة العظام، في المحافل والمنبهين، يحملونها معهم دوماً ويسلمونها لمؤسسي المحافل الجديدة عند تكريس محافلهم.

ومن بين محتويات المحفل: المطرقة وهي «ترمز إلى صقل العقول، وتنظيم الأعمال وتجديد القوى، والاستمرار على الجهد، واحتمال المصائب بصبر وجلد.

ومن بين المقتنيات في المحافل: الكتاب، وهو التوراة، ويقصد به الماسون أنه النور الذي يبدد الظلام من أمام أعينهم، وهو المعين في ضبط أحكام الإيمان عندهم كما يعتقدون.

وأكرر: إن رمزية الأدوات ليست واحدة عند الجميع، فالبيكار مثلاً، الذي مر ذكره على أنه مقياس نسبي لميدان النبوغ الإنساني، وهذا في مفهوم الشرق الأعظم الفرنسي، يرمز عند بعض محافل الاسكتلانديين إلى أنه العامل المساعد على حفظ الماسون ضمن الحدود اللائقة التي تربطهم مع الجنس البشري وخصوصاً مع أبناء عشيرتهم الماسونية.

تبقى مسألة في موضوع الرموز هي أسلوب التعارف بين الماسونيين، والذي قد يختلف بين محفل ومحفل، ولكنه في المحفل الأعظم البريطاني (الاسكوتلاندي) على الوجه التالي: يكون التعارف بالقيام بحركة «خاطفة تمثل قطع الرقبة بإبهام ممدود، ثم يدرب على الطريقة الخاصة في المصافحة، وتكون بضغط الإبهام على المفصل

الأول من خنصر الشخص المقابل، كما يدرب على الخطوات الماسونية الخاصة، وهي وضع الأقدام بزوايا قائمة[1]».

لقد استعرضنا بعض التفسيرات الرمزية لأدوات وحركات يستخدمها الماسونيون في سلامهم وسلوكهم ومحافلهم وعضويتهم، ولكن، كما ألمحت، ليس مفهوم ما ترمز إليه الأدوات واحداً بسبب تعدد المحافل ومناهجها.

إنما حقيقة الأمر، كما يقول الماسونيون أنفسهم، هي أن ما أباحوه ليس أكثر من صور جزئية مشوهة تدفع بعض الأشخاص باتجاههم لاستطلاع حقيقة حركاتهم فيتورطون معهم. فالسر الماسوني كما يقولون:

«ينتقل عبر الكلمة والصورة والكتابة، والكتابة هي الشعائر وهي لم تنشر إلا بصورة جزئية وناقصة.

فالشعائر العائدة للدرجة الأولى، أي للمبتدئ، هي معروفة أكثر من سواها. أما الشعائر المتعلقة بالدرجة الثانية، أي للرفيق، فلم تطبع أبداً، والنصوص المتداولة عنها مبتذلة وساذجة. والشعائر العائدة للدرجة الثالثة هي معروفة بصورة مبهمة أسوة بشعائر عيد مار يوحنا (الواقع في الصيف). أما شعائر عيد مار يوحنا الذي يحتفل به في الشتاء وكذلك تلك التي تتعلق بممارسة وظيفة الأستاذ الأعظم، وهي أعلى رتبة في الماسونية، فلم ولن يكشف النقاب عنها أبداً. من هنا يتبين لنا أن الماسونية الممارسة لا تزال تحتفظ بالكثير من الأسرار على الرغم من أنها اشتهرت بأنها كشفت جميع أسرارها[2]».

(1) فتحي صفوة نجدة، م.س.، ص 49.

(2) «الماسونية بين الانحراف والأصولية»، م.س.، ص 20.

الفصل الرابع

ـ مواضيع الفصل:

* الماسونية والدين
* الماسونية والسياسة الصهيونية
* أب الماسونية (حيرام آبي)
* الماسونية ـ دراسة لسيادة المطران حبيب باشا

الماسونية والدين

إن البحث في نشأة الماسونية وأهدافها يعطينا صورة جلية عن الدور اليهودي في تأسيسها، ومساندتها، وتوجيه حركتها، كي تكون خادماً أميناً، وأداة مقنعة لتحقيق ما يصبو إليه اليهود.

فالأساتذة الذين رسموا، وما زالوا يرسمون، الدساتير الأصلية للمحافل الماسونية على تنوعها هم في الغالب من اليهود أو المتهودين.

ورغم التضليل الذي يمارسونه في نظم المحافل بموقف حيادي من الدين، إلا أن الحقيقة هي أنهم يهود في كل حركة وكلمة من نظامهم. فلقد ورد على سبيل التمويه في نظام المحفل الأكبر الوطني المصري المادة (9) ما يلي:

«لا تتعرض هذه العشيرة في اجتماعاتها للمباحث الدينية ولا تخوض في المباحث السياسية[1]».

لكن هذا الموقف لا يصمد طويلاً حيث يطالعنا شاهين مكاريوس، وبلهجة مملوءة بالسخرية من الدعوة إلى الدين، بموقف يبدو في ظاهره أن الماسونية لا تتعرض للدين، وليس عندها موقف معاد منه، لكن النص سيبين لنا موقفاً عدائياً صريحاً عند الماسون من الدعوة الدينية والإيمان. يقول مكاريوس عن العلاقة بين الدين والماسونية:

«إن الماسونية لا تقاوم الدين، أزيد أنها تحترمه كل الاحترام، ولا أعني بذلك أن معلميها دعاة ووعاظ يطوفون البر ويقطعون واسع الأبحر طلباً في رد مرتد أو هداية كافر وقطع لسان ملحد أو معطل وهلم جرا، ولا أعني أيضاً أنهم يقومون في الكنائس،

---

(1) القانون الأساسي للمحفل الأكبر الوطني المصري، م.س.، ص 5.

والجوامع وعلى زوايا المنتزهات والشوارع يقصدون جاهلاً يهولون عليه بفارغ كلماتهم، وخائفاً يتقربون إليه بمخرفاتهم، ويزعمون أنهم المحسنون بما يوهمونه من معرفتهم بما يسكن روعه ويزيل من مخاوفه[1]».

فيعود شاهين مكاريوس وينقض ما قاله، بحيث يقول في فقرة أخرى من كتابه: «إن الماسونية تحترم الأديان»، حتى يطالعك بأقوال تحط من شأن الدين، حيث يعتبره «تهويلاً يمارسه الدعاة على الجهلة، أو أنه خرافات يتقربون بها إليهم»، وبعد ذلك كيف يمكننا التصديق بأن الماسونية تحترم الأديان؟!

وما يبين بشكل أكثر صراحة الموقف من الدين عند الماسون ما ذكره الأب لويس شيخو عن لسان ماسوني في محفل منفيس بلندن اسمه كولفين (Golphin) الذي قال:

«إننا إذا سمحنا ليهودي أو لمسلم أو لكاثوليكي أو لبروتستاني بالدخول في أحد هياكل الماسونية، فإنما ذلك يتم على شرط أن الداخل يتجرد عن أضاليله السابقة، ويجحد خرافاته، وأوهامه التي خدع بها في شبابه فيصير رجلاً جديداً، فلو بقي على ما كان لا يستفيد البتة من محافلنا الماسونية[2]».

هذا موقف من محفل بريطاني يتوافق معه موقف آخر معاد للدين تسمعه من محافل أخرى في أكثر من بلد. فعلى سبيل المثال، جاء في نشرة الماسون الألمانية، بتاريخ 15 كانون الأول /ديسمبر من عام 1866، ما حرفيته: «ليس فقط يجب على الفرمسون أن لا يكترثوا للأديان المختلفة لكن يقتضي عليهم أيضاً أن يقيموا نفوسهم فوق كل اعتقاد بالإله أياً كان[3]».

أما إذا يممنا وجهنا إلى المحافل الفرنسية فالأمر لا يختلف، بل يزداد الموقف العدائي للدين، لأن المحافل الفرنسية قامت بالأساس على قواعد لادينية (علمانية)، وعملت على هدم الكنيسة ومحاربة الإيمان الديني عامة، ومن جملة هذه المواقف ما جاء في نشرة المحفل الفرنسي الأكبر لعام 1923 وفيه:

---

(1) شاهين مكاريوس، «الآداب الماسونية»، بيروت، دار مارون عبود، ط 2، سنة 1983، ص 22.
(2) الأب لويس شيخو، «السر المصون في شيعة الفرمسون»، الكراس الأول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، سنة 1910، ص 23.
(3) الأب لويس شيخو، م.س.، ص 26.

«إن رجال الدين عن طريقه يحاولون السيطرة على أمور الدنيا. وعلينا أن لا نألو جهداً في التمسك بفكرة «حرية العقيدة»، وألا نتردد في شن الحرب على كافة الأديان لأنها العدو الحقيقي للبشرية، ولأنها السبب في التطاحن بين الأفراد والأمم عبر التاريخ.

أيها الأخوان: لا بد لنا أن نكافح بجهد أكبر لإدامة القوانين والنظم اللادينية، لأن السلطة المطلقة، التي صنعها رجال الدين على وجه المعمورة، قد قاربت النهاية، لا بل آلت إلى الزوال. وإن غايتنا قبل كل شيء هي إبادة الأديان جميعاً[1]».

وينقل الجنرال جواد رفعت آتلخان في كتابه من مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني، المنعقد سنة 1911، ما يلي:

«يجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان، وعلينا ألا نألو جهداً في القضاء على مظاهرها[2]».

إن ما ذهبنا إليه ليس زعماً أو تخميناً وإنما استنتاجاً يصل إليه أي مطلع على مواقف الماسونية التي تظهر العداء للدين عامة، وعند التحري يتضح أنها عدوة الإسلام والمسيحية دون سواها، ومن هذا القبيل كنا قد ذكرنا أبياتاً من الشعر لإبراهيم اليازجي أهداها لشاهين مكاريوس، وفيها:

«الخير كل الخير في هدم الجوامع والكنائس و...[3]».

إن هذا العداء للإسلام والمسيحية، الذي نظمه إبراهيم اليازجي شعراً ليعبر عن موقف الماسونية، هو عينه الموقف الذي جاء في دساتير الجمعيات الماسونية ونظمها. إنهم لا يتورعون عن القول صراحة:

«إن مبادئ الجمعية الأساسية هي مناوأة يسوع ورجاله، وبعدهم محمد ورجاله، والاحتفاظ بالدين اليهودي دون سواه[4]».

---

(1) الجنرال جواد رفعت آتلخان، «أسرار الماسونية»، ترجمه عن التركية وعلق عليه: نور الدين رضا الواعظ، وسليمان محمد أمين القابلي، بيروت، مكتبة المثقف، سنة 1376 هـ، ص 21.
(2) المصدر السابق. ص 32.
(3) مجلة «المشرق»، لبنان، سنة 12، العدد 12، كانون الأول / ديسمبر 1909، ص 939.
(4) «تبديد الظلام أو أصل الماسونية»، م.س.، ص 75.

وبسبب هذه الروح العدائية للمسيحية والإسلام لاقت الماسونية رواجاً واسعاً منذ نشأتها في فرنسا بشكل خاص، لأن اللادينية التي روج لها الكتّاب، والمفكرون، كرد فعل على أخطاء الكنيسة وتسلطها، حولت اللادينية إلى شبه تيار سائد شكل أرضاً خصبة للماسونية وأفكارها خاصة دستورها الذي صاغه أندرسون البريطاني، والذي أقر في العام 1723. يقول أحد الكتاب الماسون جاك ميتران:

«في فرنسا، حيث الكاثوليكية هي دين البلد السائد، وجد الثائرون عليها في نصوص أندرسون الماسونية صدى لكنه أفكارهم. وفي مواجهة الدين أو المذهب الكاثوليكي السائد طرحوا ـ ما زعموا أنه ـ حرية الضمير التي دعت إليها طروحات أندرسون في العام 1723[1]».

إن نصوص أندرسون، التي سميت دستور الماسونية، لم تذكر مطلقاً الله تعالى، ولم تتعرض لكل مبادئ وعقائد الإيمان، كالجنة والنار واليوم الآخر والخطيئة، وإنما كانت عبارة عن خطوط عريضة لأخلاق إنسانية عمادها كما يقول: «الأفضل من الأعمال، والصدق والإخلاص والشرف... الخ[2]».

لكن المسألة في جوهرهاكانت عند أندرسون والماسون طرح قواعد جديدة للتنظيم الاجتماعي بديلة عن الدين، لا بل معادية له، وهذا ما بدأ يظهر شيئاً فشيئاً في وقت لاحق على وضع نصوص أندرسون.

لقد أعلن الماسون موقفهم من المسيحية والإسلام بما يظهر التزامهم التام بالموقف اليهودي في هذا الباب، حيث جاء على لسان أحد مؤسسي الجمعيات الخفية، التي مهدت للحركة الماسونية ويُدعى لافي موسى لافي: «في أواخر الجيل السادس للدجال يسوع الذي أضنكنا بتدجيلاته، ظهر دجال ادعى التنبؤ والوحي، وأخذ ينادي بالهداية مرشداً العرب الذين كانوا عبدة الأصنام إلى عبادة الإله الحق، وسن شرائع مخالفة لسنة ديانتنا اليهودية،... فمال إليه كثيرون في مدة قصيرة، فقمنا نناهض دعوته وإرشاده وسننه ونصرخ بأصواتنا الخفية لنفهم الذين يميلون إليه وإلى رجاله أنهم وإياهم دجالون كسابقهم يسوع[3]».

---

(1) -Mitterrand, Jacques, IBID, P. 65.

(2) -Mitterrand, Jacques, IBID, P. 46, 47.

(3) «تبديد الظلام أو أصل الماسونية»، م. س.، ص 203.

ويكمل قائلاً ومؤكداً موقفه:

«فالواجب الديني والاجتماعي والوطني يقضي علينا بمناوأة تعاليمه بكل ما في الوسع، كما نناوئ تعاليم الدجال يسوع الذي هو علة إنشاء جمعيتنا[1]».

يعلن الماسون في بعض أدبياتهم معاداة عامة، ولكن في أغلب ما كتبوه أو صرحوا به يحملون على الإسلام والمسيحية، ويعملون بموجب تعليمات اليهود، وما حرفوه من الكلام عن موضعه، وهم يتأرجحون بين اليهودية والإلحاد. ففي حين نرى أحدهم ـ مثلاً ـ يعلن حرباً على الإيمان الديني بقوله:

«نتساءل باستغراب: ما هي حاجة الماسوني إلى الايمان وممارسة الدين؟ فإذا تمسك بذلك لن يشعر بأية دعوة ماسونية... فالماسوني العملي لا يؤمن بإله وهو يختبر قاعدة مهندس الكون الأعظم[2]».

وفي الزعم التاريخي للماسون أن مؤسس حركتهم هو الملك هيرودوس أكريبا، حفيد هيرودس قاتل أطفال بيت لحم، وينقلون عنه ضمن وصاياه لأتباع جمعيته الخفية الزعم اليهودي الذي أنكر ظهور السيد المسيح فيقول:

«نحن عالمون أن المسيح المنتظر مجيئه لم يحن بعد ميقات ظهوره وليس لظهوره الساعة من أثر[3]».

إن الباحث في الفكر الماسوني يكتشف الأثر اليهودي في كل مقولة من مقولاته، فلقد ذكرنا موضوع مزاعمهم المتوافقة في إنكار ظهور المسيح، وهذا عداء صريح، وإنكار لما جاءت به المسيحية، وجاء به الإسلام. ويظهر التزام الماسون ـ على سبيل المثال ـ في الحديث عن عملية الخلق والأيام الستة التي أعقبتها راحة في اليوم السابع.

يقول شاهين مكاريوس في كتابه «الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية»: «ولما انتهى عمله، عز وجل، من تكوين العالم في ستة أيام، استوى على العرش في اليوم السابع فكان ذلك مثالاً جليلاً لإرشاد البشر إلى حسن المواظبة والنشاط والاجتهاد في

---

(1) المصدر السابق. ص 205.
(2) «الماسونية بين الإنحراف والأصولية»، م. س. ص 71.
(3) المصدر السابق. ص 110.

أيام العمل لأسباب معايشهم ومرافقهم، والى الراحة من عناء الأشغال في اليوم السابع لمشاهدة أعمال الخليقة وعبادة صانعها[1]».

في هذا المفهوم للخلق يتضح الالتزام بما جاء في النصوص التوراتية من قبل الماسون الذين لا يلبسون أن يصرحوا بانتمائهم، دون مواربة، فلقد جاء في كتاب: «أصل الماسونية»:

«نحن لا نعترف، على الإطلاق، بأي دين إلا بالدين اليهودي وحده، هو الذي ورثناه عن أجدادنا والواجب أن نحتفظ به دون سواه إلى أبد الدهور[2]».

إن للماسونية ديناً تلتزمه إذن، هو اليهودية، واليهودية بكل ما ألحقه بها متبعوها من مزاعم وتحريفات، وما ادعاه الموقف الحيادي من الدين، ما هو إلا ستار يخفون وراءه حقيقتهم. وقد يقول قائل: إن القول بيهودية الماسونية تهمة لا يقرها إن لم يكن كل الماسون فعلى الأقل بعض محافلهم، ومثل هذا الجاهل بحقيقة الماسونية نحيله ـ إضافة إلى كل ما أوردناه سابقاً ـ على ما قاله حنا أبي راشد في مؤلفه «دائرة معارف ماسونية»، والذي يصرح بالآتي:

«أما إن الماسونية يهودية، فذلك ما لا شك فيه، من ناحية واحدة لا تتعداها. ونحن الماسونيون العريقون، أعلم بذلك من الخوارج المتطفلين، الذين يصورون الحبة قبة، وغايتهم السياسية أو الدينية، تبرر الواسطة، بل إننا لنسمح بأن ندل هؤلاء على الحجة الدامغة في هذا الشأن، وهي حجة التوراة في عدة صفحات، ورد فيها ما لا يمكن المكابرة معه، عند المقابلة بين نصها، والنص المماثل في التعاليم الماسونية[3]».

وهنا يعترف هذا الماسوني بيهودية حركته لجهة واحدة، ولكن مهما حاول التخفيف فهذه الجهة الواحدة هي أهم ما في تبعية الماسونية لليهود، لأنها مسألة التطابق بين أفكار الماسونية ونصوص التوراة، التي حرفها اليهود بما يخدم عنصريتهم وإيمانهم بالماديات، مما لا مجال للتوسع فيه في هذا العمل والذي يحتاج إلى بحث خاص.

---

(1) شاهين مكاريوس، «الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية»، م. س.، 72.
(2) «تبديد الظلام أو أصل الماسونية»، م. س. ص 111.
(3) حنا أبي راشد، م. س. ص 24.

ويعود أبي راشد إلى محاولته التبريرية، على ضعفها، عندما يواجهه المتسائلون: وكيف تفسر اعتماد الماسونية للطقوس والشعائر اليهودية في كل نظامها وسلوك المنتسبين إليها؟ وتراه يرد رداً يخدم خصوم الماسونية، رغم أنه ماسوني، كما صرح من ذي قبل، واتهم غيره من الماسون بالخوارج، فانقلب فعلاً هذه المرة السحر على الساحر. فقد قال:

«كذلك القول في الماسونية، فإنها إذا بنيت على بعض التقاليد الإسرائيلية، التي كانت شائعة في عهد انبثاقها، أو بعد ذلك، فليس يضيرها ذلك في شيء، لأن القيمة بالجوهر[1]».

إلا أن تبريرات الماسون التي ساقوها لتضليل البعض تسقطها النصوص التي وردت في «بروتوكولات حكماء صهيون»، والتي تؤكد على تأسيس اليهود للمحافل الماسونية من أجل تحقيق ما يرمون إليه. وإذا كنت ممن لا يوافقون على الغلو في الأمر، كما سبق وأشرت، لأن من المحافل ما تأسس لأهداف استعمارية أوروبية، هذا عدا عن الانقسام الحاد والتشتت الذي عرفته وتعرفه هذه الحركة، مما يحمل على القول بأن هناك جمعيات خفية متنوعة النظم والأفكار تطلق على نفسها اسم: الماسونية، إلا أنه من الممكن القول: إن عدداً من المحافل على الأقل يقف خلفها اليهود مباشرة اليوم لتكون أداة طيعة في أيديهم، وعوناً على تحقيق ما يصبون إليه.

يقول اليهود في البروتوكول الرابع: «والماسونية الخارجية تقوم مقام حجاب لإخفاء أهدافنا والتمويه عليها، ولكن مخطط عمل هذه السلطة ومركزها الرئيسي يظلان دائماً غير معلومين من الشعب[2]».

ولأن اليهود يرون في الإيمان الديني مانعاً من نشر تعاليمهم، والخضوع لأهوائهم فإنهم يصرحون بمحاربتهم للدين من خلال الماسونية فيقولون في البروتوكول الرابع أيضاً: «علينا أن نقضي على كل الأديان، وأن ننزع من عقول الكوييم[3] الاعتقاد بالله وبالروح، وأن نحل محلهما صيغاً حسابية وحاجات مادية. وحتى لا يكون لدى الكوييم

---

(1) المصدر السابق. ص 25.

(2) «بروتوكولات حكماء صهيون»، ترجمة وتقديم د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط 1، سنة 1408 هـ ـ 1988م، ص 49.

(3) الكوييم: يقصدون بهم غير اليهود من البشر، ويقولون إنهم حيوانات بصورة بشر.

الوقت للتفكير أو للتأمل يجب أن نلهيهم بتوجيههم نحو الصناعة والتجارة، وهكذا فإن كل الأمم تنصرف إلى مصالحها الخاصة، ومتى كانوا في هذا الخضم فإنهم لن يفطنوا قط لعدوهم المشترك[1]».

إن اليهود يريدون الماسونية إذن مطية لأهدافهم، وسبيلاً لإلهاء الناس عن حقيقة أمرهم، ولا يتم لهم ذلك إلا إذا حاربوا الإيمان الديني، ووجهوا الناس إلى الغرق في الماديات، فالمادة والهوى حجاب على البصيرة يمنع من رؤية الحقيقة.

لكل هذا وجد اليهود في المنظمات السرية عامة، والماسونية خاصة، ضالتهم فشجعوها وصرفوا لها الجهود ينظمون محافلها، ويخصصون بعض جماعاتهم لإدارتها والانخراط فيها.

جاء في البروتوكول الخامس عشر: «وإلى أن يأتي الوقت الذي نصبح فيه سادة فسوف نظل ننشئ المحافل الماسونية ونضاعفها في كل العالم، وسنجلب إلى هذه المحافل أولئك الذين هم زعماء الشعوب، أو يمكن أن يكونوا كذلك، لأن هذه المحافل ستكون المصادر الرئيسية لاستخباراتنا ومنها يأتي نفوذنا، وستتمركز كل هذه المحافل تحت إدارة واحدة لا يعرفها أحد غيرنا، وسيكون لها ممثلها في مجالس الإدارة، وسيكون هذا الممثل موظف ارتباط مع الحكومة الماسونية الظاهرة، وسيُعطى كلمة السر ويشارك في المباحثات وستكون إدارة هذه المحافل بأيدينا[2]».

ومما يربط نشأة الماسونية، غير ما ذكره الماسون أو اليهود في بروتوكولاتهم، تلك الطقوس والشعائر المعتمدة في المحافل الماسونية التي تحمل شعار العداء لله تعالى ولشرائعه المنزلة على الأنبياء والرسل، حيث تطرح الماسونية مشروعها الفكري الذي تحاول تمييزه، والتأكيد أنه يضمن المساواة الإنسانية العامة، وأنه دين لا هو من المسيحية ولا هو من الإسلام.

وحقيقة الأمر أن الماسونية تذكرنا بإحدى الفرق اليهودية السرية التي تأسست وانتشرت بعد ظهور المسيح، وهذه الجماعة السرية اليهودية، كانت تدعى الكابالا (Kabbale)؛ وكابالا كلمة عبرية تعني: ما يُتلقى؛ أي التقاليد الموروثة. وهذه النُحلة

(1) «بروتوكولات حكماء صهيون»، م. س. ص 50.
(2) «بروتوكولات حكماء صهيون»، م. س.، ص 89، 90.

التي انتشرت في القرون الوسطى قامت أفكارها على مزيج من تعاليم اليهودية مع الفلسفة وبشكل خاص الأقوال السفسطية، التي أشاعها عند اليونان منكرو الحقائق، المجادلون جدلاً عقيماً، واختلطت معها كذلك ألوان من الشعوذة وأضاليل السحر، ولقد كان للكابالا فعلها في التيارات الفكرية الدينية في أوروبا خاصة في القرن الحادي عشر الميلادي.

وأفكار الكاباليين التي صُنفت فيما بعد في وثيقتين عبريتين هما: السفر جزيرا، والسفر هازوهاز، كان لها الأثر في تأسيس بعض الحركات اليهودية، ومن أبرزها: حركة «الزاركيم» و«حركة شابتاي تسيفي».

وما يجب أن نعلمه هو أن هذه الجمعية كانت تشجع كل ما ينافي القيم الأخلاقية، ويقود إلى إنكار الروح وعبادة المادة والتعلق بها، وهذا يجعلها عاملاً أساسياً في نشأة الماسونية التي تقلدها في سريتها ومعاداتها للإيمان وعبادة المادة، وفي الشعائر والأزياء والرتب[1].

إن الماسونية، التي ناصبت الإيمان الديني العداء بفعل المخطط اليهودي الذي يقف وراءها، لم تخرج عن منهج الحركات السرية في التاريخ التي كانت تنبذ الشرائع السماوية، وتتمرد على القيم والفضائل، وتستسلم للفواحش والأهواء.

«ليس بعد الكفر ذنب» هذا ما يصح أن نواجه به الماسون الذين أنكروا الخالق سبحانه ولكن بأسلوب مقنع ينطلي على البسطاء، أو يشكل قناعاً للمضللين الجاحدين، وذلك بين في استخدام عبارة «مهندس الكون الأعظم» التي يظن بعض الناس أنها تسمية أطلقوها على الخالق سبحانه، ولكنها تحمل في طياتها الإنكار له سبحانه وتعالى عن كفرهم، وسأترك الميدان لتعليق الأب لويس شيخو على هذا المصطلح، والذي يقول:

«أول ما رأينا في هذا الشعار غرابة الاسم، فاختار الماسون من أسمائه تعالى ما لا تجد له ذكراً بين الأسماء الحسنى العديدة التي وردت في الكتب المنزلة، وكلها تشعر بعظمته، جل ذكره، وبسمو عزته وجبروته، إلى اسم مبهم فجعلوه بمنزلة «مهندس الكون» كأنه تعالى لم يخلق كل الكائنات من العدم، وإنما هندسها فقط ونظمها،

---

(1) ـ يراجع: ـ الأب لويس شيخو ، م. س.، ص 11 ـ آتلخان، الجنرال جواد رفعت، م. س.، ص 10 (المقدمة للمترجمين). ـ De Poncins, Leon, IBID, P. 265, 266-275.

وزادوا على ذلك ما زاد الاسم إبهاماً بقولهم «المهندس الأعظم» كأن الله استعان لهندسته هذه غيره من المهندسين فكان هو الأعظم بينهم[1]».

بعد هذا الإنكار الصريح لوحدانية الله، لا بل الوصول إلى درجة الكفر في المعتقد الماسوني بما سموه: «مهندس الكون الأعظم»، نراهم كلما ظهرت حقيقتهم جلية، وبرزت روابطهم مع اليهودية بفكرهم، أو شعائرهم، أو إقرارهم، يعودون إلى اعتماد التعمية والتبرير، ويسعون إلى إخفاء الحقيقة، على الأقل، عمن يسيرون خلفهم كالخراف المستسلمة لقيادة الراعي، وفي هذا المنحى نرى واحداً منهم هو حنا أبي راشد يحاول أن يجعل الماسونية لغزاً محيراً فيقول:

«فلنا أن نقول: إنها يهودية، لأنها كذلك في بعض طقوسها ومراسمها... ولنا أن نقول: إنها مسيحية، لأنها تحث على السلم والوداعة والمحبة، وكل ما أتى به الدين المسيحي من آيات التساهل واللين... ولنا أن نقول أيضاً: إنها محمدية لأنها، في مجموع وصاياها وفلسفتها، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتشترط في الداخلين في سلكها، كل فضيلة ومكرمة...

... وليكن منشأ الماسونية ما كان، وليبدأ حيثما يجب أن يبدأ، فما في ذلك كبير خطر، أليس في الإمكان أن نكون نافعين صالحين، بدون من سبقنا وتقدمنا؟ وقد توحدنا جميعاً باسم الدين والإنسانية[2]».

والالتقاء باسم اليهودية هو ما قصده أبي راشد الذي عبّر عن ذلك في إطار حديثه عن نشأة الماسونية فقال: «فإذا بدأت الماسونية في عهد إبراهيم، أو نشأت في هيكل سليمان، وأخذت بعض أحكام العهد القديم «التوراة»، فالعهد الجديد لم ينقص منه حرفاً، بل أكملِ معانيه، وسمى العهدين، بالكتاب المقدس[3]».

وإذا كانت الماسونية كما سبق وقال: يهودية ومسيحية وإسلامية، فلماذا أغفل في النص الأخير الإسلام؟ والحقيقة أنها يهودية وكفى.

ويستشف الواحد منا ذلك بدليل جديد أورده أبي راشد في دائرة معارفه حيث

---

(1) الأب لويس شيخو، م. س. ص 27.
(2) حنا أبي راشد، م. س. ص 26.
(3) المصدر السابق، ص 28.

تعرض بالذم لهتلر على ما فعله بالأحرار. وإذا كنا لسنا هنا في معرض تقويم السياسة النازية وفكرها وممارسات هتلر، إلا أنه يكفي أن نشير بأن هكذا إشارة يتضح منها تماماً تبني الكاتب لمقولات اليهود بما لحقهم من مظالم على يدي هتلر.

يقول في إطار موافقة المنطق الصهيوني عن هتلر: «أما تمرد هتلر على الدستور الماسوني، فهو الذي جعله ينحرف عن مبادئ الديموقراطية ويكافحها، بوصفه أصبح ديكتاتوراً، لا يؤمن بالحرية بل بالقوة، وهكذا فعل أمثاله، لأن الحرية علمتهم، كيف يثأرون لها! ولكنهم علقوا بها، فثأروا منها، وطعنوا أحرارها[1]».

إن هذا الكلام الذي ساقه ماسوني ضد هتلر كان يمكن أن نصنفه في إطار حملة على الفلسفة السياسية النازية القائمة على القوة والعنصرية، لولا أن اليهود كانوا من بين من طالتهم يد هتلر فربطوا مأساتهم بما فعله بهم، وما زالوا يطلبون التعويضات من ألمانيا تكفيراً عن خطيئة هتلر، لذا لا يمكن أن نصنف هذا الكلام إلا في باب روابط الماسونية باليهود الذين يسعون من خلال محافلها، كما يزعمون، للسيادة على العالم، وتحقيق مملكتهم المزعومة، ومع ازدرائنا لتخرصاتهم، حيث لم يستطيعوا القبض على الضفة الغربية وغزة في فلسطين المحتلة، فكيف نصدق مزاعمهم في السيادة على العالم؟

ولكن نذكر مقولاتهم ليعلم من لم يعلم بعد خطر الجمعيات السرية التي تظهر بألف اسم ولون، وأبرزها الماسونية، فيعمل على مواجهتها.

نشر يوسف الحاج، نقلاً عن محاضر سرية لجلسات ماسونية في كتابه: «في سبيل الحق»، كلاماً موجوداً في الحقيقة في كتابات معلنة للماسونية ولليهود، ولكن من المفيد ذكره للإطلاع على حقيقة النوايا اليهودية الكامنة وراء تأسيسهم للماسونية.

ومما نقله يوسف الحاج من هذه المحاضر قولهم: «لماذا كونّا ولقنّا سياستنا هذه تجاه الخوارج بدون أن نفسح لهم مجالاً لإدراك أسرارها؟ أليس لنتوصل بالوسائل والحيل إلى غايتنا التي لا يمكن لأمتنا الوصول إليها مباشرة بدون استخدام الوسائط؟ وهذا ما حدا بنا إلى إيجاد ماسونيتنا الخاصة التي يجهل أسرارها وغايتها هؤلاء الحيوانات ـ الخوارج ـ [2]».

---

(1) المصدر السابق، ص 28.
(2) يوسف الحاج م. س. ص 102.

وأما الهدف المختار فهو انتشار اليهودية التي حرفوها وادعوا فيها أنهم شعب الله المختار، وهذا مبين من المحاضر نفسها التي فيها:

«ومتى أصبحنا أسياد الناس، لا ندع في الوجود سوى ديانتنا التي تنادي بالإله الواحد، الذي يتعلق به مصيرنا لأننا شعبه المختار، ولأن مصيرنا يقرر مصير العالم ولذلك وجب علينا أن نلاشي سائر الأديان[1]».

وفي كتابه المذكور يقول يوسف الحاج بأن الماسونية على ثلاثة أنواع، أو مستويات، تتجمع في الفرقة الأولى سائر الأنواع، وفي الثانية يمسك اليهود بالأمر، وفي الثالثة لا يوجد إلا اليهود. وسأذكر كلامه حرفياً عله يعطي للقارئ فكرة عن فرق الماسونية، كما وصفها هذا الكاتب الذي قال إنه كان منهم ثم لما كشف حقيقة أمرهم قام بفضحهم.

- الفرقة الأولى:

«الماسونية العامة: الرمزية العامة ذات الـ 33 درجة، رمزية بحتة.. تحترم ما لكل واحد من أعضائها من المعتقد الديني والمنزع السياسي، وتحرِّم في مجتمعاتها، تحريماً قطعياً، كل مناقشة دينية أو سياسية يكون موضوعها المناظرة في الأديان أو القدح في أعمال السلطة المدنية والحكومة العادلة، وهذه الفرقة تكثر من الرموز في جميع درجاتها وتعاليمها توصلاً إلى المعرفة التي ترغب تفهيم أبنائها معانيها، ويتلقن أعضاؤها هذه الدرجات تدريجاً وبعد امتحانات مختلفة[2]».

- الفرقة الثانية:

«الماسونية الملوكية المعروفة في الماسونية الرمزية العامة (بالعقد الملوكي) مرتبطة فيها ومنفصلة عنها بطريقة لا يعلمها إلا الراسخين في تاريخ الماسونيات الثلاث.

إن مبدأ هذه الفرقة وتعاليمها ودرجاتها وغايتها ترمي كلها إلى تقديس ما ورد في التوراة، واحترام الدين اليهودي، والعمل على تجديد المملكة اليهودية في فلسطين باسم الوطن القومي اليهودي أو بأي اسم آخر، وإعادة هيكل سليمان وتقدمة القرابين فيه. وبالاختصار إرجاع العهد القديم بجميع ما كان عليه.

---

(1) المصدر السابق، ص 103.

(2) المصدر السابق. ص 33.

وهي تدعي أنها تتمة الماسونية الرمزية وغايتها، وأن ما يستعمله أعضاء الرمزية من الرموز مشيرين فيه إلى تعاليم اجتماعية عامة يفسره أبناء هذه الفرقة بالمعنى المطابق لتاريخهم مكاناً وزمناً وحادثاً. وأما الماسون الرمزيون فلا يعلمون من ذلك شيئاً، وعدد الداخلين منهم في هذه الفرقة قليل جداً خصوصاً في الشرق[1]».

ـ الفرقة الثالثة:

«الماسونية الكونية: إن هذه الفرقة غير معروفة إلا من نفر قليل جداً، من اليهود أنفسهم، أي أبناء الماسونية الملوكية، وهذا النفر هو من فئة المنفصلين من اليهود. . . وغاية أعضاء هذه الفرقة استخدام الماسونيتين السالفتي الذكر لإنشاء الفوضى في العالم دائماً، على قاعدة (فرِّق تسد)، ليستطيعوا الرجوع بواسطة اليهود والماسونية إلى روما، التي كانت مملكة أجدادهم، ونشر الإباحية المطلقة كما كان يفعل أولئك الأجداد أمثال نيرون وغيره.

. . . وليس لهذه الفرقة غير محفل واحد في أميركا (نيويورك) لا يدخله غير العدد القليل من هذه الفئة المنفصلة. . وهو الذي يدير كل حركة ثورية وفوضى سياسية بسائر الوسائل والطرق وبواسطة الثروات اليهودية وغيرها تحت أسماء مختلفة وجمعيات وشرائع وقوانين لأشخاص عديدين، ودول عديدة. . . وغاية هذه الفرقة مجهولة كل الجهل من الماسونية الرمزية العامة[2]».

وإذا علمنا أن كتاب يوسف الحاج الذي نقلنا منه هذا التصنيف للمستويات الماسونية، وتحديد الأهداف المعلنة لكل مستوى، أنه منشور سنة 1934، أي قبل 14 عاماً من قيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة، ندرك عندها كيف أن أشخاصاً كثيرين من أبناء بلدنا، من الذين انخرطوا في صفوف الماسونية، قد ساهموا بقيام هذا الكيان المعادي على أرضنا وفي قلب أمتنا.

ويقول يوسف الحاج بعد أن اكتشف خطر الماسونية وانسحب من صفوفها: «يشهد الله أننا ما قصرنا في شيء من العطف على أبناء إسرائيل طيلة السنين التي خالطناهم فيها في محافل الحرية والمساواة والإخاء.

---

(1) المصدر السابق. ص 34، 35.

(2) المصدر السابق. ص 35، 36.

وكم من مرة مشينا وإياهم في نشر المبادئ الإنسانية العامة، غافلين عما كانوا يعملونه في الخفاء وبمعزل عنا، للم شعثهم وجمع أشتاتهم من أقاصي الأرض للحصول على السيادة العالمية باسم الدين والقومية، اللذين كانوا يظهرون لنا تذمرهم من التمسك بهما، وإضرارهما بالمجتمع الإنساني.

وكم من مرة محونا من مؤلفاتنا التاريخية اسم كل يهودي له صلة بإحدى وقائع التاريخ الذي يشتم منه رائحة التعصب والتعدي زعماً منا أنه تحامل عليه[1]».

إن هذه التصريحات التي أدلى بها يوسف الحاج تعطي للإنسان فكرة واضحة عن مقدار الخدمات التي تسديها الماسونية للصهيونية على طريق تنفيذ مشروعهم في الوطن القومي الصهيوني، وهذا ما يدفعنا إلى القول: إن معظم الماسون هم خدم لمصالح العدو الإسرائيلي من حيث يدرون أو لا يدرون.

ومن باب تعطيل طاقات الشعوب سعى اليهود، من خلال الماسونية، ومن خلال كل مواقع نفوذهم، لإفساد أخلاق الناس، وتحويلهم إلى الإدمان والفجور مع تبرير ذلك بأنه نوع من التقليد ويجب قبوله وعدم استهجانه.

يكفي أن نعلم أن الاجتماع التأسيسي للمحفل الماسوني الأول في بريطانيا عام 1717 كان في الخمارات، والماسون يعدون ذلك أمراً طبيعياً، ولا يقبلون مقولة اعتبار ذلك عيباً، وحول هذا الأمر يقول الماسوني حنا أبي راشد:

«وهل من عجب في اختيار الخمارة، لاجتماع البنائين الأحرار في لندن؟ ألم تختر النازية الألمانية، خمارة لاجتماعها الأول؟ ويظهر أن هذا الاختيار، لم يزل إلى يومنا هذا، هو المكان المفضل، لكل اجتماع سياسي، أو مؤتمر صحفي[2]».

وشرب الأنخاب بالشكل الذي يتحدث عنه أحمد زكي أبو شادي الماسوني ليست أنخاباً بقدر ما هي حفلة سكر حتى ضياع العقل.

وفي الحديث عن تقاليد المحافل الماسونية يقول: «المعتاد أن يشرب النخب أثناء المأدبة سبع مرات وتسمى «بالكؤوس المحتمة» وهي:

---

(1) المصدر السابق. ص 73.

(2) المصدر السابق. ص 117.

1 ـ كأس صاحب الجلالة الملك والبرلمان.

2 ـ كأس الرئيس الأعظم والسلطة الماسونية المصرية.

3 ـ كأس محترم المحفل، ويدعو إلى شرب هذا النخب المنبه الأول.

4 ـ كأس المنبهين.

5 ـ كأس الأخوان الزائرين.

6 ـ كأس موظفي المحفل وأخوانه.

7 ـ كأس الماسونية العالمية.

ويقول أندرسون أن «الدكتور ديزاجيليه هو أول من جدد هذه العادة الأخوية القديمة، أي شرب النخب الماسوني، في سنة 1719 عند انتخابه أستاذاً أعظم[1]».

ولا بأس أن نختم هذا الفصل بالموقف الماسوني من الدين الذي يُظهر عداء الماسونية للدين والإيمان بشكل يسقط الأقنعة، التي يحاولون إشاعتها في المراحل الأولى من العضوية، حيث يستترون وراء عبارة أن الماسونية تحترم معتقد المنتسب إليها، ولا تتدخل في النقاشات الدينية. هذا مجرد كلام يخالفه الماسون أنفسهم كما ذكرنا سابقاً، وسنعرض لأقوال جديدة لهم ومواقف من باب زيادة الإيضاح ليس أكثر.

في إعلان محفل فرنسا الأكبر، بعد اجتماعاته في تشرين الأول /أكتوبر من عام 1922، جاء ما يلي:

«لنشتغل بأيدٍ خفية نشيطة ولننسج الأكفان التي سوف تدفن جميع الأديان، فيتسنى لنا أن نبيد الإكليريكية من العالم وما ينشأ عنها من الخرافات[2]».

بعد هذا الاستعراض المستفيض لمواقف الماسون من الدين نكتشف أنه لا موقف ماسونياً واحداً عندهم في موضوع الدين، فمنهم من يقول بأن الماسونية تحترم معتقد المنتسبين إليها ولا تتدخل في الأمور الدينية، ومنهم من يقول، إن الماسونية يجب أن

---

(1) أحمد زكي أبو شادي، «البناية الحرة»، مصر، المطبعة السلفية، ط1، سنة 1345 هـ ـ 1926م، ص 63.

(2) مجلة «المسرة»، لبنان، عدد تشرين الأول /أكتوبر، سنة 1926، ص 470.

تعمل على محاربة الأديان والقضاء عليها، ومنهم من يقول، إن الماسونية هي اليهودية ويجب محاربة الإسلام والمسيحية والاعتراف باليهودية والتوراة فقط، ومنهم من يقول، إن الماسونية تسعى لدين عالمي فيه من كل الأديان، ومن الماسون من يجاهر بأنهم يعملون لإفساد أخلاق الشعوب وتحويلها إلى عبادة المادة والأهواء والشهوات. . . إلخ.

وبعد كل هذه المواقف وبعد الإطلاع على بروتوكولات حكماء صهيون، وعلى الفكر الصهيوني عامة، ومخططاته وأطماعه ومزاعمه، يستنتج المرء بما لا يقبل الشك أن الحركة الماسونية هي وقف على الصهيونية، والاستعمار، وأنها مطية يستخدمونها في سبيل تحقيق ما يريدون الوصول إليه.

الماسونية
والسياسة الصهيونية

ولد سليمان حوالي 1033 ق.م.، وكانت وفاته 975 ق.م.، وفي العام الرابع لملكه، حوالي 1012 ق.م.، بدأ ببناء هيكله في القدس، وانتهى منه سنة 1005 ق.م. واليهود في مختلف منظماتهم يُلبسون أهدافهم السياسية رداءً دينياً لتتحول عند شعوبهم، أو الملحقين بهم، إلى عقيدة. وفي موجبات زعمهم في العودة إلى ما ادعى أنه أرض الميعاد في فلسطين يركزون على إعادة بناء هيكل سليمان كأحد أهم أهدافهم. والماسونية تحاول تبرير نشأتها وأنها تضم في صفوفها البنائين بهدف إعادة بناء هيكل سليمان، وبذلك تنجلي حقيقة الماسونية التي تلبس الأقنعة لتخفي ارتباطها بالصهيونية، وتدعي أنها لا تتدخل في السياسة، وهل العمل من أجل أهداف اليهود في بناء وطن قومي يهودي في فلسطين، وإعادة بناء هيكل سليمان ليس عملاً سياسياً؟

والهيكل وبناؤه في القدس لا وثائق تؤكده، وليس ما حوله سوى مزاعم، كما ثبت بعد التتبع والبحث. ويبدو أن ما ذكر حول ذلك منقول عن نصوص العهد القديم التي صاغها يهود إرضاءً لما في نفوسهم.

ولكن المعاصرين منهم بدأوا يقرون بأن وجود الهيكل في القدس ليس أكثر من زعم.

فقد ورد في الموسوعة اليهودية التي صدرت عام 1972م تحت باب القدس ما يلي:

«إن اليهود لم يكونوا يقدسون الحائط الغربي (للمسجد الأقصى) ولا يصلون أمامه إلا بعد سنة 1520م، بعد أن أُخرجوا من إسبانيا وجاء بعضهم إلى القدس ليعمل، فسمح لهم الخليفة أن يصلوا أمام الحائط وكانوا يبكون فسموه بعد ذلك بحائط المبكى، وقبل هذا التاريخ كان اليهود يصلون على جبل الزيتون».

أما بشأن الهيكل فإن مجموعة من علماء الآثار الإنكليز بدأت بالبحث والتنقيب في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي واستمرت في عملها حتى العام 1954م، حيث أوقفتها وزارة الأوقاف وشؤون المقدسات الأردنية، وطوال هذه المدة لم تتوصل إلى أثر يدل على وجود هيكل سليمان في القدس ومحيطها.

وبعد اغتصاب القدس في حزيران/يونيو 1967م، كلفت السلطات الإسرائيلية مجموعة من علماء الآثار اليهود كي تبحث عن آثار للهيكل المزعوم في القدس وميحطها، وبعد طول بحث وتنقيب خرجوا بتقرير نشروه في العام 1999م، يعلنون فيه أنه لا صدقية لوجود هيكل في القدس، وقد وقَّع التقرير مجموعة وهم: جدعون أفني، روني رايخ، يائير زاكوبتش، زئيف هيرتسوغ، وتوفيا ساجيف.

ويصرح اليهود في بروتوكولاتهم بأن الماسونية، وسواها من الجمعيات السرية التي أسسوها، لتخدم أهدافهم، ستنتهي مهمتها بعد إقامة مملكتهم المزعومة.

ومن النص الذي سنورده من البروتوكول الخامس عشر نتعرف على أنهم يسعون لإقامة مملكتهم في أوروبا علماً أنهم، في أدبياتهم الأخرى، يزعمون بأن لهم حقاً تاريخياً في فلسطين، وبهذا نعلم أن اليهود وجمعياتهم وأهدافهم المرسومة لا تعرف الثبات، ولا هي من المخططات التي يستحيل القضاء عليها، فهي غالباً ما تكون هشة مطاطة لا ضوابط لها.

يقول اليهود في هذا البروتوكول: «حينما نغدو سادة بشكل نهائي، . . . فإننا سنسهر على ألا تحاك ضدنا أية مؤامرة، وسوف نقتل، بلا شفقة، كل من يحمل السلاح ليقف في وجه سلطتنا. إن تأسيس أية جمعية سرية سيكون عقابه الموت، والجمعيات السرية القائمة الآن، والتي نعرفها، سواء أعملت معنا أم ضدنا، فسوف تحل وسيُنفى أعضاؤها إلى قارات بعيدة عن أوروبا، وسيكون عقاب الماسون الكوييم مثل ذلك، والماسونيون الذين نعفو عنهم، لسبب ما، يبقون تحت التهديد الدائم بالنفي، وسوف نسن قانوناً يقضي بنفي كل أعضاء الجمعيات السرية في أوروبا التي ستكون مركز حكومتنا. . . وإلى أن يأتي الوقت الذي نصبح فيه سادة فسوف نظل ننشئ المحافل الماسونية ونضاعفها في كل العالم[1]».

---

(1) «بروتوكولات حكماء صهيون»، م. س.، ص 88، 89.

أوروبا هي الهدف، والكنيسة هي المؤسسة التي يود اليهود القضاء عليها، والماسونية من الأدوات المساعدة في تحقيق هذه الأهداف وذروتها سيادة اليهود، وكما يوضحون، في أوروبا خاصة.

والنص السالف من البروتوكولات يعطي دليلاً واضحاً على سياسة الحركة الماسونية رغم مزاعم بعض أتباعها بأنهم لا يتدخلون في الشأن السياسي.

ثم إذا عدنا إلى الانطلاقة في بريطانيا، سنة 1717، ألم تكن هذه الانطلاقة باحتضان كامل من قبل الملوك والأمراء الإنكليز؟

إن انتشار البروتستانتية تحت تأثير الأدبيات العبرية، وحيث أنها تتشدد بالتزام العهد القديم وفيه المزاعم اليهودية بحق موعود لليهود بأرض كنعان من الفرات إلى النيل، وسواها من تيارات دينية، في الجزر البريطانية، في القرن الثامن عشر، هو ما جعل بريطانيا المهد الأول للماسونية الرمزية الحديثة، كما يسميها أتباعها. ومن المعلوم أنها قد احتوت:

«قائمة الرؤوساء السابقين للماسونية في إنكلترا، حتى منتصف القرن العشرين، أسماء خمسة أمراء أصبحوا فيما بعد ملوكاً، وهم: جورج الرابع، ووليم الرابع، وإدوارد السابع، وإدوارد الثامن، وجورج السادس (والد الملكة الحالية)، كما أن دوق أدنبره، زوج الملكة الحالية، ينتمي إليها[1]».

من غير المقبول أن يقال: لا دخل للماسونية في السياسة. فالماسونية هي حركة سياسية أنشئت لخدمة اليهود ليس إلا. ويذهب هذا المذهب لوسيان كافرو ديمارس الذي يربط التمهيد لنشأة العمل اليهودي من خلال الماسونية وسواها بقرار أصدره كاثوليكيان هما: فردينان وإيزابيل، في 30 آذار/مارس عام 1492م، بطرد ثلاثمائة ألف يهودي من إسبانيا على أثر الحروب الصليبية ضد المسلمين والعرب فيها، ويقول عن ذلك:

«بعد ستين سنة على طرد اليهود من إسبانيا، حطم اللوثريون الألمان الوحدة الكاثوليكية بالتضامن مع جماعة كالفان الفرنسيين والأنكليكان الإنكليز، وبدأت الحروب الدينية. . . ففي باريس، أدت إلى الثورة الماسونية (1789) المنتظرة بفارغ الصبر في كل من هولندا وإنكلترا، لا سيما في الأوساط اليهودية في أوروبا. ثم أدت

---

(1) فتحي نجدة صفوة، م. س.، ص 17.

إلى حروب نابليون وامتداداتها الاستعمارية والحروب العالمية تنفيذاً للعقد السياسي الخاص بالصهيونية العالمية الحالية. . ومن جهة أخرى أصدر الكونغرس البروتستانتي الأميركي قراراً بهدم الهند الصينية[1]».

إن شيئاً من هذه المعلومات يؤكدها اليهود أنفسهم، ويكشفون عن دورهم في الثورة الفرنسية، وفيما أعقبها من معارك تنتقل بالناس من هزيمة وخسارة إلى أخرى، فلقد جاء في البروتوكول الثالث:

«اذكروا الثورة الإفرنسية التي وصفناها بأنها عظيمة، إننا نعلم أسرار إعدادها لأنها كانت من صنعنا، ومنذ ذاك التاريخ لم نزل نقود الجماهير من خيبة أمل إلى خيبة أمل حتى يتنازلوا لنا لصالح ملك مستبد للدم الصهيوني الذي نعده للعالم[2]».

والمعلومة الثانية عن مواجهة الكنيسة بواسطة مذهب كالفن الذي عرف بالمذهب البروتستانتي يؤكد عليها وليام غاي كار الذي يقول في كتابه: «أحجار على رقعة الشطرنج»:

«إن مذهب كالفن كان من صنع اليهود، وقد استعملوه خصيصاً لإيقاع الانقسام بين المسيحيين وشق الشعب. أما الإسم الأصلي لكالفن فهو كوهين. وكان قد غير اسمه من كوهين إلى كاوفين إبان انتقاله من سويسرا إلى فرنسا للتبشير بدعوته. ولما انتقل إلى إنكلترا أصبح اسمه كالفن. . . في العام 1936 وخلال احتفالات بناي بريث[3] اليهودية في باريس أكد المحتفلون بحماس بالغ أن كالفن كان يهودي الأصل[4]».

---

(1) لوسيان كافرو ديمارس، «العار الصهيوني ـ آفاقه وكوارثه»، بيروت، سنة 1972، ص 136، 137.

(2) «بروتوكولات حكماء صهيون»، م. س.، ص 47.

(3) بناي بريث أو أبناء العهد: جمعية يهودية تأسست في نيويورك في 13/ 10/ 1843 على أيدي 12 يهودياً من أصل ألماني أبرزهم المدعو هنري جونز. وهي من الداعين لاغتصاب فلسطين منذ نشأتها، وأسهمت في بناء المستعمرات في فلسطين المحتلة. من أشخاصها البارزين عالم النفس سيجموند فرويد (1856 ـ 1939)؛ وفيليب كلوزنيك الذي كان رئيساً للوفد الأميركي إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة أيام أيزنهاور، وقد كان لهذه الجمعية ولا يزال أنشطة إنمائية داعمة لمؤسسات دولة إسرائيل.

(4) وليام غاي كار، «أحجار على رقعة الشطرنج»، ترجمة سعيد جزائرلي، مراجعة وتحرير م. بدوي، بيروت، دار النفائس، ط 4، سنة 1401 هـ ـ 1981م، ص 64.

وعلى الجبهة الأخرى للتيارات السياسية في أوروبا الشرقية تطالعنا المنشورات الماسونية باعترافها أن الأممية والماركسية هما من صنعها أيضاً، فيقول الماسون في بيان للمشرق الأعظم الفرنسي سنة 1904 ما يلي:

«إن الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية، لأن مؤسسيها كارل ماركس وإنجلز هما من ماسونيي الدرجة الحادية والثلاثين، ومن منتسبي المحفل الإنكليزي، وأنهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية، وبفضلها أصدرا البيان الشيوعي المشهور[1]».

وعن ارتباط نشأة الماركسية بالمخططات الصهيونية جاء في البروتوكول الثاني: «انظروا إلى ما أحرزته الداروينية والماركسية وأفكار نيتشه من نجاح بفضل سعينا، وإنكم، ولا شك، تلمسون جيداً ما أصاب الكوييم[2] من فساد خلقي من نشر هذه المذاهب[3]».

إن يهود روسيا القيصرية قبل الحكم الشيوعي، وبسبب عنصريتهم وانعزالهم ضمن المجتمع وممانعتهم من الاندماج الوطني تعرضوا لحملات قاسية من قبل القياصرة الواحد تلو الآخر، لذلك كانوا الأكثر مساهمة في تقويض النظام القيصري، ولذلك انخرطوا بقوة في الحركة الشيوعية، وكان لهم دور أساسي فيها.

إن الكثير من وسائل الإعلام، والدعاية، بكل ما تحمل من أساليب نشر الفساد والخلاعة وتسويقهما قد سعى اليهود لمسكها أو التأثير فيها، لأن الغرق في الماديات والأهواء يمكن لليهود من اكتشاف نقاط الضعف في الأفراد النافذين كي يصبحوا ألعوبة بيدهم. ومن الأمثلة التاريخية على ذلك ميرابو، الركن الأساسي في الثورة الفرنسية، الذي تم تحويله إلى ألعوبة بيد اليهود عبر أحدهم، وهو مندلسون، الذي أغرق ميرابو بديون باهظة لا يستطيع الوفاء بها، وبذلك وضعه تحت رعايته، وربطه بعلاقة مع حسناء يهودية هي السيدة هيرز، وميرابو جذب إلى صفه فيما بعد الدوق دورليان بالإغراءات نفسها، ودورليان كان أحد أبرز الوجوه الماسونية في فرنسا قبل ثورة العام 1789.

---

(1) الجنرال جواد رفعت آتلخان، م. س. ص 31.

(2) الكوييم: يعني بها اليهود الأغيار كل غير يهود من الشعوب. والكوييم حسب تفسيرهم التلمودي ليسوا بشراً، وقد جعلهم الخالق على هيئة البشر ليصلحوا لخدمة الشعب المختار.

(3) «بروتوكولات حكماء صهيون»، م. س. ص 41.

وتحت دعوات الإنسانية يعمل اليهود، من خلال المحافل الماسونية، أو كما اعترفوا تماماً، بتأسيس النظم المجتمعية على الرذيلة والفساد، ولكنهم يقنعون مخططهم بزعم مفاده أنهم يعملون لمجتمع مثالي يحقق سعادة الإنسانية!! فتراهم يقولون رغم علمهم بأن خططهم قد باتت مكشوفة:

«يجب علينا أن نعيد تحديد الإنسان آخذين بعين الاعتبار كل تعطشاته، وأوضاعه الاجتماعية والبيولوجية ومكنوناته العميقة. تجب أيضاً إعادة تجديد نوع المجتمع المثالي الذي يوفر السعادة للرجال والنساء عام 2000[1]».

والماسونيون لا يسعون لإعادة تشكيل شخصية ممن يستطيعون الوصول إليه وتضليله من أجل مصلحة الإنسانية ـ كما يزعمون ـ وإنما يريدون تشكيل أدوات صالحة لحمل مفاهيمهم والعمل على تحقيق أهدافهم في السيادة والهيمنة، وبناء ملكهم الموعود كما يتوهمون. وعن نظرتهم هذه للمحافل وما يريدونه منها، يقولون في مقررات مؤتمر المشرق الأعظم الفرنسي لعام 1904: «إن المحافل المائة والأربعين للماسونية المنتمية إلى المشرق الأعظم هي معابد النور في فرنسا، فإن آلاف المواطنين يترددون على هذه المحافل ليتذاكروا في المسائل التي تهمهم في الحياة، ويدافعون عن الأفكار التي تهيؤها محافلهم في الصحف والمجلات والاجتماعات السياسية، وهكذا يتهيأ الرأي العام، وتوجه الانتخابات وبالنتيجة يصبح البرلمان خاضعاً لمشيئتنا وهذه لعبة الماسونية[2]».

يضاف إلى لائحة المشروعات السياسية، التي وقف وراءها اليهود والماسون، حركة مصطفى كمال أتاتورك، الذي حاول تتريك العرب، وحول الكتابة، في اللغة التركية، من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ناهيك من تطبيق العلمنة (اللادينية)، وإشاعة الاستبداد، والترويج لحركة تغريب مسلكية وثقافية في المجتمع التركي للقضاء على أي أثر إسلامي في بلده.

عن هذا الموضوع يقول حنا أبي راشد، في قائمته عن إنجازات الماسونية: «الانقلاب التركي، عام 1918، الذي قام به الأخ العظيم، مصطفى كمال أتاتورك هو أهم ما قام به بطل تركيا الخالد: 1 ـ أبطل نظام السلطنة. 2 ـ أبطل نظام الخلافة. 3

---

(1) لوسيان كافرو ديمارس، م. س. ص 153.

(2) الجنرال جواد رفعت آتلخان، م. س. ص 37.

ـ أبطل المحاكم الشرعية والأجنبية. 4 ـ أبطل الامتيازات الأجنبية. 5 ـ أبطل التكايا الوراثية. 6 ـ أبطل الألقاب والنياشين. 7 ـ ألغى دين الدولة الإسلام. 8 ـ ألغى وزارة الأوقاف. 9 ـ خلق تركيا الجديدة[1]».

إن هذه الإجراءات التي قام بها أتاتورك، وأبرزها إلغاء دين الدولة الإسلام وكل ما يترتب عليه، وهذا الأمر الأبرز الذي كان يعمل له اليهود اعتماداً على المحافل الماسونية، لم تكن وليدة ساعة تنفيذها وإنما سبقتها أمور ممهدة بتوجيه من المحافل الماسونية التي كان عمادها «يهود الدونما[2]»، وهم اليهود الذين وفدوا إلى تركيا من الأندلس (إسبانيا)، وكان معظمهم قد ادعى الإسلام شكلاً ليستر وراء ادعائه حقيقة نواياه ومخططاته، وأبرز المحافل الماسونية التركية ذو الدور الهدام كان محفل سالونيك. والهجمة التاريخية الدموية التي وجهت ضد الأرمن المسيحيين في البلاد الخاضعة للحكم التركي يجب أن نعلم بأنها كانت بتدبير ماسوني وتواطؤ استعماري أوروبي ـ أميركي، والفرنسي ديمارس يحمِّل الغرب مع الماسون مسؤولية إبادة الأرمن صراحة فيقول:

«إن الإبادة الرهيبة لمليون ونصف المليون من نصارى الأناضول وكليكية من الأرمن المجتهدين، الفخورين، الفنانين، بنائي الأماكن المسيحية والسلجوقية في آسيا الصغرى، ظلت مثال الإبادة في العصور الحديثة التي لا تُغتفر، وعاراً يطعن إلى الأبد شرف النخبة الغربية المثقفة الواقعة تحت سيطرة اليهود. ووفقاً لتقرير لبسيوس (1916 ـ 1919)، الذي لا يمكن دحضه، تم تحضير وتهيئة هذا التدمير الرهيب بصورة منظمة من سنة (1915 ـ 1918) على يد محفل سالونيكا، وذلك بحضور بعض السفراء في اسطنبول، أمثال الألماني ونغتهيم، والأميركي مورغنتو، وكلاهما يهوديان من الأساتذة الماسون المتنفذين... وتجدر الإشارة إلى أن المنظمات الصهيونية، في كل من نيويورك ولندن وبرلين، والممثلة بالجالية اليهودية في اسطنبول قد عرفت وتابعت هذه المذابح الجماعية في مراحل تهيئتها وتنفيذها.

---

(1) حنا أبي راشد، م. س. ص 161، 162.

(2) يهود الدونما أو يهود الدومنة: هم يهود في تركيا من أصل أسباني خرجوا مع العرب من الأندلس (أسبانيا)، وقسم منهم، من أجل التضليل، أعلن إسلامه وبقي على يهوديته فأطلقت عليهم هذه التسمية وتعني، لغةً: دو: اثنان، ومنة: نوع، أي المثنى النوع أو المزدوج الانتماء.

وكان بن غوريون المحامي العثماني بين هذه الجالية شاهداً على كل شاردة وواردة قام بها القادة الأتراك[1]».

والمعلوم من قراءة التاريخ العثماني أن اثنين من النافذين في السلطة بعد سنة 1908 هما أنور باشا وطلعت باشا، والاثنان من محفل سالونيك الماسوني، ويرجعان إلى أصل يهودي أظهرا اعتناقهما للإسلام. أنور وطلعت كانا وراء التخريب الذي حصل ومنه، إحراق مدينة «أضنا» الأرمنية، وذبح عشرين ألف أرمني فيها في سنة 1909، والثانية إعلان الحرب على الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، في كانون الأول / ديسمبر 1914، ووصول جماعة الاتحاد والترقي إلى السلطة، والاتحاد والترقي جمعية انبثقت من محفل سالونيك.

كان من نتائج التخريب الماسوني ـ اليهودي في الخلافة العثمانية، ونقل السلطة إلى جماعة الاتحاد والترقي ما قال عنه لوسيان كافرو ديمارس: «لقد أدى الجرم الصهيوني الماسوني، بتناسي حقوق الشعوب في الاستقلال بالنسبة إلى العرب وبإزالة كليكية الأرمنية وشعبها المسيحي العريق، إلى خمس كوارث في النتيجة:

1 ـ خلق دولة يهودية يعتبر خرقاً لحقوق العرب، واستفزازاً لمجموع العرب والإسلام (المسلمين).

2 ـ إبادة الطوائف المسيحية الأرثوذكسية والكاثوليكية في آسيا الصغرى.

3 ـ إزالة كليكية، فتم سبي الأرمن للمرة الرابعة في غضون 23 سنة، والتخلي النهائي عن سنجق الإسكندرونة 1938 حيث قام الحاكم الفرنسي الكولونيل كوليه الماسوني بتزوير استفتاء بنسبة 51% بإشراف عصبة الأمم.

4 ـ رفض الحكم الذاتي لكردستان.

5 ـ انتداب عسكري مفروض على البلدان العربية[2]».

إن ما حصل للأرمن، وما تم من انحرافات في تركيا، كان بفعل التخطيط الماسوني ـ اليهودي، وبتشجيع استعماري، وذلك لتلازم الأهداف بين هذه القوى

---

(1) دافيد بن غوريون: ولد في بولونيا سنة 1886 وهو من الرعيل الأول الصهيوني، محام في اسطنبول سنة 1913، ذهب إلى لندن سنة 1918 لتشكيل الفرقة اليهودية لاحتلال فلسطين.

(2) لوسيان كافرو ديمارس، م. س.، ص 33.

الثلاث: الصهيونية ـ الاستعمار ـ الماسونية. والحقائق التي تدعم مقولتنا: الماسونية أداة للسياسة الصهيونية، أكثر من أن تحصى. وإذا كان ديمارس قد عدَّ، بين كوارث الماسونية اليهودية، إقامة وطن قومي عنصري لليهود في فلسطين مما يثبت ما ذهبنا اليه، فإن الماسون أنفسهم لا يخفون هذه المسألة بل يعلنون، بكل جرأة، سعيهم لإعادة بناء هيكل سليمان، أي بمعنى آخر تسليم القدس للصهاينة.

ومن الوثائق التي تعطي صورة عن ضلوع الماسونية في إقامة دولة إسرائيل في أرض فلسطين، ما ذكره أمين القدس، سنة 1968، السيد روحي الخطيب في كلمته أمام المؤتمر الأول لمنظمة المدن العربية، الذي عُقد في بيروت، من أن السلطات الإسلامية في القدس قد تلقت عرضاً من الحركة الماسونية لشراء قطعة أرض من الحرم الشريف بغية إعادة بناء هيكل سليمان، وقد ورد العرض الماسوني في رسالة بالإنكليزية هذه ترجمتها:

«مسجد عمر ـ مجلس الإدارة ـ مدينة القدس، إسرائيل.

سادتي: جدتي من مواليد عمان، الأردن، وأنا مواطن أميركي من أصل إيرلندي ـ أردني فخور جداً بكوني عربياً، وأنا أيضاً مسيحي. سأسافر إلى تل أبيب في 7 حزيران /يونيو المقبل، أو حوالي 9 حزيران سأصل إلى المدينة المقدسة، القدس، وآمل أن أتشرف بالاجتماع بكم سادتي في المعبد المقدس لمسجد عمر، وكنت كتبت منذ مدة رسالة إلى مسجد عمر، لكن يبدو أنها لم تصل إلى الأشخاص المعنيين.

سأحاول الآن أن أشرح لكم الخطوط العريضة لزيارتي. أولاً، زميلي أودي مورفي، وأنا، عضوان قديمان في المحفل الماسوني، وحران ومعترف بنا ماسونياً، وأنتم تذكرون أن هيكل سليمان كان المحفل الماسوني الأصلي، والملك سليمان كان رئيس هذا المحفل، لكن الهيكل دمر العام 70 بعد المسيح. إنني أعرف أن مسجدكم هو صاحب الهيكل ومالكه القانوني، وأنه أقيم في المكان ذاته، إلى جانب الصخرة التي قدم عليها أبونا إبراهيم ابنه إسحاق قرباناً للرب. وإنني أعرف أيضاً أنكم أنتم العرب، أبناء إسماعيل، وقد حميتم هذه الصخرة عبر القرون. فلنقدم الشكر للرب.

وإنني، كمسيحي، وكعضو في الحركة الماسونية، أرأس جماعة في أميركا يحبون أن يعيدوا بناء هيكل سليمان من جديد. هذا هو اقتراحنا. إذا أعطى جامع عمر الإذن

لمؤسستي، فسوف تجمع 100 مليون دولار في أميركا لهذه الغاية، أو المبلغ اللازم لإعادة بناء الهيكل.

إن مسجدكم لن يفقد السيطرة على الهيكل أبداً. وعندما ينتهي بناء الهيكل، سيكرس للرب، وللملك سليمان وللحركة الماسونية في العالم، وسيعطى لكم مجاناً. وإلى ذلك، وبإذن مؤسستكم، سيمنح كل أخ ماسوني، أسهم في إعادة البناء، عضوية في المحفل الماسوني الأول لهيكل الملك سليمان في مدينة القدس، ومن المقدر أنه لن يزور الهيكل أحد منهم في حياته، لكن العضوية ستنتقل إلى أولادهم الماسونيين، والتي ستتجدد سنوياً، مما يكفي لحراسة المعبد والاعتناء بمسجد عمر وكل المؤسسات الخيرية التابعة له، وهذا يعني أن مسجدكم لن يحتاج إلى أية حملة تبرعات في المستقبل من الأعضاء. إنني لا أعرف أية مؤسسة دينية تستطيع العيش من دون أن تطلب من أعضائها التبرع المادي، لكنني أستطيع أن أؤكد لكم أن مؤسستكم إذا تعاونت معنا في إعادة بناء الهيكل، فسوف تصبح أغنى مؤسسة دينية على الأرض.

إذا أبديتم اهتماماً بهذا العرض ـ وليس لديكم ما تخسرونه، بل كل شيء لتربحوه ـ فسنزودكم بالمال لتصرفوه في بناء الهيكل من قبل مقاولين من اختياركم، مع التفاهم المسبق على أن بعض أجزاء الهيكل ستستعمل لأغراض ماسونية، أما بقية المبلغ فستستعمل في الأوجه التي يراها مسجدكم مناسبة، لأن الهيكل سيكون ملكاً لكم، إنه لكم، نحن سنعيد بناءه لكم مجاناً. على كل حال، أقترح أن يستعمل جزء من الهيكل كمستشفى لأطفال القدس، عرب ويهود معاً، ومجاناً للفقراء منهم، وسيأتيكم من الأموال عند انتهاء بناء الهيكل، عن طريق تجديد عضوية الأخوة الماسونيين، سنة بعد أخرى، أكثر مما تستطيعون استعماله.

وعليكم أن تفهموا أنني سأكون ضيفاً على شعب إسرائيل، وكمواطن أميركي لا أستطيع أن أتورط في سياستكم المحلية، وسأقوم بتصوير فيلم سينمائي خلال إقامتي في الأرض المقدسة، ليعرض في المحافل الماسونية (فيلم ديني عن الأب إبراهيم، وإسماعيل ويعقوب، يصل حتى بناء المعبد) مع قصة ولادة المسيح حتى موته على الصليب.

سادتي، آمل أن تأخذوا هذه القضية بعين الاعتبار، وتبحثوها مع أعضاء مجلس

إدارتكم قبل أن أصل إلى المدينة المقدسة، وآمل أن يمنحني أعضاء مجلس إدارة مجلس عمر الشرف العظيم لأخاطبهم شخصياً أثناء إقامتي القصيرة في المدينة.

وليبارككم الله جميعاً أيها الأخوة. بإخلاص فرايدي تيري 514، إيست هارفارد رود بيدبانك، كاليفورنيا، القطاع 91501[1]».

إن هذه الرسالة التي أوردناها كاملة، كما جاءت في جريدة «النهار»، تعطي دليلاً هاماً على ارتباط الماسونية بالصهيونية، وتبين لنا أن الماسونية أداة صنعها اليهود من جملة مؤسساتهم كي تساهم في إقامة مملكة إسرائيل المزعومة، وإلا لماذا هذا الاهتمام البالغ، من هذا الماسوني، بموضوع بناء الهيكل مهما كانت التكاليف المادية؟

ثم بعد هذه الرسالة كيف يحق للماسونية أن تقول للمنتسبين الجدد إليها بأنها لا تتدخل في السياسة، وهي في جوهرها حركة سياسية في خدمة الصهيونية.

ولأن الماسونية خادمة للصهيونية، وإذا كانت الرسالة الواردة آنفاً قد عرفتنا بكيفية خدمتها للصهيونية، فإنها كذلك خدمت المستعمر الفرنسي والإنكليزي يوم استباح بلادنا تحت شعار الانتداب فكانت عوناً له. فالمعلوم أن المحافل الماسونية في بلادنا كانت:

«تابعة للشرق الأعظم الفرنسي، وهذا المحفل الأعظم يمارس نشاطاً سياسياً مباشراً، ويتخذ مواقف سياسية، خلافاً للمحفل الأعظم الإنكليزي والإسكتلندي اللذين يكون نفوذهما السياسي عادة غير مباشر، وبصورة أكثر خفاء ودهاء.

وقد ظهر النفوذ الفرنسي واضحاً في المحافل السورية واللبنانية خلال فترة الانتداب؛ فقد تضمن القرار الذي اتخذه المؤتمر العام للمحافل الماسونية المنعقد في بعلبك، باسم: مؤتمر الأحرار، في أول آب/أغسطس عام 1924، التعاون مع الانتداب».

«وبأمر من الشرق الأعظم، قام آميل كومب، رئيس الوزراء، بإغلاق 9 آلاف مدرسة كاثوليكية في فرنسا. فتجلت ردة الفعل في قلم إدوار درومون في «الكلمة الحرة»: لقد شرحت لكم أن أصل الماسونية يهودي وأن اليهود كانوا أسياد المحافل، وأن لهم أنداداً في بعض السياسيين البروتستانتيين الذين سروا بأن يجدوا في الشرق الأعظم منبراً يروون من خلاله أحقادهم ضد فرنسا الكاثوليكية».

---

(1) جريدة «النهار»، تاريخ 1/ 8/ 1968.

من خلال هذا الاستعراض لمواقف الماسونية من بعض المسائل السياسية، ومن خلال مواقفها في أحداث عديدة، أو وقوفها وراءها من فكرة إعادة بناء الهيكل، التي تعد خطوة على طريق الأهداف الإسرائيلية، مروراً بالثورة الفرنسية وملوك بريطانيا ومحاربة الكاثوليكية والدين عموماً، حتى مذابح الأرمن ودعوات الأممية والداروينية والماركسية والنظم المصرفية والرأسمالية، يظهر لنا خطر الماسونية وارتباطها بالصهيونية، وبعد كل هذا لا يستطيع ماسوني أن يقول إن الماسونية جمعية اجتماعية لصنع المحبة والسلام وأعمال الخير، ولا تستطيع أن تدعي ذلك واحدة من بنات الماسونية كالحركات التي سبق ذكرها، والصحيح أن الماسونية حركة ذات منشأ صهيوني وأهداف سياسية معادية لكل دين وقومية وشعب، إلا الشعب اليهودي، تطبيقاً للفكرة العبرانية المزيفة في نظرية «شعب الله المختار».

أب الماسونية
(حيرام آبي)

حيرام Hiram or Huram في العبرية تعني، كما جاء في الموسوعة الماسونية: نبيل المولد (Nabil-Born) واللفظ الأكثر صحة بحسب قيمة الأحرف في العبرية هو Khuram أو Khurum. إلا أن الماسونية الكونية اعتبرت أن تغيير الإسم بات الآن مستحيلاً أو على الأقل غير معقول تغييره.

أما في اللغة السومرية فإن كلمة حيرام تعني الحياة الأسمى! فاسم ملك صور ورد في جميع النصوص Hiram في ما عدا سفر الأخبار الأول حيث كتب Huram. أما المصورتين فقد كتبوا الإسم Huram أما نحن الماسون (والكلام لصاحب الموسوعة الماسونية الآنفة الذكر)، فبحسب نسختنا المعتمدة[1] من الكتاب (Bible) المقدس هو: Huram.

تضيف الموسوعة الماسونية: ليس هناك شخصية، في كافة أخبار وحوليات الماسونية، من تعتمد حياته كليةً على التقليد مثل شخصية مهندس هيكل سليمان الذائع الصيت. تاريخ الأغراب يصمت تماماً بخصوص سيرته. والسجلات تقدم لنا فقط وفراً من المواد غير ذات القيمة. وكي نملأ الفراغ بين حياته وموته، كان من الضروري الأخذ بتلك الأساطير التي صار تناقلها بين الماسون القدامى وخلفائهم. وهؤلاء إذا ما تعمقنا في شخصياتهم، لما أردنا التأكد من مصداقيتهم جميعهم، إذ ربما أغلبهم

(1) في ذات النصوص، يعرب الكاتب بأن سليمان لم يكن لديه فنانين أو مؤهلين فنياً للقيام بتنفيذ ما له علاقة بالبناء، لذا نراه يطلب إلى ملك صور أن يرسل إليه من يقوم بالتنفيذ، فيبادر الأخير إلى إرسال بعثة فنية على رأسها رجل خبير في كل شيء. في نهاية النص نرى كاتب «الموسوعة الماسونية» ينهي عباراته بأن الرجل وُجِدَ قادراً على تنفيذ مخططات وتصاميم ملك إسرائيل!..

كانوا رمزيين. والرمز، مع مرور الزمن يتحول إلى أسطورة أو حتى خرافة بسبب التكرار والإضافات التي تكون قد أُلحقت بالحقائق الأصلية، هذه كانت الحال دوماً في تاريخ الأمم. لكن مهما يكن من أمر شخصيتهم الحقيقية بالنسبة للماسون، فهم على الأقل ذوو فائدة إذ أن من غير الممكن خلو تلك الأساطير من بعض أسس الحقيقة.

عندما كان سليمان على وشك بناء معبد لإلهه جاهوفا «يهوه» كان من الصعب عليه إيجاد فنيين وعمال لتنفيذ الجزء المعماري، الأمر الذي جعله يطلب من صديق والده وصديقه، حيرام ملك صور أن يستفيد من خبرات بنّائيه، إذ أن الصوريين والصيداويين كانوا فنانين مشهورين. وفي ذلك الوقت عُرفوا بسيطرتهم على القوة المحركة (Mechanics). استجاب حيرام لطلب سليمان وأرسل لمساعدته بعثة رجال والمواد اللازمة لبناء المعبد. من بين هؤلاء فنان قدير ومميز أوكل إليه مهمة الإشراف على العمل والعمال، فينيقيين ويهود. هذا الفنان كان يمتلك القدرة على التنظيم والعلم والخبرة لتنفيذ مخططات وتصاميم ملك إسرائيل[1].

هذا الفنان هو حيرام الذي يُعَرِّفه الماسون حيناً بالبنّاء وحيناً آخر بابن الأرملة لكنهم في العموم، يطلقون عليه اسم حيرام آبي (Hiram Abif)[2].

حيرام هذا ورد ذكره لأول مرة في سفر الملوك الأول بصفته ابن أرملة من سبط نفتالي وأبوه رجل من صور، ثم يرد ذكره مرة أخرى في سفر الأخبار الثاني بأنه ابن امرأة من بنات دان وأن أباه رجل من صور.

في النصين الأول والثاني ولأول وهلة، سوف يصطدم المرء بالتناقض بينهما. لا شك أن النصين يتفقان بأن حيرام هو ابن رجل من صور، لكن الاختلاف يبقى

---

(1) المصدر نفسه.

(2) جاء في نص الإصحاح 13 من سفر الأخبار الثاني في النسخة المعتمدة ماسونياً نسخة الملك (James): «And now I have sent a cunning man, enduring with understanding, of Hiram my faher's». وفي نص من الطبعة الثانية والعشرين من كتاب: «Analytical-Concordance to the Bible» المنقحة من قبل: WM. Stevenson B.D. أستاذ اللغة العبرية في معهد اللاهوت Bala والفاحص في اللاهوت في جامعة «أدينبرغ» وتحت عنوان «Hiram» نجد النص التالي:
«A man of eminence and principal architect, sent by king Hiram to Solomon. In Chronicles he is called Huram, where also he has the title AB father or master see Hiram».

في تحديد مكان ولادة الأم التي مرة نجدها من سبط نفتالي ومرة أخرى من بنات دان.

على أية حال، لم يجد المعلقون على هذا الاختلاف صعوبة في حل هذه المغايرة والاقتراح الذي قدمه الأسقف باتريك والمعمول به في هذا الصدد فيقول: «إن المرأة كانت من بنات دان، وزوجها الأول من سبط نفتالي ومنه ولد ابنها، وعندما ترملت، عادت وتزوجت رجلاً من صور، وهذا من دُعي بوالد حيرام وهو الذي أنشأه ورعاه وكان زوجاً لأمه[1]».

وهنا لابد لنا من التوقف قليلاً أمام التحليل الذي أورده هذ الأسقف والذي سرعان ما أُخذ به من ماسونيي العالم الغربي دون التفكير بمراميه وأبعاده، فهذه لم ولا تعني هذا العالم بشيء لكنها، بالنسبة للماسونيين تعني الكثير.

وإذا عدنا إلى الكتاب المقدس المعتمد في المحافل الماسونية في العالم الغربي وهو باللغة الإنكليزية نرى: «The Holy Bible-translated out of original tongues/and with the former translations diligently compared and revised, by his Mjesty's special command». وهذه الطبعة طبعت في مطبعة جامعة «أكسفورد» وقدِّمت الترجمة إلى الملك جايمس ملك بريطانيا العظمى وفرنسا وأيرلندا.

وإذا تمت المقارنة بين هذه النسخة وبين نسخة الكتاب المقدس الذي أصدرته الرهبانية اليسوعية عام 1989 باللغة العربية والمطبوع في دار المشرق عام 1991. وهذا الكتاب معتمد من قبل الكنائس الكاثوليكية. ومن المعروف أن الرهبانية اليسوعية اللبنانية اهتمت، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر بالعمل على ترجمة وثيقة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية وفي الشكل الذي يضمن الفهم الكامل للمؤمنين، والمحافظة على دقة كبيرة في الترجمة من اللغات الأصلية التي كتب فيها الكتاب. ومَن أقرب إلى اللغة العبرية من اللغة العربية، بل ومن أقدر على استيعاب اللغات المتداولة في المنطقة التي انتشرت فيها ترجمات الكتاب من أهلها بالذات؟

(1) لسنا ندري هنا السبب الداعي إلى الحيرة ومن ثم إلى التناقض الذي يشير إليه كاتب الموسوعة الماسونية من كون والدة حيرام أبي من بنات دان، وكون زوجها الأول من سبط نفتالي. وليس هنا ما يدعو إل العجب في أن تكون المرأة قد عادت وتزوجت من رجل صوريّ وأنجبت منه حيرام أبي ثم عادت وترمّلت من جديد.

تحقيقاً لهذه الغاية تولت لجنة من علماء الرهبانية اليسوعية ومعهم العلاّمة القدير في اللغة العربية الأستاذ إبراهيم اليازجي، فأخرجوا إلى العالم العربي الترجمة الدقيقة والموثوقة أصولاً ولغة في العام 1881 ثم أعيدت مراجعة هذه الترجمة في العام 1949 والتي أسهم في صياغتها الأدبية كبير أساتذة اللغة العربية حينذاك بطرس البستاني، وصدرت في العام 1969.

ومؤخراً، أيضاً أُجريت مراجعة ثانية للكتاب وترجمته وزيدت على فصوله مداخل وحواشي تفسيرية مع مرادفات ونصوص في غير فصل أو سفر تساعد المضطلع والباحث والمؤمن على تتبع الأحداث والسِّير المتعددة التي يتناولها الكتاب.

لقد اختلفت التفاسير بين الترجمات، ففي بعض الأحيان أتت (Hiram my father) وفي أحيانٍ أخرى أتت (Hiram Abi out Abif). ونلاحظ في النص الأول أن الترجمة إلى الإنكليزية لكلمة أبي الفينيقية تعني وكأنها في العربية «والدي» لذا جاءت ترجمتها my father في حين أن الكل يعلم أنها لفظة تطلق على الإنسان، في العادة للتعظيم والتبجيل والتقدير. فحيناً تأتي قبل الاسم وحيناً آخر بعده، كما في أبي بعل والد حيرام الملك أو أمور أبي «حمورابي» وغيرهما الكثير مثل أبي داجان، وهذه من صفات «إيل». وفي النص الثاني تُذكر هذه الصفة بوضوح أكبر حيث يقول: اسمه حيرام أبي.... أبوه رجل من صور.

فترجمة Hiram my father ليس لها معنى مع وجود التأكيد بأن حيرام أبي هو ابن رجل من صور!.. بل المنطق يقضي بالقول أن اسم الرجل هو «حيرام أبي» فقط وأن والده هو رجل من مدينة صور.، وهذا ما تكرر في النصين. وهذا في الواقع دلالة على عدم الدقة في الترجمة.

أما القول بأنه ابن بلا وبنجامين فهو اختلاق لا يمكن تعليله إلا برغبة جارفة عند المؤلف لجعل الرجل يهودي ابن يهودي ويهودية، وهذا ما لم يذكره أي مؤرخ، ولم يرد وصفه في الكتاب المقدس باللغة العبرية، كما لم يُذكر في الترجمات المتعددة لهذا الكتاب ولم نجد له أثراً في غير مرجع آخر. لذلك نرى الملك حيرام يؤكد في النصين المذكورين في سفري الكتاب المقدس على أن الرجل هو ابن رجل من صور. وتكريماً لسليمان، ربما، ذكر له أن والدة الرجل هي امرأة يهودية، ولا يوجد تأكيد بأنها من بنات دان أم من سبط نفتالي.

الأقرب إلى الواقع والمنطق معاً أنه: لو كان حيرام أبي ابن رجلٍ يهودي لانتفت الحاجة إلى ذكر والده على الإطلاق. وما يثبت هذا الكلام ومنطقه أن اسم حيرام هو اسم صوري فينيقي كنعاني ولا صلة له بأسماء اليهود فلا يعقل أن يكون والده يهودي ويعطيه اسماً فينيقياً غريباً عن أصله وتقاليده، وإن افترضنا أن هذا الولد قد ولد في أرض عشيرته لوجب أن يأخذ اسماً عبرانياً قبل وفاة والده وانتقال والدته إلى كنف رجلٍ فينيقي من صور.

أما السبب الرئيسي والحقيقي وراء هذا التصرف بالرجل ونسبه إنما يعود إلى رغبة جامحة، لا تخفى عن أي باحث متجرد، هي بكل بساطة إضفاء صفات الكمال التي نسبها المؤلف وغيره إلى رجل يهودي الأصل مع تبرير معارفه إلى اقتباسات فينيقية كنعانية(1).

ويتابع كاتب الموسوعة الماسونية عن أسطورة حيرام أبي فيقول: «عند وصول هذا الفنان الشهير إلى أورشليم، في العام 1012 ق. م. حاز على ثقة سليمان المطلقة فسلحه الإشراف الكامل على جميع العمال، يهوداً وصوريين وأطلق عليه لقب مدير الأعمال الرئيسي Principal Conductor of Works وهذا المركز كان يشغله أدونيرام. وبحسب التقليد الماسوني ألّف مع سليمان وولي أمره السابق الملك حيرام، مجلساً أعلى لكبار المعلمين Supreme Council of Grand Masters حيث كان يقرر كل ما له علاقة بإنشاء البناء وإدارة العمال».

ويكمل كاتب الدستور أو النظام Book of Constitution، كما حرره أنتيك Entick ليتكلم عن حيرام بقوله: «هذا المعلم/الأستاذ الملهم Inspired Master كان بدون أدنى ريب الأكثر حنكة وخبرة ومهارة ومعرفة لم يمتلك مثلها رجل من قبل. قدراته لم تقتصر على البناء بل اشتملت كافة أنواع الفنون، سواء كانت خاصة بالذهب أو الفضة أو الحديد، أو كانت خاصة بالحرير والمنسوجات والسجاد والتطريز، أو حتى اعتُبِر مهندس، صانع تماثيل أو برع في الاثنين معاً».

من أجل تصاميمه والمفروشات الرائعة ولكافة الأشياء الأخرى والإضافة التي قام

---

(1) لاحظ. س. حداد. «الماسونية أو العودة إلى الجذور». توزيع دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط1 2006. ص ص 137 ـ 138.

بها وأنهاها، عينه سليمان وهو (ابن الثانية عشرة) نائب الرئيس الأعلى Deputy Grand Master، معلم العمل Masters of Work، وناظر عام General Overseer على الفنانين وكل الذين كان داوود أبيه قد طلبهم من صور وصيدا والذين كان على الملك حيرام أن يرسلهم إليه. هذا الطرح يستوجب بعض التصحيح، يقول كاتب الموسوعة في التقليد الأكثر دقة أنه كان هناك ثلاثة رؤساء وكان حيرام أبي أحدهم، وبالتالي لا يمكن القبول بأنه كان المنبه الرئيسي Senior Warden. فقط في أسطورة محفل الرؤساء Masters Lodge الذي يُفترض أنه انعقد في الهيكل مرة واحدة قبل اكتمال بنائه حيث كان الرؤساء الثلاثة فقط حاضرين، فأُسند إلى حيرام مركز المنبّه الرئيسي. في هذا السياق، تعترف الموسوعة الماسونية بما يلي: «إنه لَمن اللافت جداً، في شخصية رئيس مهندسي الهيكل، حيرام أبي، قدرته التنظيمية في إدارة جميع الأعمال الموكَلة إليه أو الموضوعة تحت إمرته. فتنظيم عمل حوالي مائتي ألف رجل، فنيين وعمال، بشكل متناسق ومتناغم تماماً، تنظيمياً لم يختل ولو لمرة واحدة لأمر جدير بكل تقدير واحترام». ثم يشرح الكاتب شرحاً مستفيضاً طريقة حيرام أبي في وضع مخططات العمل مساءً وتسليمها صباحاً إلى فنيي التنفيذ، وعن تدقيقه بكل شاردة وواردة في كل ما له علاقة بالعمل وفحصه نتائجه وكذلك طريقة دفع الأجور، إلى ما هناك من أمور أخرى...

ثم يصور الكاتب تصرف حيرام أبي العملاني، منذ بداية النهار حتى نهايته، ذاكراً بالطبع شروق الشمس مغيبها وواصفاً بدقة تحركات المهندس العظيم خلال النهار، لاسيما فترة الظهيرة واختلائه للتأمل، في ركن من المعبد، في إيحاءٍ متكامل، إلى أن هذا التصرف من قبل الرجل وكأنه فرض ديني إيماني ينبع من اعتقاد وتقديس لإله هذا المعبد تحت ستار تقدمة الشكر لمهندس الكون الأعظم... كل هذه الأمور مارسها حيرام أبي طوال سبع سنوات البناء وهذه التحركات يصار إلى اتباعها في الدرجات الماسونية المتعددة وبأشكال رمزية تماماً.

وينهي الكاتب أطروحته بسلاسة متناهية ليصل إلى حادثة مقتل حيرام أبي، المُفتَرَض حصولها قبل عملية تدشين البناء في احتفال وضع حجر النهاية Cope Stone. هنا يروي الكاتب حادثة القتل التي يعرفها ماسون العالم اليوم والتي بُني على تفاصيلها درجات معينة في الماسونية والتي جيء على ذكرها في عدد من الأنظمة Orders التي انبثقت عن الدرجات الأصلية أو النظام الأساسي.

نتساءل هنا عما إذا كان هدف كاتب الموسوعة من تجميع ما كتب من نصوص وتصورات مؤرخي الماسونية الغربيين، إثباتاً لهذه التصورات وتأكيداً لمن باشرها في الأصل وجعلها سهلة الاقتباس، أم أنه، ببراءة، مقتنع بأنها الحقيقة المجردة التي تتماشى مع ما علق في ذهنه وذهن من سبقه من كتّاب؟.. ونتساءل بإصرار من أين جاء بأسطورة حادث القتل؟ ولماذا لم يأتِ على ذكر الأسباب الحقيقية التي كمنت وراءها، بل هو فقط اكتفى بما وصل إليه من تفاصيل الحادث وأسبابه؟..

ـ حيرام أبي الصوري وبداية السرية.

توجه حيرام أبي على رأس بعثة من البنائين والتقنيين والمهندسين إلى أورشليم. وكان سليمان قد «أحصى جميع الأجانب.. فكانوا مائة وخمسين ألفاً وثلاثة آلاف وستمائة. فأخذ منهم سبعين ألف حمّال، وثمانين ألف قطّاع في الجبل، وثلاثة آلاف وست مائة يناظرون على عمل القوم». لا شك أن هؤلاء الأجانب كانوا من أسرى الحرب والعبيد، الذين هيأهم سليمان لأعمال السخرة، على عادة تلك الأيام. ما أن بدأ حيرام أبي بالتنفيذ حتى اختلط الحابل بالنابل، وعاشت النخبة الكنعانية (بعثة صور) بين خضم العبيد المسخرين، وحشرية العبريين المشدوهين بعظمة العمل. وأحس حيرام أبي أن خطر البداوة على «النخبة الأحرار» أصبح كبيراً. وأن مناقبيتها تكاد تضيع في ضوضاء العامة وفي عتمة الجهل. فأنشأ مجتمعاً صغيراً خاصاً بالنخبة الكنعانية (أبناء صور وصيدا ـ البنائون الأحرار) بعيداً عن العبيد المسخرين.

ويبدو أن حشرية الجاهلين ظلّت تحكم أمن وسلام الكنعانيين في عملهم الخاص، في ما هم يتداولون المسائل العلمية، أو يقومون بأعمال دقيقة وفنية. ورأى حيرام أبي أن بعض أسرار البناء والمعرفة بدأت تتسرب إلى العامة، فخاف على مكاسب شعبه من الإهانة التي ستلحق بها، فقرر أن يفصل بين البنّائين الأحرار (أبناء صور وصيدا) والمسخرين والعبيد. فنصب سوراً من السرية التامة بين أعمال البنائين الأحرار ومعتقداتهم وثرواتهم العلمية والروحية. حتى أنه فصل بين البنائين الأحرار أنفسهم، فجعلهم على درجات درجات، ورتب لكل درجة إشارة، وعمراً، وكلمة مرور، وكلمة سر. وقد جعل من الأوائل الهندسية، والمعارف العقلية، حداً لكل درجة والتزاماً لكل بناء حر. ومنع البوح بالأسرار تحت طائلة عقوبة الموت. ويومها بدأت السرية في

البنائية، وما زالت إلى يومنا هذا. وكان مؤسسها حيرام أبي الصوري، الفينيقي، اللبناني، أول شهيد لها.

مذ وصل حيرام أبي إلى أورشليم وهو لا ينام. ينسق التصاميم، يحفر خشب الأرز المقدس، يعالج الذهب والفضة والنحاس والحديد، يداعب الأرجوان والبز والقرمز ويخترع كل شيء يلقى إليه، إنه يعمل لينهي بناء الهيكل الذي يعده سليمان لسكنى إلهه «أذوناي»[1].

عشرات الألوف من الرجال تأتمر لحركة سرية من أنامله السحرية، أو لإشارة «تاو T»، أول حرف من اسم صور ـ Tyre من يده. فقد نظم جماهير العمال تنظيماً رائعاً، يتفق مع نوع الأعمال، ونوع الرجال.

كان يحس أنه غريب. فهو الكنعاني الصوري، ربيب أرقى حضارة بشرية، الذي مارس السيطرة على جميع المعارف، وسبر كل أعماق العلوم، يعلّم البدائيين والعبيد والمرتزقة.

«إن عبقريته المتوهجة الشجاعة رفعته فوق البشر. بعضه كان من نور والبعض الآخر من جن الظلمات. لم يكن يبالي بالنساء اللواتي كن يتأملنه خلسة، وكان يترفع على الرجال الذين كانوا يهربون من قدام نار نظراته. وفي الوقت ذاته، كان يحتقر الرعب الذي توحيه شخصيته الفارضة، بقامته المنتصبة بوقار، وجماله الغريب الساحر. كان قلبه أبكم، ونشاط الفنان وحده ينعش يديه اللتين صنعتا لتعجبا العالم، ويثقل كتفيه اللتين صنعتا لتحملا العالم (G. de Nerval, Voyage on Orien)»[2].

هذا الفنان الملهم، جسّد البنائية وعاش أسرارها، يقول فؤاد فضول: «الماسونية خلاصة الحضارة الفينيقية» وقيّم رموزها ووضع لها إطاراً زمنياً. كانت قبله مجرد أفكار ومبادئ وقيم، فأصبحت معه حياة وحركة. عاش فيها واستشهد في سبيلها فحق له أن يكون مؤسس البنائية النظامية: العملية والرمزية معاً، وأن يدعى الشهيد الأول الذي خلّد هذه الرسالة بمعمودية الدم، وأعطاها الزخم المتدفق حيوية في سبيل الديمومة، وطبعها بطابع الخلود.

---

(1) المصدر السابق. ص 144.

(2) المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

إن قصة هذا الرجل ملحمة، حاك حولها المؤرخون أساطير. والواقع أن سليمان، ملك اليهودية، استقدم حيرام أبي من صور إلى القدس ليبني له هيكله، وسليمان نفسه، أرسل المجرمين الثلاثة ليقتلوا المعلم في الهيكل انتقاماً لعنفوانه وعواطفه، يقول جيرار نرفال في كتابه «رحلة إلى الشرق»: لقد روى نرفال قصة الزيارة التي قامت بها بلقيس، ملكة سبأ إلى القدس، وكيف جاءت لتتعرف إلى سليمان وتقف على حكمته وتشاهد عظمة هيكله، فتعرفت إلى المهندس الأكبر، وما أن شاهدته حتى مستها رعشة، وأسرتها الرجولة، وذللت كبرياءها سهام نظراته. طلبت إلى المهندس الأكبر مرافقتها إلى ورشة العمل، فرافقها حيرام أبي إلى حيث يعمل مئات الألوف من العمال المختلفي الجنسيات واللغات، المتفاوتي الطبقات والعلم والمقدرة والأخلاق. وأراها كيف يسوس هذه الجماعة من البشر، هذا البحر الهائج الذي ينصاع لإشارة «تاو» يرسمها في الهواء. هذه الجموع تتحرك آلياً وتتجمع زرافات ووحداناً، كلٌّ حسب اختصاصه ومهنته، المبتدئون في الجنوب، الشغالون في الشمال والأساتذة المعلمون في الشرق. فأدرتت بلقيس حقارة عظمتها، وسراب حكمة سليمان تجاه سحر حيرام أبي، مهندس الهيكل الأعظم[1].

أدركت بلقيس أن حيرام أبي هو رمز الحياة والحق ومصدر القوة والخلق والإبداع. عرفت، فيما بعد بمقتله، فحزنت لخسارته... ولعنت سليمان...

أراد سليمان أن يلم ببعض الأسرار، فلم يمكِّنه المعلم من ذلك، فتآمر على حياته، وتملك سليمان الهيكل جدراناً صمّاء، وفقد سر البناء. تنعم بالمادة وفقد الروح، الوجه الثاني لرمز الخلود. وأُقصي وجميع أتباعه عن العشيرة، وكان وخز الضمير الذي به مات.

وظلت الأدوات التي قتل بها المعلم، والأعضاء التي تلقت الضربات القاتلة والقتلة أنفسهم، رموزاً خالدة بمعانيها ومدلولاتها. فالمسطرة التي سددها الرياء إلى مركز الحياة المادية. والزاوية التي سقطت على القلب، هي الاستقامة في العمل، صوّبها الجهلة إلى مركز الروح. والشاقول الذي حطّم الجبهة، هو تحقيق الكبرياء في مركز الحكمة. هكذا تستمر المأساة، من هابيل إلى زكريا بن بركيا إلى عصرنا هذا.

---

(1) المصدر السابق. ص 145.

قال المسيح له المجد مخاطباً اليهود: «أيتها الحيات أبناء الأفاعي. .، يأتي عليكم كل دم ذكي سفك على الأرض، من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بركيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح».

من المقبول القول إن عظمة هذا الفنان الصوري وقدرته على إدارة شؤون آلاف العمال ودقته المتناهية في التنظيم أثارت إعجاب سليمان، الملك الصغير، وغيرته في آن. ذلك الإعجاب جعله يتقرب إليه أو يقربه منه، لا فرق. غايته كانت استشفاف أسرار إدارته والاضطلاع على فنونه ومهاراته. لكن المعلم الفنان كان حريصاً على أسراره، فلم يكشف مضامينها لسوى مستحقيها من التقنيين والفنيين، وكل بحسب درجته ومؤهلاته. تحول إعجاب سليمان إلى غيرة وحسد دفعاه إلى قتله، لكن بعد إنجازه البناء بكامله.

من مراقبة الفتى سليمان المستمرة لأعمال حيرام أبي وتصرفاته (لا يهم هنا إن كان سليمان شخصياً من يقوم بالمراقبة أو بعض أتباعه) فقد توصل إلى معرفة أساليب التنظيم في العمل والعمال، وهي على أية حال مكشوفة، وعلم أن لكل فئة في هذا التنظيم لها إشارة وكلمة سر ودرجة ومقام في العمل، لكنه لم يتوصل قط إلى معرفة هذه الكلمات والإشارات وهكذا خفيت عليه تماماً.

لم يكن من العسير على سليمان أو أتباعه، بعد مقتل حيرام أبي الذي رفض تسليم أسراره إلى قاتليه، لم يكن عسيراً عليهم أن يلملموا ما وصلت إليه أيديهم من معارف ومعلومات، كي يؤسسوا، فيما بعد نظامهم الخاص ويقسموه إلى درجات، الفكرة التي أعجبتهم، ويضعوا لها كلمات سر وإشارات ورموز وما إليها.

هذا النظام الهندسي الذي ابتكره حيرام أبي الصوري تحول على أيديهم إلى نظام سري طغى مستقبلاً على النظام الهندسي الأساسي وحل محله تدريجياً، إلى أن زال من الوجود في شكله السري وتحول إلى شكل أكاديمي يدرس في معاهد العالم.

وفي المقابل تأتي أسطورة حيرام أبي لتنقض تماماً ما أوردناه عن سبب مقتل هذا المعلم الكبير لتقول:

ـ أسطورة حيرام آبي:

في الدرجة الثالثة، وهي الدرجة الرئيسية والأهم في الماسونية الزرقاء بل في

المؤسسة الماسونية بأكملها أي في جميع الفرق أو الأنظمة التي أضيفت إليها وبشكل خاص درجات العقد الملوكي ومجلس الحكماء. وما لم يكن الماسوني حائزاً على هذه الدرجة فإنه لن يتمكن من الانضمام إلى ما يليها أو يتبعها من أنظمة ويفهم معانيها.

ولاستكمال المعلومات والأسرار في هذه الدرجة على المترفع إليها أن يتعرّف إلى الأسطورة التي اعتمدت في تاريخ الماسونية وتم تداولها وأمست من التقاليد المتوارثة وقد نستطيع الجزم بأن الماسونية الحديثة قد بنيت عليها والتي تقول بأن هذه الماسونية هي من صنع وصياغة سليمان ملك إسرائيل الخ. . .

نضع فيما يلي مختصر عن هذه الأسطورة وهي أسطورة مقتل حيرام آبي المهندس الفينيقي الذي أوفده حيرام ملك صور، صديق داود وتولى بناء هيكل سليمان في أورشليم.

تقول الأسطورة، بحسب الكتب الطقسية للماسونية:

في الجزء الأول: إن خمسة عشر من الرفاق الذين عينوا للإشراف على الباقين، عندما وجدوا أن العمل في الهيكل قد قاربت نهايته وهم لم يحصلوا بعد على أسرار الدرجة الثالثة «درجة أستاذ أم معلم» ائتمروا للحصول عليها بأية وسيلة حتى ولو باعتماد العنف. وخلال تفكيرهم في تنفيذ المؤامرة، اثنا عشر منهم انسحبوا من المؤامرة وبقي ثلاثة فقط أصروا على متابعة مؤامرتهم وقرروا توزيع بعضهم في أماكن معينة في شمال وجنوب وشرق مدخل الهيكل في المكان حيث يعلمون أن المعلم «حيرام أبي» يلجئ إليه للراحة وقت الظهيرة ويقوم بتقديم عبادته للأعلى. . .

لدى انتهائه من أداء فرض عبادته، حاول حيرام أبي الخروج من الناحية الجنوبية للمدخل وهناك واجهه أحد الخونة وهو مسلحاً ب. . . . . ثقيلة وهدده بالقتل إن لم يسلمه أسرار تلك الدرجة. ولما رفض المعلم إعطاءه تلك الأسرار قام بضربه بشدة فوقع المعلم من قوة الصدمة. وبعد أن تمكن من النهوض توجه إلى الناحية الشمالية من المدخل فتصدى له الخائن الثاني المسلح ب. . . والذي، ما أن يتلقى ذات الجواب حتى ضرب المعلم ضربة عنيفة أوقعته على ركبته. جرّ المعلم نفسه إلى الناحية الشرقية فواجهه أيضاً الخائن الثالث المسلّح أيضاً ب. . . . . ، ولدى تلقيه ذات الجواب الأول قام بضربه بقساوة بالغة على وجهه طارحاً إياه أرضاً.

الجزء الثاني من الأسطورة: يتحدث عن الاضطراب الذي حصل في غياب المعلم بسبب فقدان تعليماته وتصاميمه اليومية التي كان يسلمها لمختلف مسؤولي العمال وهذا ما دفعهم إلى إعلام الملك سليمان بأمر اختفائه. وبعد بحث، تبين لسليمان أن ثلاثة من المراقبين غير موجودين. وهنا بادر الرفاق الاثني عشر الذين شاركوا في بدء المؤامرة إلى إخبار سليمان بواقع الأمر. عندئذٍ، وخوفاً على حياة المعلم اختار سليمان خمسة عشر من الرفاق الموثوقين للذهاب في البحث عن المعلم وما إذا كان لا زال حياً.

قسَّم الرفاق أنفسهم إلى ثلاث فرق وذهبوا في مهمتهم. وبعد مضي أيام عدة من البحث عاد الفريق الأول فاشلاً لكن الفريق الثاني كان أوفر حظاً إذ، أثناء قيامه بالبحث وجد الفريق نفسه يأخذ قسطاً من الراحة. جلس أحد الأخوة على مرتفع صغير من الأرض يلتقط أنفاسه. في ما هو يداعب بعض الأعشاب النامية بقربه، فوجئ بالعشب يُقتلع في يده بسهولة تامة وبعد أن تفحص الأرض، وجد أنها قد عُبث بها حديثاً. على الفور نادى هذا الرفيق رفاقه، ومجتمعون قاموا بنبش التلة الصغيرة ليكتشفوا جثة المعلم مدفونة فيها. أعادوا وضع الجثة في مكانها، بكل احترام وتقدير، ووضعوا علامة تدلهم إلى مكان وجودها ثم هرعوا إلى أورشليم لإعلام الملك سليمان بأمر اكتشافهم. حزن الملك كثيراً لفقدان المعلم ومعه أسرار مرتبته العليا وقرر وضع أسرار بديلة لها إلى أن يأتي الوقت ويكتشف الأصلية. أما الفريق الثالث من الرفاق الذين ذهبوا للبحث فقد كانوا في طريق عودتهم إلى أورشليم يتملكهم الأسى لفشلهم. أثناء مرورهم أمام كهف، سمعوا أنيناً صادراً من داخل الكهف، فدخلوا لاكتشاف السبب، فوجدوا الرفاق الثلاثة الذين قاموا بعملية القتل جالسين يندبون حظهم العاثر لعلمهم بإقفال كافة طرق النجاة أمامهم. واعترفوا بما اقترفت أيدهم. أخذهم فريق التفتيش إلى أورشليم وسلموهم إلى الملك سليمان الذي عاقبهم بما يستحقون.

الجدير ذكره هنا أن من خلال شرح هذه الأسطورة يُصار إلى شرح الأسرار الخاصة بالدرجة الثالثة وكيفية استعمالها. وخلاصة الكلام في هذه الأسطورة أن حيرام أبي كان يمتلك جرّة من الأسرار لا يشاركه فيها أحد وبموته فُقد هذا الجزء، لذلك قام سليمان بتغيير تلك الأسرار وتسليمها إلى من هم في رتبة معلم أو أستاذ ومذ ذاك باتت هي الأسرار المتداولة بين أفراد تلك الدرجة.

هذه كانت البنائية العملية والرمزية، أي التي تمتهن الهندسة وتتحفظ على أسرار تنفيذها العملية، وتلك أصبحت البنائية غير العملية، أي التي تمتهن السرية وتستعمل الرموز الهندسية لتمرير مراميها وتحقيق أهدافها في تطبيع العالم في معتقداتها الدينية وتطويعه في خدمتها وكأنها خدمة إلهية تحت ستار الخدمة الإنسانية الكونية.

الماسونية
دراسة لسيادة المطران حبيب باشا[1]

هذه الدراسة لا تتناول التاريخ الماسوني المعاصر وحسب بل هي تحيط بتاريخ هذه المؤسسة وعلاقتها مع الكنيسة وخاصة في فرنسا وأسباب توقيع الحرم البابوي بشأن أعضائها . . .

ـ جذور الماسونية:

تمتد جذور الماسونية، كما يشير إلى ذلك اسمها بالأصل الفرنسي ـ France Maçonnerie، إلى جماعات أو اتحادات عمّالية كانت تضم، في القرون الوسطى المسيحية، النحاتين والبنائين دون غيرهم من الفئات الأخرى العاملة في البناء. وكانت تلك الأخويات، التي قامت على سواعد أعضائها كاتدرائيات أوروبا، تتألف من ثلاث فئات: المعلمين والرفاق والمتدربين، وتتمتع بصلاحيات إدارية وقضائية مستقلة، تبعاً لقوانينها وأعرافها، وتمنع على أعضائها كل اتصال بعمّال البناء الآخرين، كالمطيّنين والمسيّعين (المورّقين)، وتحصر جل أشغالها في نحت الحجر وبنائه، وتعتبر هذه الصنعة فنّاً أرقى من سائر الأشغال البنائية، وتتخذ الزاوية والميزان المائي والبيكار رمزاً لها وعلامة فارقة.

ولما كان غرضهم تكوين جماعات مميزة ومفصولة عن جمهور العَمَلَة الآخرين، فقد استنبطوا لهم كلمات سرية وملامسات خاصة يتعارفون بها، ويسمونها العلاقات اللفظية والتحيات اليدوية.

---

(1) نُشرت في العدد 644/21 من مجلة المسرّة عام 1979 وهذه مقتطفات هامة منها عن مجلة «البناؤون» العدد 23 ـ السنة الثانية عام 1987.

وكان المتدربون والرفاق والمعلمون ينخرطون في سلك الجماعة في حفلات خاصة محوّطة بالسرية. وكان المتدرب، إذا رُقِّي إلى درجة الرفاق، يقطع على نفسه عهداً بقسَم، ألا يبوح، شفاهاً أو كتابةً، بألفاظ التحية السرية. وكان محظوراً على المعلمين وعلى الرفاق أن يكشفوا للغرباء عن مضمون القوانين الأساسية المقررة في الجماعات الماسونية. وكان من واجب «معلِّم المحفل» أن يحافظ بمنتهى الدقة والتنبّه على كتب الجماعة ودساتيرها، خشية أن يتسرّب منها شيء إلى الخارج، ومن حقه أن يحاكم ويعاقب كل المعلمين والرفاق والمتدربين الخاضعين لسلطته.

وكان المتدرب، إذا أراد أن يصبح رفيقاً، بحاجة إلى توصية واقتراح من أحد المعلمين، يكون عرابه ويشهد له بحسن السيرة وسلامة الأخلاق. فإذا أصبح رفيقاً كان عليه أن يؤدي يمين التقيد بجميع قوانين الجمعية، والطاعة للمعلم أثناء المدة المعينة، وهي من خمس سنوات إلى سبع. فإذا انقضت هذه المدة أصبح بإمكانه أن يُرشح للمعلميّة.

وكان كل مُخِلٍّ بواجبات دينه، وكل مستهتر بفروض حياته المسيحية، وكل متهم في أمانته الزوجية، يُرفض قبوله في الجمعية أو يُفصل عنها ويُحظّر على كل أخ وكل معلم وكل رفيق، كل علاقة به. وكان ممنوعاً على الرفاق أن يخرجوا من المحفل أو أن يتكلموا فيه دون إذن المعلم، وكان لكل محفل خزانة يودعونها المساهمات المفروضة على المعلمين والرفاق يوم قبولهم في الجمعية، وينفقون منها في حاجات الأخوة الفقراء أو المرضى.

ـ مراحل تطورها:

كيف تطورت تلك الجماعات المهنية فتحولت إلى نوادي أرستقراطية ومنظمات سرية على نحو ما نجده في الماسونية المعاصرة؟

تاريخ هذا التطور طويل ومعقد، ويتنوع بتنوع البلاد التي اندرج فيها. وإنما هناك معلومات نجدها في محفوظات المحفل الأعظم في أدنبورغ ـ وهي من سنة 1599 ـ ومحفوظات أخرى في محافل لندن، أن أصحاب المهن الحرة أخذوا ينضمون إلى المهنيين اليدويين. ففي محفوظات محفل أبردين في إنكلترا مثلاً نعثر على أسماء عدد من المحامين والجراحين والتجار في قائمة الأربعين عضواً في ذلك المحفل. ومنذ تلك

الحقبة درجت عادة التمييز بين البنائين المعنيين بتشييد الأبنية، والمهندسين المعنيين بالنظريات الهندسية.

وأخذ عدد المهندسين، مع الأيام، يربو على عدد البنائين، وابتدأت تلك المنظمة المهنية لبنّائي الكاتدرائيات والكنائس والمنازل تتحول من أهدافها العملية إلى أهداف نظرية بحتة.

ـ دستور أندرسون:

أول نواة لهذه الماسونية الجديدة أُنشئت في لندن، في 24 حزيران/يونيو عام 1717، بتجمع أربعه محافل انبثق عنها المحفل اللندني الأعظم. وقام قسيسان من الكنيسة الأنكليكانية، أندرسون Anderson وديزاغليه Désagulier بوضع دستور للمنظمة الجديدة مستوحى روحاً وديناً من القوانين التي قامت عليها رابطات البنائين المسيحيين في القرون الوسطى، وكان شعارها: «الولاء لله وللكنيسة المقدسة، والاحتراز من الضلال والبدعة».

وقد ورد في البند الأول من دستور أندرسون التنبيه التالي:

«في شأن الله والدين: على الماسوني، بحكم لقبه، أن يخضع للناموس الخلقي. فإذا أدرك حقيقة معنى الفن فلا يمكنه أن يكون ملحداً غبياً أو مارقاً سفيهاً. ومع أن الماسونيين في العهود القديمة كانوا ملزمين، في كل بلد، بالانتماء إلى ديانة ذاك البلد أو تلك الأمة أياً كانت، فقد بات من المستنسب اليوم ألا يلتزموا إلا بالدين الذي يجمع عليه الناس قاطبة، على أن يحتفظ كل واحد بمقعده الخاص. ومفاد ذلك أن يكونوا من أصحاب المروءة والخلوص، وهم ذوي الشهامة والاستقامة، أياً كان المذهب الديني الذي يتميزون به. وينجم عن ذلك أن الماسونية تصبح، والحالة هذه، مركز وحدة ووسيلة لإقامة صداقة خالصة بين أشخاص كانوا لولاها ـ لبثوا في ما بينهم على تباعد دائم».

في الحادي والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر عام 1737، أرسل المعلم الأعظم لجمعية الماسونيين في المملكة الفرنسية، الكونت دي درفنتواتر Darwentwater إلى زميله البارون دي شِفر Scheffer، مؤسس أول محفل ماسوني في السويد، الترجمة الفرنسية لدستور أندرسون، وقد جاء فيها:

المادة 1: «في شأن الله والدين: على الماسوني، بحكم وضعه، أن يتقيّد بالشريعة الخلقية. فإذا أدرك حقيقة معنى الفن فلا يمكنه أن يكون ملحداً ولا مارقاً فاسقاً. في القرون الغابرة كان الماسونيون ملزمين بانتحال الديانة الكاثوليكية. ولكن منذ بعض الوقت لم يعد من حاجة إلى النظر في مشاعرهم الخاصة وإنما يطلب منهم أن يكونوا مسيحيين أوفياء لوعدهم، رجال شرف واستقامة، مهما اختلفت مذاهبهم في ما عدا ذلك. بهذه الطريقة تصبح الماسونية هي المركز والوحدة (لإقامة) صداقة راهنة بين أشخاص كانوا لبثوا، لولا هذا الرباط، بعيدين ومعزولين أبداً بعضهم عن بعض.

المادة 2: في شأن الحكومة المدنية: على الماسوني أنىّ وُجد وأينما عمل، أن يكون خاضعاً للسلطة المدنية. ويجب ألا يشترك في دسائس تنقض السلام والطمأنينة في مملكة ما، وألا يتصدى لأوامر الولاة الأدنين. فنظراً إلى أن الماسونية قد رزحت دائماً تحت عبء الحروب والنزاعات، فالملوك والأمراء في الزمن الغابر قد آثروا الماسونيين من أهل الخبرة بعطفهم وحمايتهم، وذلك بسبب خضوعهم وأمانتهم وما ينتج عنهما من إحباط لدسائس الأعداء وسعاياتهم، وتنويه بأمجاد الأخوة التي مارسوها دائماً ممارسة ممتازة أيام السلم. ومن ثم فكل أخ يتمرد على الدولة يجب ألا يساند في عصيانه، ويمكن بل يجب أن يرثى لشقائه ويُسعى إلى إعادته إلى (طريق) الواجب.

الشرق الأعظم ـ وهو أحد المحافل الفرنسية الكبرى ـ فقد استعاض، سنة 1865، عن البند الأول من دستور أندرسون في شأن الله والدين، بالنص التالي: «هدف الماسونية ـ وهي جوهرها مؤسسة إنسانية وفلسفية وتقدمية ـ البحث عن الحقيقة والعناية بالمسلكية الشاملة والعلوم والفنون، والقيام بالأعمال الخيرية.

«وقد اتخذت لها مبدأ: وجود الله وخلود النفس والتضامن البشري.

«وتعتبر حرّية الضمير حقاً يعود إلى كل إنسان، ولا تصدّ أحداً بسبب معتقداته. شعارها: الحرية والمساواة والأخوة.

سنة 1877، حُذفت الفقرة الثانية من المادة الأولى من دستور أندرسون، المشتملة على إعلان وجود الله. وقد علل المسؤولون في الشرق الأعظم هذا التعديل بأن الماسونية تحترم كل المعتقدات وكل الضمائر، ولا تريد بل ولا يمكنها أن تكون مؤسسة ذات طابع عقائدي محدد.

في إثر هذا التعديل قطع المحفل الأعظم الإنكليزي كل علاقاته بالشرق الأعظم الفرنسي: «إن المحفل الأعظم الإنكليزي يؤكد وقد أكد دائماً أن الاعتقاد بالله هو أولى الدلائل الكبرى لكل ماسونية راهنة خالصة. فإذا انتفى هذا الاعتقاد وسقط إعلانه مبدأ جوهرياً لوجودها، فلا يحق لأي جمعية المطالبة بتراث التقاليد التي جرت عليها الماسونية القديمة الخاصة».

ـ الماسونية القانونية والماسونية الأخرى:

يتضح مما سبق أن ثمة اتجاهين أساسيين في العالم الماسوني المعاصر: الماسونيات القانونية والماسونيات الأخرى.

1 ـ المحافل القانونية العظمى:

المحافل القانونية العظمى هي التي، إلى جانب محافل إنكلترا واسكتلندا وأيرلنده، قررت الحفاظ، بصورة جازمة، على القواعد الأساسية المرعية في الماسونية التقليدية، بشأن الله والدين والسياسة. ففي بيان مشترك أعلنته المحافل العظمى في إنكلترا واسكتلندا وأيرلندا، في آب /أغسطس 1938، نجد تذكيراً بالمبادئ التالية:

«الشرط الأول لقبول عضو في الجمعية الماسونية هو الاعتقاد بالكائن الأسمى. ذلك أساسي ولا مجال فيه للتسوية. ويبقى الكتاب المقدس دائما مفتوحاً في المحافل، باعتباره عند الماسونيين سفر الشريعة المقدسة. ويطلب من كل مرشح «للماسونية» أن يعلن تعهداته على هذا الكتاب أو على أي سفر آخر يمكن أن يضفي ـ حسب إيمانه ـ طابعاً قدسياً على اليمين أو الوعد الذي يبرمه.

«كل من ينضم إلى الماسونية يُحظّر عليه منذ البداية وبصورة جازمة، كل مسعى من شأنه أن يخل بالسلام والنظام في المجتمع. وعليه أن يجهد في الطاعة لقانون الدولة التي يقيم فيها أو التي منحته الحماية. ويجب ألا يتنصّل من الولاء المفروض عليه لرئيس البلاد.

«ومع أن الماسونية الإنكليزية تلقن كلاً من أعضائها فروض الولاء والمدنية، فهي تحفظ لكل فرد حقه في أن تكون له آراؤه الخاصة في الشؤون العامة. ولكن يُحظر عليه ضمن المحفل أو بصفته ماسونياً أن يناقش أو يبدي آراءه الشخصية في المسائل اللاهوتية أو السياسية».

هذا ونجد في كتاب وجهه المحفل الأعظم الإنكليزي الموحد في 18/ 10/ 1950 إلى المحفل الأعظم في الأوروغواي تذكيراً بالمبادئ التالية:

«تسعى الماسونية الحقيقية إلى المحافظة على الإيمان بالله ونشره مساندة للماسونيين في التوفيق بين حياتهم ومسلكهم ومبادئ ديانتهم الخاصة أياً كانت، على أن تكون ديانة توحيدية تفرض الاعتقاد بالله كائناً أسمى، وديانة ذات كتاب مقدس يمكن المريد أن يؤدي عليه قسماً للجمعية.

«هذا الالتزام الماسوني الذي لا يدّعي البتة أنه دين أو أي شيء آخر يقوم مقامه، لا يرضى له أتباعاً إلا من بين الذين يدينون بدين، فيساعدهم في البقاء على ولائهم (لدينهم). والغاية من هذا الانتماء إنشاء محافل تمكّن الماسونيين من العيش معاً في جو من الوحدة تنمو صداقة راهنة عن طريق أخوة مبنية على الأبوة الإلهية، ونجد فيها السعادة في الثقة القائمة على الإخلاص المتبادل، ويُصقل فيها الطباع وتتقوى، وتنمو الكفاءات بحيث يصبح أعضاؤها أكثر أهلية للتأثير في المجتمع تأثيراً خيراً بصفة كونهم مواطنين، وذلك وفقاً لإمكاناتهم الخاصة في جميع المسائل المتعلقة بالشأن العام».

الواقع أن المهمة الرئيسة في تلك المحافل هي إقامة مراسم التأهب للرتب الثلاث: المتدربين والرفاق والمعلمين. وما يقام في تلك الحفلات من شعائر ورموز وحوارات وخطابات وبراعم إعدادية، كل ذلك يهدف إلى مساعدة الفرد في ممارسة الفضائل التي تصوغ النفس الشريفة والمواطن الوفيّ، وفي آن واحد، الرفيق الماسوني الصميم.

2 ـ المحافل التي لم يعترف بقانونيتها:

إلى جانب المحافل العالمية العظمى التي اعترف بها المحفل الأعظم الإنكليزي، وفيها العدد الأكبر من الماسونيين المتمسكين بالمبادئ الماسونية الأساسية، ثمة عدد أقل ـ وإن على جانب من الأهمية ـ من المحافل التي نشأت في هامش الماسونية الرسمية التقليدية.

هناك مثلاً الشرق الأعظم الفرنسي الذي أقدم، سنة 1877، على حذف النصوص الدستورية في شأن الله والدين، وكان في طليعة المطالبين بفصل الكنيسة عن الدولة وعلمنة المؤسسات في الجمهورية الفرنسية الثالثة: من محاكم ومستشفيات ومدارس، وطرد الرهبان والراهبات من المعاهد التربوية وغيرها بصورة اعتباطية وعنيفة، وفي ذلك

ما يعلل استنكار الباباوات لهذا النمط من الماسونية السافرة العداء للكنيسة في فرنسا، والعنيفة في احتجاجها على السلطة البابوية الزمنية في إيطاليا. (هل لنا الاعتقاد أن وراء هذا التصرف كان أبناء الكابالا؟!..)

وقد تبنى الشرق الأعظم الفرنسي، سنة 1921، بالاتفاق مع أمثاله ممن جروا في خطه في بلجيكا ولوكسمبورغ وسويسرا وألمانيا... وهذا التعريف بالماسونية: «الماسونية مؤسسة تقليدية إنسانية وتقدمية، أساسها إقرار المبدأ القائل بأن الناس كلهم أخوة، وهدفها البحث عن الحقيقة، والعناية بالأخلاق والتضامن والعمل بها. وتسعى إلى التطور المادي والمعنوي، وعلى إكمال البشرية الذهني والمجتمعي. وتعتمد مبدأ التسامح واحترام الآخرين والذات وحرية الضمير. ومن واجبها أن تعمم على جميع أبناء البشر، الصلات الأخوية القائمة ما بين الماسونيين على وجه الأرض كلها».

وكانت الجمعية العامة للمشرق الأعظم قد أعلنت سنة 1876:

«الماسونية ليست مؤمنة ولا ملحدة ولا وضعية. فمن حيث هي مؤسسة تقول وتعمل بالتضامن البشري، فهي بعيدة عن كل معتقد وكل إيمان ديني أياً كان. مبدؤها الأوحد الاحترام المطلق لحرية الضمير».

مثل هذه المبادئ في الحرية والتسامح وطريقة تحقيقها في الواقع من سنة 1885 إلى سنة 1924 يعللان تصدي كاثوليك فرنسا وباباوات رومية للمشرق الأعظم الفرنسي. بيد أن المسؤولين عنه اليوم، مع أنهم لم يتبنوا الأصول والقواعد المرعية في المحفل الأعظم الإنكليزي، أصبحوا أكثر انفتاحاً للحوار مع المؤمنين ومن ضمنهم أتباع الكنيسة الكاثوليكية.

ـ **المحفل الأعظم الفرنسي**، وهو غير المشرق الأعظم الفرنسي، وغير المحفل الأعظم الوطني الفرنسي، ويتميز باتباعه المراسيم الاسكتلندية المرتبطة صراحة بالإيمان بالله وبالمعتقدات المسيحية، ويضيف إلى الرتب التقليدية الثلاث، رتباً فرسانية...

بسبب العلاقات التي قامت ولا تزال حتى الآن قائمة، نوعاً ما، بين هذا المحفل الأعظم والمشرق الأعظم، لم يعترف المحفل الأعظم الإنكليزي وحلفاؤه بقانونيته.

ـ **الحق الإنساني**، تأسس سنة 1893 بمسعى السيدة ماريا ديريسم، وميزته أنه يقبل في صفوفه رجالاً ونساء، بينما الماسونية التقليدية محصورة في الرجال. وتجب الإشارة

إلى أن النزعة اللادينية والاحتجاجية التي اشتهرت بها مؤسسة الحق الإنساني لا يشاركها فيها كل المحافل التابعة له اليوم، ولا كل الأعضاء المنتمين إليه ومنهم الوزير مارك روكار وكان من أشد الدعاة إلى التقارب بين الماسونية وروميه.

ـ من الحرم إلى الحوار:

ما هو وما يمكن أن يكون اليوم موقف الكنيسة والكاثوليك من الماسونية؟

لقد دعا المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني إلى الإقرار بالقيم الإنسانية والإلهية المتضمنة في الديانات غير المسيحية كاليهودية والإسلام. وقد وقف إحدى وثائقه لمعضلة حرية الضمير والدين، ودعا إلى تعاون المسيحيين مع جميع الناس من أهل السلامة حتى الملحدين منهم، لبناء عالم أخوي.

والواقع أن الماسونية في جماعاتها القانونية والهامشية تسعى إلى أهداف إنسانية راهنة، وتعلن احترامها لكل فرد بقناعاته ومعتقداته. وقد أوضح الأستاذ الأعظم في المؤتمر الذي عقده المشرق الأعظم سنة 1960، أهداف جماعته بما يلي: «إرهاف الإحساس ـ حتى الغريزة ـ بالأخوة، اكتناه معنى الوطنية في مداه الشامل وهو رسالتنا، أخيراً حماية الإنسان والقيم التي يمثلها مع ما يميزه بصورة جوهرية، الإذعان للعقل وللقيم المعنوية الثابتة وللحرية».

ومع أن الشرق الأعظم قد سعى، في الماضي، وتحت ستار مثل هذه الشعارات، إلى محاربة الكنيسة والكثلكة محاربة عنيفة، بحجة أنهما عقبة التطور البشري الخلقي والروحي، فليس ما يمنع أن يصار اليوم، من كلا الطرفين، إلى إعادة النظر في المواقف السالفة، انطلاقاً من تفهم أعمق للأهداف والنوايا.

ويبدو أن المشرق الأعظم الإيطالي بدأ يتجه في مثل هذا الاتجاه. وقد افتتح هذه المسيرة الكاهن الإيطالي روزاريو إسبورتو، فمن بعد أن كان استعرض، في الطبعات الأولى من كتابه، التهم الموجهة إلى الماسونية في مواقفها المتحيزة والمعادية للكنيسة، أعلن عن تشرّفه بافتتاح الحوار مع المعلم الأعظم غمبيني في جلسة علنية عقدت في سافونا في 15 حزيران/يونيو عام 1969، وذلك بموافقة الفاتيكان والسلطة الروحية المحلية.

وقد نجم عن هذا اللقاء بين كاهن كاثوليكي والمعلم الأعظم لأعظم جماعة ماسونية في إيطاليا، ابتداع نمط جديد في العلاقات بين المؤسستين، واتخاذ قرار بالعدول، من كلا الطرفين، عن المهاترات والملاعنات التي درج عليها الأقدمون، والإقلاع عن إدانة النوايا وتشويه الوقائع بطريقة منهجية. وقد لاحظ الأب كابريلي في مقالة له في إحدى المجلات الإيطالية، أن «حقيقة الوقائع إلى جانب الرصانة في العرض وفي التقييم، هي الشرط الراهن لكل حوار».

وتجدر الإشارة إلى أن الأب كابريلي، وهو أحد المعنيين بالأدب الماسوني، قد لمس فيه منذ العام 1970، تحولاً ظاهراً في طريقة الكلام عن الكنيسة الكاثوليكية. ولا يتردد في إطراء النتائج التي أفضت إليها في هذا المجال، وعقدت لقاءات بين الأب إسبوزتو والسلطات الماسونية في إيطاليا ولقاءات أخرى مماثلة في غيرها من البلدان.

وينتهي الأب كابريلي، في ختام سلسلة مقالاته في «شيفلتا كاتوليكا»، إلى استنتاجات يمكن التعويل عليها بمقدار ما يسوغ الاطمئنان إلى المجلة التي أدرجت تلك المقالات. فهو يبتهج أولاً من تعاظم الرغبة في حوار صادق ومخلص مبني ليس على موادعة وهمية واهية، بل على وقائع لا يمكن التشكيك فيها». وفي شأن الماسونية، لا يرى أن ثمة بعد عقبات قاهرة لافتتاح حوار مثمر والاستمرار فيه، والعمل حيث تسمح الظروف على إقامة تعاون خيّر في المجالات المتفق على أهدافها، كأعمال النجدة الإنسانية والأخوة والسلام العالمي والتضامن الدولي... وتيسيراً لهذا الحوار وتمهيداً للسبل المؤدية إلى مزيد من التفاهم بين الطرفين، يتمنى الأب كابريلي إقامة بحوث تاريخية تتميز بالرصانة والدقة العلمية «بمعزل عن كل غرض تهجمي أو دفاعي».

ـ المواقف السابقة:

كيف تستطيع الكنيسة اليوم أن تنظر أو تعيد النظر في مواقفها السابقة وفي بعضها تأثيم صريح للماسونية؟

إن المواقف التي اتخذتها الكنيسة من الماسونية في القرن الثامن عشر، يجب وضعها في قرائن تلك الحقبة، كما كشف عنها خوسي أز فرّير بنملّي في دراسة تاريخية وافية.

فالوثيقة In Eminenti التي أصدرها البابا أكليمنضس الثاني عشر في 28 نيسان/أبريل عام 1738، استهدفت خصوصاً المحفل الماسوني في فلورنسا وكان يؤمه عدد من الإنكليز غير الكاثوليك. وكان البابا أكليمنضس قد طعن في السن وتحكم فيه المرض والعمى وسيطر عليه ابن أخته الفلورنتيني نيري كورسيني. Neri Corsini كل هذا، إلى جانب الأخبار المختلقة والمعلومات المشوهة التي استند إليها مجمع التفتيش في حكمه على المحفل الفلورنتيني، يهيب بالمؤرخ إلى التحفظ في تقييم أهمية الوثيقة الرومانية.

أما الوثيقة Providus التي أصدرها البابا بندكتوس الرابع عشر في 18 أيار/مايو عام 1751، فقد استهدفت خصوصاً المحفل الماسوني في نابولي وكان يؤمه عدد من الغرباء عن المدينة وعن الكثلكة. وكان يسود ذهنية الكاثوليك آنذاك التخوف من كل اجتماع سرّي، والتنكر لكل لقاء ينضم فيه إلى الكاثوليك عناصر غريبة، أنكليكانية أو بروتستانتية أو حتى يهودية.

هذا مع العلم أن محافل أيرلندا، في تلك الحقبة، كانت تعمل على إيواء وحماية الكهنة الكاثوليك الملاحقين في المملكة البريطانية، يحدوها في ذلك روح من التسامح المبني على احترام المعتقد عند كل إنسان. وأما في روما فلم يكن من الشائع آنذاك الاعتقاد بوجود مسلكية ناصعة وفضائل راهنة، خارج حدود الطاعة التامة للكنيسة الرومانية والتقيّد المطلق بشرائعها. من هنا التهمة الموجهة إلى الماسونية باللامبالاة الدينية والنزعة الإلحادية، يدعمها التخوف من تلك السرية المفروضة في دستورها، وما يمكن أن ينجم عنها من تصرفات مريبة.

ولقد اتضح من الوثائق القضائية في محكمة التفتيش لذلك العهد، والتي انكبّ على درسها خوسي أز فرّير بنملّي، أن الماسونيين المدعى عليهم أجمعوا على الجهر دائما بأن محافلهم «لم ينطق فيها ولم يُعمل بما يناقض الإيمان الكاثوليكي والأخلاق الحسنة»، وأن قسمهم المشهور يتصدى «لكل ما يمكن أن ينال من الإيمان والأخلاق الحميدة. وأن ذلك لا يقع تحت السر».

ونظراً إلى أن البرلمانات الفرنسية في باريس وفي المقاطعات لم تسجل الوثيقتين الصادرتين عن الكرسي الرسولي، لم يلتزم بهما كاثوليك فرنسا وظل البعض من صلاّح الكهنة يترددون إلى المحافل الماسونية ويقيمون معها علاقات طيبة.

في القرن التاسع عشر، وفي أعقاب الثورة الفرنسية، تكونت جماعات هامشية كثيرة تحت ستار السرية الماسونية، للتآمر على العرش الملكي أو الإمبراطوري. إلا أن معظم المحافل الماسونية بقيت، بالاتفاق مع السلطات الحاكمة مجرد أندية للقاءات الأخوية والإنسانية. ولكن مشاعر التصدي للثورة والتريّب من المذاهب التحررية، وما بدا من تواطؤ بعض المحافل الماسونية مع المعترضين على مبدأ السلطة البابوية الزمنية، كل ذلك أهاب بالبابا غوريغوريوس السادس عشر وبيوس التاسع ولاوون الثالث عشر إلى تبني المواقف المتضمنة في وثيقتي أكليمنضس الثاني عشر وبندكتس الرابع عشر. جميع هذه الوثائق الحبرية تنتهي إلى إنزال الحرم «باللذين يسجلون أسماءهم في شيعة ماسونية... أو شيع أخرى مماثلة تقوم بالتآمر على الكنيسة أو على السلطات المدنية الشرعية، بطريقة مكشوفة أو مستترة».

ـ الحق القانوني:

في رسالته العامة Gumanum Genus، الصادرة في 20 نيسان/أبريل 1884، أثبت البابا لاوون الثالث عشر بعض التوجيهات في شأن التعامل مع الماسونية. وأعلن المجمع المقدس في 15 أيار/مايو عام 1884، تفسيراً رسمياً لمضمون تلك التوجيهات وكيفية تطبيقهما العملي:

«إن ما هو ثابت قبل كل شيء هو أن الحرم... يستهدف الشيع الماسونية التي تتآمر على الكنيسة وعلى السلطات المدنية الشرعية، سواء في السر فعلت ذلك أم في العلن، وسواء أفرضت على أتباعها القسم بحفظ السر أم لم تفرض».

هذا النص يحدد مرمى البند 2235 من دستور الحق القانوني الذي أعلنه البابا بندكتوس الخامس عشر سنة 1917، والذي لا يزال سارياً حتى اليوم:

«الذين يسجلون أسماءهم في شيعة ماسونية أو جماعات أخرى مماثلة تتآمر على الكنيسة أو على السلطات المدنية الشرعية، يستوجبون، بالفعل نفسه، الحرم المحفوظ للكرسي الرسولي».

إلا أن الحق القانوني نفسه يوضح أن «العقاب المقرر في القانون لا يستوجب إلا إذا تحقق تعييناً بموجب النص الحرفي للقانون» (بند 2228) ومعلوم أن كل ما له علاقة بالعقوبات والتأديبات يجب أن يُفسر بوجه حصري، وبالتالي يسوغ الاستنتاج

شرعاً أن الحرم المنصوص عليه في البند 2235 لا ينطبق إلا على الذين ينضمون إلى شيع ماسونية وغيرها تقوم بالتآمر على الكنيسة وعلى السلطات المدنية الشرعية». وبما أن بعض المحافل العظمى، كالمحفل الأعظم الإنكليزي أو المحفل الأعظم الوطني الفرنسي، تحرّم على أتباعها، بصورة جازمة واستناداً إلى قوانينها، «ما يمكن اعتباره دسيسة على الكنيسة أو على السلطات المدنية الشرعية»، فمن الواضح أم مثل هذه المحافل لا تقع تحت طائلة الحرم.

ـ موقف مجمع الإيمان:

هذا ما أكده الكردينال سيبر Seper، رئيس مجمع عقيدة الإيمان، في كتاب وجهه إلى الكردينال كرول، رئيس مجلس الأساقفة في الولايات المتحدة، في 19 أيلول/سبتمبر عام 1974:

«أساقفة كثيرون استفسروا هذا المجمع عن إلزامية ومعنى البند 2235 من شرعة الحق القانوني الذي يمنح الكاثوليك، تحت الحرم، الانضمام إلى الماسونية أو غيرها من الجماعات المماثلة. وقد استشار الكرسي الرسولي مراراً، أثناء بحثه الطويل في هذه المسألة، المجالس الأسقفية المعنية بطريقة خاصة بهذه المعضلة، لكي يحيط بوجه أفضل بطبيعة تلك الجماعات ونشاطهم، ويقف على رأي الأساقفة فيها».

«ومع ذلك فإن التضارب الكبير بين الأجوبة، الذي يعكس تباين الأوضاع في كل بلد، لم يمكن الكرسي الرسولي من تبديل التشريع العام المرعي حتى الآن. هذا التشريع يبقى إذن سارياً إلى أن تقوم اللجنة البابوية المختصة، بنشر الحق القانوني الجديد».

«في شأن الحالات الخاصة ينبغي التذكير بأن القانون التأديبي يجب أن يُفسّر دائماً بوجه حصري. ومن ثم فبالإمكان أن يُعلّم بصورة مضمونة، وأن يطبّق رأي القائلين بأن البند 2235 يستهدف فقط الكاثوليك الذين ينضمون إلى جماعات تناهض حقيقة الكنيسة».

«ويبقى دائماً وفي كل الأحوال محظوراً على الإكليروس والرهبان وأعضاء المؤسسات العلمانية أن ينضموا إلى جماعات ماسونية أيّاً كانت». هذا وقد أوضح أساقفة إنكلترا في جلسة عامة (من 11 إلى 14 تشرين الثاني/نوفمبر

عام 1974)، وضمن نطاق صلاحياتهم، رأيهم في بيان مجمع عقيدة الإيمان:

«أساقفة إنكلترا ومنطقة غالس أخذوا علماً بهذه التوجيهات، وبودهم أن يوضحوا الموقف الذي يجب اتخاذه في بلادهم، ريثما تجدد صيغة القانون الكنسي العام».

«يجب على الكاثوليكي أن يعتبر نفسه، قبل كل شيء، عضواً في الكنيسة الكاثوليكية، ويستوحي وجهة حياته من الكنيسة ومن جماعته المسيحية. ولكن إذا رأى، مخلصاً، أن انتماءه إلى الماسونية لا يناقض هذا الولاء الأعمق، فيمكنه الاتصال بمطرانه بواسطة كاهن رعيته، لمناقشة قرائن هذا الانتماء. ويجب طبعاً اعتبار الظروف المحلية. وأما الكاثوليكي الذي انفصل في الماضي عن الكنيسة ليصبح ماسونياً، فعليه أن يلتمس المصالحة معها».

ويختم متروبوليت بيروت لطائفة الروم الكاثوليك دراسته بالقول: إنه «ليست مهمة الكنيسة أن تحكم في قانونية المحافل الماسونية، وإنما يعود إليها أن ترى هل تستأهل اليوم كل المذاهب الماسونية الإدانات الكنسية السابقة؟».

الفصل الخامس

ـ مواضيع الفصل:

* الماسونية في كتاب جرجي زيدان
* الماسونية في كتاب الأب اليسوعي لويس شيخو
* الماسونية الحديثة

الماسونية
في كتاب جرجي زيدان[1]

في منشأ الماسونية، يقول:

للمؤرخين في منشأ هذه الجمعية أقوال متضاربة. فمن قائل بحداثتها فهي على قوله لم تدرك ما وراء القرن الثامن عشر بعد الميلاد، ومنهم من سار بها إلى ما وراء ذلك فقال إنها نشأت من جمعية الصليب الوردي التي تأسست عام 1616 ب. م.، ومنهم من أوصلها إلى الحروب الصليبية، آخرون تتبعوها إلى أيام اليونان في الجيل الثامن قبل الميلاد، ومنهم من قال إنها نشأت في هيكل سليمان. وفئة تقول أن منشأ هذه الجمعية أقدم من ذلك بكثير فأوصلوها إلى الكهانة المصرية والهندية وغيرها. وبالغ آخرون في أن مؤسسها هو آدم، والأبلغ من ذلك قول بعضهم إن الله سبحانه وتعالى أسسها في جنة عدن، وإن الجنة كانت أول محفل ماسوني وميخائيل رئيس الملائكة كان أول أستاذ أعظم فيه إلى غير ذلك من الأقوال المبنية على مجرد وهم. والسبب في تفاوت هذه الأقوال وتضاربها طموس التاريخ الماسوني قبل القرون المتأخرة. ولأن الماسونية جمعية سرية ونظراً لما كانت تتعرض له من اضطهادات في الأجيال المظلمة، كانت تبالغ في إخفاء أوراقها بحيث أصبح من العسير العثور عليها بعد الاضطهاد. لكنهم نهضوا مؤخراً إلى جمع تاريخ هذه الجمعية فعثروا على أوراق قديمة العهد أمكنهم الاستدلال منها ومن غيرها ومع ما هو محفوظ في أعمالها الحاضرة من التقاليد أن يتوصلوا على سبل مختلفة إلى إتمامه. على أنهم مع ذلك لا يزالون في تضارب من حيث منشأها.

---

(1) جرجي زيدان. تاريخ الماسونية ـ مند نشأتها وإلى اليوم.

ويضع المفكر والكاتب جرجي زيدان شرحاً مسهباً عن بدء وجود الإنسان على الأرض وتعرضه لعوامل الطبيعية ومحاولاته لمعرفة كنهها ومصدرها وتعليلاً لها واهتدائه أخيراً إلى وجود منظّم لكل شيء. ومع تقدم وتطور الحياة الإنسانية إلى مجتمعات وارتقاء الإنسان في مدارك التفكير والفهم بدأت بالظهور، في هذه المجتمعات، جماعات عالمة تمكنت من استغلال فكرها في السيطرة على باقي أفراد تلك المجتمعات. وهؤلاء العارفون «لنسمهم علماء تلك العصور» شكلوا أنواعاً من الخاصية (جمعيات أو مجمعات) لا يستسيغوا دخول أو ضم العامة إليها إلا بعد اختبارات عدة تؤهلهم. وهكذا ظهرت بقوة أول جماعات منظمة أو استطاعت تنظيم ذاتها وتحتفظ بعلمها ومعارفها في نطاق من السرية. هذه الجماعات أطلق عليها أسماء متعددة منها الكهانة والعرافين والمنجمين وأمسوا مع الزمن فئة مرعبة ومرهوبة تحتجب تحت شعار وحيد هو السرية ويقف عند حدودها كل متطاول على أسرارها.

من هنا نرى بأن جرجي زيدان قد صرف سنوات طويلة في البحث والتنقيب في أسرار هذه المنظمة حتى تمكن من معرفة الكثير من تاريخها أو على الأقل ما افترضه أقرب إلى المعقول في تاريخها ليسجله لنا مورداً هاماً في هذا التاريخ. ويجول بنا السيد زيدان في أسرار وقوانين بضعة جمعيات وأساليب إدخال الأعضاء وانتسابهم إليها نختصر منها ما يلي: «نجد ما يشابهها أو مثيلاً لها وتحت غير عنوان وفي غير فصل من هذا الكتاب، لكننا ندرجها للتمييز بين تفسير كتّاب الغرب وبينه».

1 ـ الكهانة المصرية:

إن مصر قبل دخول تعاليم إيزيس وأوزيريس إليها كانت من الهمجية والتوحش على غاية، أما بعدها فساد فيها النظام وازدهرت بالعلم والفضيلة وارتقت في الدين والشرائع. ولا يخفى أن عهد هذين الإلهين وراء التاريخ المصري القديم.

ويستفاد من المصادر التاريخية القديمة أنه كان في مصر عند إبان تمدنها جمعية سرية تدعى «جمعية إيزيس السرية» وكانت ذائعة الصيت في سائر أنحاء العالم ويقصدها الطالبون ولا يقبل فيها إلا من عُلِم عنه، بعد التحري والشهادات الحسنة، لنوال الأسرار الثمينة. وعند القبول كانوا يسومونه مشقات عظيمة تختلف بين تخويف وتهديد ويمرون به على امتحانات وبعدها يلقن الأسرار المقدسة وتتلى عليه العلوم والمعارف

ويحسب بعد ذلك في عداد سعاة الكمال ثم يرقى في سلك تلك الجمعية وبموجب دستورها.

2 ـ مجمع الألوسينيا:

أنشأه أرفيوس التراسي (بلغاريا اليوم) وكان تُلقي علومها في جمعية إيزيس السرية المصرية. يقول أنه المؤسس الأول للتمدن اليوناني. بعد وفاته قام تلامذته ببناء مجمعاً لهم في إلوسيس من أعمال اليونان دعوه «مجمع إليوسنا»، اشتهر بالعلم والصناعة والفلسفة على أنواعها. كانت تلقن فيه العلوم سراً ولم يكن يقبل في سلكه إلا المنتخبون واللائقون. وعلى المقبول أن يمر في مراحل ثلاث من التجارب والامتحانات وإذا أفلح في اجتيازها يلقن الأسرار المقدسة.

3 ـ مجمع الكبراء:

يظهر أن منشأ هذا المجمع قديم العهد جداً، وتعاليمه كانت منتشرة في سائر المدن القديمة كفينيقية والهند ومصر وسوريا واليونان وغيرها حتى قيل أنها أصل جميع تعاليم المجامع السرية القديمة في العالم ولا يجتمعون إلا ليلاً. فالذي يقرون على إدخاله بينهم كانوا يمتحنونه امتحانات قاسية للغاية. وعلى الطالب، إذا ما قبل، أن يغتسل بالماء والدم ثم يقدم ثوراً أو كبشاً ضحية قبل التقدم إلى الامتحانات المرعبة وبعدها يلقن التعاليم السرية ثم يُعمّد بالماء كما يفعل المسيحيون ويعطى اسماً جديداً منقوشاً مع علامة أخرى رمزية على حجر أبيض صغير يحتفظ به الطالب كطلسم مقدس وينقله معه إلى حيث توجه إشارة إلى كونه عضواً في المجمع فيعرفه سائر الأعضاء في سائر الأنحاء ويعاملونه معاملة أخ.

وقد كانت تعاليم هذا المجمع معروفة ولا ريب أن حيرام ملك صور كان أحد كبار كهنتها. وقد كانت هذه التعاليم معروفة أيضاً في أيام السيد المسيح في اليهودية. ولذلك نرى في رؤيا يوحنا اللاهوتي الإصحاح الثاني عدد 17 ما يشير إلى شيء من ذلك حيث يقول: «من به أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس، من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن الخفي وأهبه حصاة بيضاء منقوش عليها اسم جديد لا يعرفه أحد غير الذي أخذه».

وكانت تُعرف هذه الجمعية في ذلك العهد باسم طائفة الأسينيين وقد ذكرها

يوسيفوس مطولاً وذكر كثيراً من تعاليمها ومبادئها. ولا نعلم ما الداعي لإغفال السيد المسيح ذكرها مطلقاً مع أنه تكلم كثيراً عن طائفتي الصديقيين والفريسيين المعاصرتين. (ويشرح زيدان تفاصيل وافية عن حياة هذه الجمعية إلى أن ينهي): «وكانوا معروفين بالأمانة ويعتبرون القسَم شراً من الجريمة لاعتقادهم أن من لا يركن لقوله بغير قسَم يستوجب القصاص.

ويمضي زيدان قدماً فيتناول تعاليم فيثاغورس ليشير إلى أن المذكور اقتبس علومه من جمعية إيزيس السرية ومن سحرة وعلماء الكلدان ومن مجمع الكبراء في فينيقية.

نتوقف قليلاً أمام كلمة فينيقية لنقول أن مجمع الكبراء هذا كان بالفعل ذا منشأ فينيقي وأن تواجد أعضاء منه في منطقه اليهودية ليس سوى امتداد لتواجده في جبال وبراري فينيقية التي كانت اليهودية من ضمن حدودها. وهذا ما يؤكد استقاء جمعية الهيكليين الأصلية مبادئها وأساليبها من مجمع الكبراء المذكور الذي لا بد أنه كان يرأس الجماعة، جماعة التوحيد التي كانت تعتصم في جبال فينيقية بالذات والتي نجد الكثير من الإشارات إليها في عدد لا يحصى من المراجع التي تعتمدها تلك الجمعيات ومنها الماسونية بالذات.

ثم يسوق زيدان أحاديثه فيتناول الجمعيات السرية في اسكندنافيا التي بدأت تعاليمها في الظهور نحو سنة 50 ق. م. وكذلك جماعة الهرمنداد في إسبانيا التي تأسست سنة 1295 وانتشرت في سائر أنحاء العالم معتمدة السرية، سرية الانتساب وسرية العمل.

ثم يصل السيد زيدان في نهاية مطافه إلى الديانة المسيحية ونشأتها في نطاق من السرية وينقل أساليب التفريق بين الموعوظين والمؤمنين الذين لهم وحدهم الحق في تلاوة الصلاة الربانية، إلى أن يرقي المؤمنين إلى درجة المشيرين الذين لهم الحق استطلاع أسرار الديانة المسيحية. ومن هذه المرتبة، كما يقول، يرتقي المسيحي إلى مرتبة «الكاملين» وهم الذين لهم حق المشاركة في الاشتراك في العشاء الرباني.

ثم يخلص السيد زيدان إلى القول: إنه كان للمسيحيين من الشؤون ما يستدل على أن الديانة المسيحية كانت تنشر تعاليمها في بادئ الأمر على مثال الجمعيات السرية ومنها:

ـ أن تعاليمها كانت تبلغ سراً بعد إخراج «الموعوظين».

ـ كانت تستعمل في احتفالاتها ملابس بيضاء لا سيما عند العماد.

3 ـ كانت لها علامات سرية مخصوصة. منها الاسم الجديد الذي يعطونه للمعتمد حديثاً منقوشاً مع علامة أخرى رمزية على حجر أبيض كما كان يفعل الأسينيون. وأشهر علامة استعملها المسيحيون إشارة الصليب، وقد أكثروا من استعمالها حتى أدخلوها في كل أحوالهم.

4 ـ أنه كان بين المسيحيين روابط شديدة تربطهم بعضهم ببعضهم الآخر بكل ممكن. وقوانين تقضي بينهم إلى حد يفوق التصديق.

5 ـ أن غايتها رفع منار الفضيلة وترقية شأن الهيئة الاجتماعية. وبالحق إنها قد بلغت في ما أرادت شأواً عظيماً.

وينتهي زيدان إلى هذه النتيجة: «فقد تبين أن الطريقة المثلى لنشر العلم والفضيلة إنما هي الجمعيات السرية المنظمة على مثلما تقدم. وإذا ما تأملت بما مرّ ذكره من الجمعيات وكيفية نشوئها وتشابه تعاليمها ومبادئها وأساليب التعليم فيها، مع علمك بإغفالنا كثيراً من أمثالها، يترجح لديك القول بوحدة أصلها أو بتفرعها بعضها من بعض».

«فالماسونية إذا لم تكن أحد تلك الفروع فهي لا شك في أول نشأتها منسوجة على منوالها. لأن الذين سعوا إلى تأسيسها واهتموا في نشر تعاليمها لا يخلو أن يكونوا على بيّنة من تلك التعاليم أو خلواً منها. ولا يتأتى لمن كانوا على الفرض الثاني أن يقدموا على مثل هذا العمل».

«فالماسونية إذن من فئة العلماء. وهم لا يقدمون على ما تقدم إلا وهم على شيء من أمر الجمعيات السرية وقوانينها وأساليب تعليمها لكي يتهيأ لهم تنظيم مثل هذه الجمعية فلا يخلو أن يكون هؤلاء أعضاء جمعية أو جمعيات سرية وُجدت في العصر الذي تأسست فيه تلك الجمعية أو قبله. فالماسونية قد نُسجت على منوال الجمعيات السرية القديمة، هذا إذا لم نقل أنها فرع من فروعها أو استمرار إحداها».

وفي النهاية لم نجد في جميع المبادئ التي تعلمها الماسونية سوى احتلالاً لمبادئ باقي الأديان واقتباساً لها ومن ثم تقديمها إلى العوام باسم الديانة اليهودية.

الماسونية
في كتاب الأب لويس شيخو[1]

نأتي الآن إلى أحد أهم الكتب التي تناولت مؤسسة الماسونية وإن بنوع من السخرية والازدراء، إلا أنه فنّد الكثير من المزاعم والخرافات والأساطير التي تداولها الخاصة والعامة في أيامه وهي ليست بعيدة. إنه كتاب ذو عنوان مشوّق تماماً، وقيل عنه بأنه «أخطر كتاب في العالم» وهو من وضع الراهب اليسوعي الأب لويس شيخو وقد تم طبعه ونشره في بداية القرن العشرين. من هذا الكتاب نقتبس بعض ما أورده الأب شيخو من أقوال وبيانات تاريخية مع تعليقات خاصة به.

عن المؤلف والكاتب الماسوني الشهير شاهين مكاريوس وفي الصفحة 1 من كتابه «الآداب الماسونية» قال:

«الماسونية أكبر الجمعيات وأغناها ولعلها أقدمها أيضاً. وقد ذهب قوم في قدميتها مذاهب شتى، فبعضهم قال إنها أنشئت في هيكل سليمان، وبعضهم ردها إلى الكهنة المصريين، وآخرون إلى كهنة الهند، ويزعم غيرهم أن مؤسسها الحقيقي لا يزال مجهولاً»... إلى أن يقول في الصفحة 3: «والماسونية التي نحن بصددها مضى عليها في عالمنا هذا أجيال عديدة قطعت في غضونها مفاوز الحياة وفلواتها وجبالها وسهولها وبحورها حتى صارت إلى ما هي عليه في يومنا هذا»... وبعد ذكر الجمعيات السرية العملية والرمزية أردف في الصفحة 4: «ويغلب الظن أن منشأ هذه الجمعية كان في رومية سنة 175 ق. م».

---

(1) الأب لويس شيخو، «السر المصون في شيعة الفرمسون»، الكراس الأول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، سنة 1910.

ونقلاً عن كتاب «الخلاصة الماسونية» من تأليف إيليا الحاج يسجل نبذة تاريخية هكذا:

«قال بعضهم إن مبدأ الماسونية منذ القدم يوم كوّن المهندس السماوات والأرض وخُلق آدم وهو أبو الماسون، واعياً في صدره العلوم والفنون، بارعاً في علم الهندسة. . . وانتقلت هذه الصناعة إلى مصر بواسطة مصرائيم أحد أبناء حام وكان ذلك بعد تبلبل الألسن عند بناء برج بابل بست سنوات». . . وقال أحد الكتاب: «إن الماسون قوم من البيتاكوراسيين، وهكذا ألفوا جمعية وصلت إلى ما هي عليه من العظمة وعلو الشأن». وقال آخر «إن الماسون جماعة من اليسوعيين الإنكليز نشأوا في بريطانيا».

ويضيف في الصفحة 5: «وكان اليسوعيون بعد ظهورهم إلى عالم الوجود يميلون إلى أبناء الحرية لمهارتهم في الصنائع بغية بناء كنائسهم ومعابدهم وصوامعهم غاية في الإبداع وجل مقاصدهم أن يلاشوا عن وجه الأرض كما كان يفعل الملك فرعون ببني إسرائيل أيام كانوا يعملون بالآجر». . . !!!

ويكمل: «ثم جرى في هذا الميدان الفسيح، تارة يجعل الماسون من بناة هيكل سليمان وتارة يجعلهم من نخبة صنعة الهند ومصر والعجم واليونان»، إلى أن بلغ قوله في الصفحة 11: «ويقول الماسون في إنكلترا إن القديس ألبان أنشأ الماسونية في بريطانية العظمى عام 926 وأخذوا براءة من الملك تسوّغ لهم إجراء أعمالهم واجتماعاتهم السرية في مدينة يورك حيث أنشئ المحفل الأعظم لإنكلترا».

ويستدرك الأب شيخو فيقول:

فإن كانت الشيعة الماسونية كاذبة في تعريف أصلها وكانت أقوالها متضاربة في بيان تاريخها، تُرى ما هو تاريخها الصحيح وهل يُعرف منشؤها؟

ومن ثم يدرج الأب شيخو اليسوعي بعض التفاصيل عن الشيع والجماعات التي اعتمدت الأنظمة السرية لمناهضة المسيحية وغيرها من الأديان، ويوثقها من كتب ومصادر ماسونية، من هذه شيع الكثاريين والالبيجيين وهم من بقايا المانيويين الذين عاثوا فساداً في البلغار والبشناق وفي إيطاليا وجنوب فرنسا، كما يربط بينهم وبين الهيكليين (فرسان الهيكل). وأخيراً علاقتهم باليهود وبخاصة شيعة القباليين التي انتشرت في القرون الوسطى ومزجت بين التعاليم الفلسفية والأقوال السفسطية والأضاليل السحرية وما لها من علاقة منيت بشيع الالبيجيين.

الماسونية الحديثة

نتطرق هنا إلى الطرق الماسونية الحديثة والأكثر انتشاراً في عالم اليوم، لنستشف بعض تاريخها، وندخل درجاتها ورموزها وأسرارها، ونحاول ما أمكن وضع المضطلع في إطار نظرتنا تاركين له، في آن، القرار النهائي في صوابية ما نسوقه إليه أو عدمه.

ـ أنواع الماسونية:

تنقسم الماسونية الحديثة المعمول بها حالياً... إلى أقسام رئيسة هي:

1 ـ **الماسونية الزرقاء**: وتتألف من ثلاث درجات: المبتدئ، والرفيق، والأستاذ.

2 ـ **الماسونية الحمراء**: وتسمى درجات العقد الملوكي، وتتألف من ثلاث درجات: معلم الرمز أو العلامة، أستاذ ممتاز، والعقد الملوكي.

3 ـ **المجلس السري**: وتعتبر درجاتها الثلاث مكملة لدرجات العقد الملوكي وهي: أستاذ ملكي، أستاذ مختار، وأستاذ أكثر امتياز.

4 ـ **أمراء الصليب الوردي**: وهو النظام القديم المقبول، ويتكون هذا النظام من درجات عدة، أما الدرجات الرئيسية الممارسة فهي الدرجة 18 أو درجة الكمال. والدرجات العليا هي 30، 31، 32، 33.

5 ـ **طغمة فرسان الهيكل**.

6 ـ **طغمة فرسان مالطا**: والطغمتان مندمجتان الآن في نظام واحد يطغى عليهما تسمية فرسان الهيكل.

7 ـ **نظام المراتب السري**: ويتألف من درجات التجنيد، أمير النظام.

وهناك بالطبع عدد آخر ومتنوع من الطرق والأنظمة التي تتفرع من تلك الرئيسية سنأتي على ذكرها في سياق البحث.

ـ الماسونية الزرقاء:

يُعتبر اللون الأزرق لوناً مميزاً للماسونية الأم في درجاتها الرئيسية الثلاث الأولى وهو لون الصداقة الكونية أو صداقة الإنسان لأخيه الإنسان أينما كان تحت القبة الزرقاء التي تغلّف الكون بأسره. هي الماسونية الأم التي، إذا ما جرّدناها من القشور المتراكمة عليها منذ انخراط أصحاب الأغراض والغايات فيها، نراها خلاصة البنائية الأصلية التي أنشأها بناة الحضارة الأصليون في بلاد الشرق ومارسوا بشارة علومهم وفلسفتهم من خلالها.

هي الماسونية التي، في يومنا هذا، إن لم يدخلها المرء ويكرّس فيها، لن يكون بإمكانه الانتساب إلى أية فرقة أو طغمة تليها، وبالتالي فإنها تعتبر الأساس لكافة الفروع الماسونية حيث نجدها، بأساطيرها وأقاصيصها وبكل ما ورد فيها من رموز واصطلاحات وإشارات تاريخية، حقيقية أو وهمية، تمثل المرجعية الكبرى لباقي الفرق أو الأنظمة المعروفة والمعمول بها في العالم.

وللماسونية الزرقاء ثلاث درجات:

الأولى: المبتدئ أو الذي يتم تحضيره واختبار قراره في الانتساب ويجري تكريسه بحسب النظام المعمول به في المحفل الذي سوف ينتمي إليه. لا تختلف عملية التكريس في محافل بلد ما من غيره إنما قد تتبدل بعض الترتيبات المتخذة للتكريس بين بلدٍ وآخر.

الثانية: الرفيق أو الذي يحصِّلها من أثبت، بعد فترة التجربة والاختبار، جدارته في التقدم والترقي. هي في واقع الأمر لقب يُطلق على كل ماسوني نظامي في إشارة إلى انتمائه إلى المنظمة، وتشمل في الغالب جميع الماسون بمختلف درجاتهم والأنظمة المتعددة التي ينخرطون فيها. المعنى: إن أي منتسب لأية طغمة ماسونية أو نظاماً يحمل بصورة تلقائية لقب الرفيق كدلالة على انتمائه إلى الماسونية. وعملية الارتقاء من درجة المبتدئ إلى درجة الرفيق تتبع نظاماً احتفالياً خاصاً بها أوردناه في مكان سابق من كتابنا.

الثالثة: الأستاذ الماسوني، هي الدرجة الرئيس في الماسونية الزرقاء التي من يترقى إليها يعتبر ماسونياً كاملاً. ودون حصوله على هذه الدرجة، لا يسوَّغ للماسوني

الدخول في أية فرقة أو طغمة تالية. كذلك فإن لهذه الدرجة احتفالاً خاصاً بها يتميّز بوصول الماسوني إلى أسرار الماسونية الأصلية ويدخل في عمق التراجيديا الأسطورية التي حيكت حول مؤسسي الماسونية... وانطلاقاً من هذه الدرجة وأسرارها يدخل الماسوني في متاهات لا تنتهي بتفسير، ويمسي عليه التفكير في الدخول في غير فرقة شوقاً للحصول على التفسير الذي قد يقنعه!

وقبل المباشرة في احتفالات الدخول والتكريس في أيٍّ من الدرجات هناك تحضيرات خاصة بالمرشح للدخول أو للتكريس يتوجب الحفاظ على سريتها وتفاصيلها. ويتم تحضير المرشح المزمع دخوله في الدرجة الأولى بطريقة تختلف عن تلك التي تخص مرشح التكريس في الدرجة الثانية أو الثالثة. كما أن تحضير قاعة الاحتفال وترتيب ما يستعمل فيها من رموز وأدوات خاصة بالدرجة الأولى تختلف بعض الشيء عن تلك التي تختص بالدرجة الثانية أو الثالثة؟ إذ لا يجب أن يرى المبتدئ سوى الرموز الخاصة بدرجته وحدها وذلك تسهيلاً له وتبسيطاً لاستيعابه للأمور وما يتم شرحه له من معاني وتوضيحات. وكذلك الأمر بالنسبة للمبتدئ الذي سوف يُرفع إلى الدرجة الثانية أو الثالثة. فصاحب هذه الدرجة أو تلك، وبعد مروره في الدرجة أو الدرجات السابقة، أصبح الآن أكثر قدرة على استيعاب ما سوف يتم شرحه له. على أية حال فإن الاختلاف في الترتيبات المتخذة لن يكون من السهل التمييز بين أكثرها، لاسيما في الدرجة الثالثة، إلا بعد مضي وقت طويل، إذ لن يتبرع أحد إلى شرح مصادرها وأسباب وجودها إلا عند سؤاله عنها.

هذه الترتيبات والتحضيرات التي ذكرناها، إن بما يتعلق بالمرشح أو بالاحتفال الذي سوف يُجرى له، لا تختلف تفاصيلها كثيراً بين محفل وآخر، نظام وآخر أو بلد وآخر...

إن النصاب القانوني لانعقاد جلسات أي محفل يتطلب وجوب حضور الإخوان الذين تم اختيارهم أو تعيينهم لتولي مسؤولية المكاتب المختلفة التي تمثل بمجملها الهيئة الإدارية للمحفل. وتوضع لائحة بأسماء مسؤولي هذه المكاتب... وهم مجتمعون، وسوف يكون لكل منهم دور يؤديه في افتتاح المحفل وبالطبع يشاركون في احتفالات الدرجات.

ـ مسؤولون رئيسيون:

ـ الرئيس.

ـ المنبّه الأول.

ـ المنبّه الثاني.

ـ مسؤولون مساعدون:

ـ المرشد الأول.

ـ المرشد الثاني.

ـ الحارس الداخلي.

ـ مدير الاحتفالات.

ـ أمين السر.

ـ أمين الصندوق.

ـ الواعظ.

ـ الحارس الخارجي.

ـ المعيد.

مهام هؤلاء متنوعة في أهميتها. منها أدوار احتفالية صرفة ومنها إدارية وغيرها توضيحية وإرشادية على علاقة بإدارة المحفل أو المحتفل به، تكريساً أم تدريساً. وسوف يرى المضطلع أنها تنظيماً متكاملاً لمشاركة أكبر عدد ممكن من الحضور في إدارة الجلسات العامة للمحفل أو احتفالات تكريس المرشح، وما يجدر ذكره أن هذه اللائحة من أسماء الإداريين قد تختلف بعض تسمياتها بين درجة وأخرى لكنها في المجمل تبقى شؤون محض إدارية لا تمس الأساس.

أما أدوات العمل المستعملة رمزياً في الدرجة الثالثة فهي وإن اختلفت قليلاً عن سابقاتها إلا أنها على علاقة مباشرة بأسطورة الدرجة وتنحى منحى روحانياً معنوياً في مسلك الماسوني الجديد باتجاه الإنسان والخالق. كذلك لوحة الرسم التي تشرح ما جاء في أسطورة مقتل حيرام آبي والأدوات التي استعملها الخونة الثلاثة لقتله وتصرف سليمان حيال ذلك. ويلاحظ الأستاذ الجديد أن الشروحات تشير وتربط باستمرار كافة الرموز والأشكال بالتقاليد اليهودية.

2 ـ الماسونية الحمراء أو العقد الملوكي:

لقد تميزت درجاتها باللون الأحمر أو القرمزي وقيل أنها تدل على غيرة وشجاعة حاملي درجات هذا الجزء الرفيع من الماسونية. بورتر يشير في كتابه «الألوان ورموزها» إلى أن اللون الأحمر يرمز إلى النار التي تدل على إعادة تطهير وتجدد النفس، في حين أنه اعتُمد تاريخياً في العقد الملوكي كرمز إلى تجديد أو إعادة بناء الهيكل ورمزياً إلى تجديد الحياة. درجات العقد الملوكي ثلاث ولكل منها نظام احتفالي خاص وتعتبر من الدرجات العليا في الماسونية الأم إذ تلي درجات الماسونية الزرقاء مباشرة.

درجات العقد الملوكي تتناول بشكل عام قصة بناء هيكل سليمان وفي أيامه، ثم قصة إعادة بناء هذا الهيكل على أيدي زربابل ورفاقه القادمين من أسر البابليين بسماح من ملكهم.

درجات هذا النظام يُظهر بشكل لا يمكن إخفاؤه بأنها يهودية المنشأ والعمل والغاية، وسوف نهتم بتوضيح ذلك بأقل قدر ممكن من الضنك والتعب، لاسيما في الدرجتين الثانية والثالثة:

أولى الدرجات، وهي تحضيرية وتدعى درجة المعلّم ذي العلامة، وتقول الأسطورة الماسونية أن بناء هيكل سليمان تطلّب وجود 85500 عامل. فريق منهم كان يعمل في قطع الأحجار وصقلها في مقلع زاراداثا، والباقون يعملون في بناء الهيكل. إلى جانب هؤلاء، جُنّد ثلاثون ألفاً للعمل في غابات لبنان بهدف تنظيم كل فرد من هذا العدد الكبير (110،000) ويكون معروفاً في عمله ومن قبل رؤسائه وكذلك من أجل تأمين دفع مستحقات كل فرد بحسب مؤهلاته ونوع عمله، تم تقسيم هؤلاء إلى 1، 155 فريق (محفل) من العمال والمعلمين (المبتدئين والرفاق ـ الدرجة الأولى والدرجة الثانية)، والمعلمون يهتمون بشأن العمال. على كل هؤلاء، قام 3، 300 ملاحظ عمل (مراقب) بالإشراف. ثلاثة من هؤلاء الملاحظين عُيّنوا للإشراف على كل فريق (محفل) من العمال والرفاق. أطلق على أحدهم اسم المعلم الملاحظ، وعلى الثاني ملاحظ أول أو كبير، وعلى الثالث اسم ملاحظ ثاني وعُرف الثلاثة باسم المعلمون ذوو العلامة.

كان لكل واحد من الرفاق لديه علامة يعرف بها لدى الملاحظين المشرفين فيما الملاحظون كانت لديهم علامة واحدة مشتركة يختمون بها موافقتهم على عمل الرفاق،

كما كان لديهم علامة أخرى يؤكدون بها تطابق كل حجرين. وبهذا كان يتم التأكيد على عمل صحة وإتقان عمل الجميع.

كان من المسموح لكل رفيق أن يختار علامة مميزة خاصة به شرط ألا تكون قد اختيرت من شخص آخر في ذات الفريق (المحفل). هذه العلامة كانت مؤلفة من 3، 5 أو 7 أو أي رقم مفرد من الخطوط التي تجمع لتتخذ شكلاً ما يعجب صاحبه.

إذن، القصة كلها بنيت على هذه العلامة المميزة التي أسس طريقتها حيرام آبي من أجل تسيير أمور العمل فيعرف كل فرد من العمال والرفاق والملاحظين موقعه وواجبه في العمل. وهذا يدل على عبقرية هذا المهندس اللبناني الفينيقي والذي لا بد أنه حملها معه من محفل وطنه الأم صور حيث كانت من الأساليب المتبعة بين معلّمي بناء القصور والهياكل في تلك الأيام والتي بطبيعة الحال لا يمكن حصرها بهيكل سليمان، الصورة المصغرة من هيكل ملكارت في صور. (ونلاحظ هنا كيف أن كاتب الأسطورة يمرر كلمة «أسسها» كي يبرر توقيتها في زمن سليمان وليس قبله).

ثاني الدرجات هي درجة أستاذ ممتاز، وفي النظام الأيرلندي، مع درجة أستاذ أرفع امتيازاً، تعتبر درجات تمهيدية لدرجة العقد الملوكي. أما في أغلب الأنظمة الأخرى فهي تأتي مع درجة أستاذ أو المعلم ذو العلامة كدرجتين تمهيديتين لدرجة العقد الملوكي.

لماذا هذه الدرجة؟ للجواب على هذا السؤال يجب الرجوع إلى بعض شروحات الكتب الطقسية لهذه الدرجة فنجد من احتفالات هذه الدرجة ما يلي:

يقول رئيس المحفل: «كما أن أسرار الدرجات الماسونية الثلاث الأول وكذلك درجة المعلم ذي العلامة كانت انتشرت تماماً خلال السنين الـ 470 الفاصلة بين تدشين هيكل سليمان وعودة اليهود، بإمرة الأمير زوربابل إلى أورشليم، وبما أن مرسوم قورش الذي يسمح فقط للمتحدرين من أولئك الذين جُلبوا إلى بابل. ولمنع مشاركة الآخرين في هذا العمل العظيم والمجيد الذي سنباشر به، وقبيل مغادرة زوربابل وأخوته تم تأسيس هذه الدرجة الجديدة في الماسونية. لعملنا هذا، هناك مثل نقتبسه عن أجدادنا الذين، لدى إشادة أي صرح في هذه الأهمية، اعتمدوا علامات تعارف معروفة فقط من أولئك الذين يعملون فيه».

«منذ أن أصلح الملك سليمان العلوم وسمح للأغراب بالمشاركة في العمل لم يُجرى أية تعديلات. لكن كون الظروف اقتضت الآن وجود هذه الدرجة فإننا نمنحها فقط لأولئك الذين اكتسبوا درجة معلم ذي علامة، لذا عليك الآن أن تثبت صحة حصولك على هذه الدرجة قبل أن نمنحك درجة «معلم ممتاز». هنا، يجري اختبار المرشح لهذه الدرجة في الدرجة السابقة...

يشرح رئيس المحفل: «درجة معلم ممتاز أُنشئت في بابل وأعطيت أسرارها إلى أولئك الذين كانوا على أهبة السفر إلى أورشليم لمساعدة زوربابل ورفاقه في إعادة بناء الهيكل. هي مقسمة إلى ثلاثة أقسام أو ستائر في إشارة إلى تلك التي استعملها موسى لخيمة الاجتماع في الصحراء. هذه الستائر ذات ألوان مختلفة ولكل منها أسرار خاصة بها سوف تعطى لك بالتالي:

ـ **الستارة الأولى**: هنا يسرد الرئيس قصة موسى، راعي غنم حميه يثرو، كاهن مديان، وصعوده إلى جبل الله حتى حوريب حيث ظهر له ملاك الرب في العليقة الملتهبة ولا تحترق فأراد النظر إليها لمعرفة السبب وعندما فعل قال له الرب من وسط العليقة: موسى موسى، إخلع نعليك فأنت في أرض مقدسة الخ...... ثم أعلن له الرب عن اسمه: أنا هو الذي هو، وهذا ما تقوله إلى أبناء إسرائيل».

من هذه الرواية وتفاصيلها، المأخوذة من الكتاب العبري المقدس، يتم توضيح كلمة سرية وإشارة وطريقة تعارف، تماماً كما في الدرجات السابقة.

ـ **الستارة الثانية**: هنا يكمل رئيس المحفل حديث الرب مع موسى والتي من تفاصيلها أيضاً يتم وضع كلمة سرية وإشارة وطريقة تعارف.

ـ **الستارة الثالثة**: هي أيضاً تكملة لحديث الرب مع موسى والتي من تفاصيلها أيضاً يتم وضع كلمة سرية وإشارة وطريقة تعارف.

الكلمات السرية للدرجة في مراحلها الثلاث مأخوذة بالطبع من أسماء شخصيات يهودية كانت على صلة بموسى وساعدته في تحضير وإعداد خيمة الاجتماع المذكورة.

كامل الاحتفال ما هو إلا تحضير المرشح لنيل الدرجة الأعلى أي درجة العقد الملوكي. لذلك يقتضي الأمر من المرشح المرور أولاً في درجة المعلم ذي العلامة

ثم درجة المعلم الممتاز فيصبح، بعد مروره باختبارات جمة ومضنية، مؤهلاً للحصول على الدرجة الأعلى.

ثالث الدرجات وأهمها على الإطلاق هي: درجة العقد الملوكي، وجاء في الموسوعة الماسونية: «إذا ما استثنينا درجة الأستاذ، ليس هناك في الماسونية درجة أكثر شيوعاً أو أكثر أهمية تاريخية ورمزية من درجة العقد الملوكي أو كما دعيت ب. . . ، بالنظر إلى رفيع تميزها، العقد الملوكي المقدس». لقد سماها دارموت الجذر والقلب ودماغ الماسونية. ويقول أوليفر إنها، بشكل لا يوصف، «أكثر سموّاً ورفعة وأهمية من أي من سابقاتها، وهي في الواقع القمة والكمال في الماسونية القديمة». ويُضيف: «كان هناك زمن لم تكن درجة العقد الملوكي موجودة كدرجة مستقلة إنما كانت جزءً مكملاً لدرجة الأستاذ» (الدرجة الثالثة في الماسونية الزرقاء). وعندما اتحد المحفلان الأكبران عام 1813 وجدا أن من المناسب اعتبار العقد الملوكي من ضمن الدرجات الماسونية القديمة الثلاث.

رامسي أدخلها في الدرجات العليا، ودارموت اخترعها خدمة لمحفله الأكبر، وقام دانكرلي بفصلها عن الدرجات الأخرى، وهكذا، لاحقاً، أصبحت هذه الدرجة تتمتع باستقلالية تامة وصار اعتبارها جزءاً هاماً في التاريخ الماسوني. ويتابع: «ما يدل على حداثة هذه الدرجة أيضاً أن هندرسون لم يشر إليها عند كتابته تاريخ الماسونية إذ لم توجد أية مخطوطة تدل إليها أو تذكرها».

والكلمة الحقيقية التي تمثل العنصر الأساسي في درجة العقد الملوكي وجدها أوليفر في إحدى المخطوطات القديمة للوحة خاصة بدرجة الأستاذ «الزرقاء» تعود إلى حوالي العام 1725 وأن هذه الكلمة في ذلك الوقت لم تفصل عن تلك الدرجة وتضاف أو تُنقل إلى درجة أخرى. وبمعنى آخر، إن العقد الملوكي لم يخترع حينذاك. وأول مرة أشير إليها في انكلترا كان عام 1740 أي بعد سنتين فقط من فصل الماسونية القديمة عن تلك الحديثة. وسوف يتعرف المضطلع على أهمية هذه الكلمة عند مطالعة درجة العقد الملوكي.

إذن، لقد تم تحضير المرشح للحصول على درجة العقد الملوكي أولاً بوضعه في صورة ما كان يجري أثناء بناء هيكل سليمان والكيفية التي كان حيرام المهندس الصوري يتّبعها للتمييز بين مختلف فئات العمال والصناعيين، وثانياً في تأكيد أصله اليهودي الذي

يؤهله للدخول والمشاركة في إعادة بناء الهيكل (هيكل زووبابل) ولم يتبق عليه سوى الاستعداد لتقبل الانقلاب الفعلي لأهداف الماسونية القديمة كي تصبح يهودية تماماً، وذلك استكمالاً لما كان جاء في نهاية الأسطورة الخاصة في الدرجة الثالثة والقائلة بفقدان أسرار يحتفظ بها حيرام آبي (القتيل)، واضطرار سليمان إلى استعمال أسرار أخرى بديلة. فهل سنجد تلك الأسرار؟ هذا ما سوف نكتشفه معاً. . .

ـ خاصيات درجة العقد الملوكي:

تسيطر على قاعة الاحتفالات (لمحفل) أعلام أسباط بني إسرائيل الاثني عشر.

رئيس المحفل هو الأمير زوربابل يساعده حجاي وجوشوا ويعاونهم ثلاثة وكاتب ومساعد له بالإضافة إلى عدد من المولجين بأعمال المحفل. وننتقي بعض ما جاء في احتفالات هذه الدرجة:

بعد أداء القسم المعتاد والتجديد على المحافظة على الأسرار التي سوف تعطى وتأكيد حضور احتفالات المحفل شريطة أن تكون شرعية الخ. . . يختم المرشح الذي أقسم الآن قسمه بتقبيل الكتاب المقدس، عربون وفاء وطاعة.

ثم يضع الرئيس المرشح في صلب موضوع الدرجة من خلال سرد أسطورة جديدة (مكملة للأسطورة السابقة في درجة الأستاذ). تقول الأسطورة: أنت تعلم أنه قبيل إكمال بناء هيكل سليمان، الأسرار الحقيقية للمعلم الماسوني (الدرجة الثالثة) فُقدت بسبب موت المعلم الأكبر حيرام آبي المفاجئ. وأن هناك بدائل لها اعتمدت لدى المعلمين الماسون، في العالم كله حتى يأتي الوقت والظروف تسمح باسترجاع هذه الأسرار. بقيت هذه الأسرار مجهولة طوال فترة 475 سنة أي إلى وقت إعادة بناء الهيكل فاكتشف بطريقة خاصة سوف نشرحها لك في ما تبقى من فصول هذا الاحتفال حيث ستمثِّل أنت أحد المغتربين الثلاث القادمين من بابل والذين على أيديهم صار الاكتشاف. بهذه الوسيلة، لا نرمي إلى تأكيد الظروف في ذهنك بل لتعليمك بأنه بالشجاعة والصبر وحده يمكن الحصول على المعرفة الحقيقية.

هنا، يصار إلى قيادة المرشح في احتفال طويل إلى تمثيل دور أحد القادمين الثلاثة في عملية الكشف على أساسات الهيكل القديم حيث يتحتم عليه النزول إلى أقبية تحت الأرض والمساعدة في تنظيف الأرض حيث ستقام أساسات الهيكل الجديد.

أثناء الحفر في الأتربة المتراكمة يظهر عليه لوح حجري عليه كتابة تشير إلى وجود كنزٍ ما. ولدى معالجة ذلك الحجر ورفعه يتبين أن هناك هوّة ـ فراغ ـ يجب اكتشافها.

لدى نزول الثلاثة إلى الهوة يجدون قاعة رائعة تحملها سبعة عقود، حُفر عليها أسماء أسباط بني إسرائيل وعلامة «الزودياك»، ويتوسطها مرتبة تحمل أحرف غريبة داخل دائرة ذهبية... يبدو أننا الآن داخل القبو السري للملك سليمان، قال أحد الثلاثة: لنخلع حجراً آخر. اكتشاف آخر، إنه لفافة (سجل)، يبدو أننا اكتشفنا أشياء في غاية الأهمية، قال أحد الثلاثة. دعونا نذهب لنخبر عن اكتشافنا. ثم يخرج الثلاثة لتقديم تقرير عن اكتشافهم.

يعود الجميع فيرفعون تقريرهم فيقرر الرئيس أن يرجعوا إلى ذلك القبو السري ويصطحبوا معهم عزرا الكاتب، الخبير في اللغات، وهو سوف يفتش معهم ويسجل ما يراه أو يحصل عليه.

يعود الجميع برفقة عزرا الكاتب فينزلون إلى القبو السري، ثم يعودون لرفع تقريرهم الثاني. يعلن عزرا أن ما سبق أن أعلنه الثلاثة هو صحيح، وأننا قد اكتشفنا أيضاً قلادة على شكل مثلث تحمل الأحرف... يبدو أنها تخص ذلك الشخص المبجّل وأن الأحرف الموجودة على المثلث هي كلمة العقد الملوكي الكبرى.

ويُكافأ المرشح بتقليده وشاح شرف ويُعلن أميراً وحاكماً في إسرائيل... ثم يقدم شرح لمعنى الاكتشاف: إن الاكتشاف الذي تم على يديك، يقول الشارح، هو في غاية الأهمية. إنه ليس أقل من كتاب الشريعة المقدس الذي فقد طويلاً واليوم قد وُجد. المجد للرب.

أنت ترى أن العالم يُدين للماسونية باحتفاظها «بكتاب الشريعة» ولولا حرص وحكمة معلمنا الأكبر في بناء القبو السري تحت الهيكل وهو الذي بقي محفوظاً من تدمير الأعداء لكانت هذه النسخة الوحيدة من كتاب الشريعة قد فُقدت أثناء تدمير الهيكل. بالإضافة إلى هذا، فإن الأشكال التي على المثلث والتي لم تتمكنوا من فهم معناها، تمثل، كما يقترح علينا العالم عزرا، الكلمة العظمى لدرجة العقد الملوكي والتي في ـ شكلها الثلاثي هي الطريقة المفقودة للفظ الكلمة المقدسة المنقوشة على الدائرة، كونها ذات طبيعة يتعثر فهمها تماماً أو لفظها بدقة.

أخيراً، تخبرنا أن كلمة الأستاذ الماسوني القديمة التي فُقدت أثناء بناء هيكل سليمان سوف يأتي يوم وتُكتشف، وكما أن القلادة التي وجدها عزرا تحمل اسم حيرام آبي، ليس هناك شك بأن التعبير عن المثلث يشير إلى الكلمة المفقودة وطريقة لفظها التي يمكننا إدراكها عند اجتماع الأساتذة الكبار ويقررون إعطاءها.

لقد تم اعتمادها كلمة كبرى لدرجة العقد الملوكي المقدس ولا يجب أن تقال قط إلا كما سوف نفعل الآن... هنا يتم القيام بالتلفظ بالكلمة السرية المقدسة وبالطريقة السرية التي يعرفها فقط حاملو هذه الدرجة من الماسون».

بعد ذلك يُصار إلى شرح الإشارات وإعطاء الكلمات المتعلقة بهذه الدرجة وبالطبع يصار إلى تقديم أدوات العمل وشرح معانيها ورمزيتها بتفصيل يغلب عليه المنطق الروحي المعنوي وبعد ذلك كله يصار إلى شرح لوحة الرسم والرموز الظاهرة عليها مع معانيها، مع الإشارة طبعاً إلى علاقتها بالنصوص الموجودة في الكتاب المقدس اليهودي... وعملية إقفال المحفل الأكبر هي إعادة كاملة لأسرار درجة العقد الملوكي بكل ما فيها من جلال روحي يهودي، وهيبة ووقار تقتضيه الرموز والأسماء المستعملة فيها والداعية إلى سرية المحافظة عليها إلى أن يلتقي الجميع في وحدة ووئام لإعادة افتتاح هذا المحفل.

3 ـ المجلس السري أو الخفي:

كلمة في أصلها اليوناني تعني مكاناً خفياً أو قبواً تحت الأرض. الكهوف أو الخلوات التي كان المسيحيون الأولون يمارسون فيها عباداتهم كانت تدعى «دياميس». كذلك الأقبية تحت الكنائس الحديثة كانت تدعى «كريبت». فوجود الأقبية تحت هيكل سليمان أقرّ بها علماء الطوبوغرافيا، الأولون والمعاصرون في أورشليم. وعلاقتها بالأساطير الماسونية التاريخية اعتمدت تحت اسم القبو السرّي. والماسونية السرية هي ذلك الجزء من الماسونية ذات الصلة بالدرجات السرية. إنها ببساطة ماسونية القبو السري. أما محفلها فيسمى المجلس السري. ويتضمن ثلاث درجات ممارسة حالياً هي: الأستاذ الملكي، الأستاذ المختار، والأستاذ الأكثر امتيازاً. وفي واقع الأمر فهي تعتبر تكملة لدرجات العقد الملوكي وإن اختلفت نصوص أسطورتها.

الدرجتان الأولى والثانية تندرجان ضمن أسطورة القبو السري والكلمة المفقودة

ومقتل المعلم حيرام آبي، أما الدرجة الثالثة وبالرغم من اختلاف أسطورتها عن أسطورة سابقتيها فقد أضيفت إلى الماسونية السرية. وهي في الأصل درجة فخرية تم اعتمادها في حزيران/يونيو عام 1873، وليس هناك أي تأكيد ومن أي مصدر عن نشأة هذه الدرجة ويقترح البعض أنها أُدخلت إلى الماسونية في أميركا.

وحالياً، أي في وقتنا المعاصر، مورست الدرجات الثلاث باعتبارها تدخل في نظام واحد وتحت اسم المجلس السري ودرجاته، وكما ذكرنا، امتداد وتكملة لدرجات العقد الملوكي السابق شرحها. وإفادة للمضطلع وتأكيداً لما وصفناه بالصبغة اليهودية لهذه الدرجات، ندرج في ما يلي بعض الشروحات المقتضبة عن هذه الدرجات:

ـ **درجة الأستاذ الملكي**: وهي أولى درجات الماسونية السرية أو المجلس السري، ويتكون مجلسها من الرئيس الثلاثي التبجيل، ويمثل الملك سليمان، نائب الرئيس المبجّل، ويمثل حيرام ملك صور، والمبجل مسؤول الأعمال يمثل حيرام أبي.

ألوان هذه الدرجة هي اللون الأسود واللون الأحمر. يدل الأول على الحزن والأخير على الشهادة، والاثنان يرمزان إلى بناء الهيكل الرئيس. ومكان الاجتماع يدعى مجلس الشورى ويرمز إلى القاعة التي كان سليمان يجتمع للتشاور مع زميليه ـ حيرام ملك صور وحيرام آبي المهندس ـ أثناء تنفيذ بناء الهيكل. وهنا نورد بعض جاء في «الموسوعة الماسونية» عن هذه الدرجة:

«إذا ما نظرنا إلى الأحداث المسجلة في هذه الدرجة نظرة أسطورية يتبين لنا أنها حصلت أثناء بناء الهيكل. تلك الفترة القصيرة التي حصل فيها مقتل المعلم حيرام آبي واكتشاف جثته و«جنازتها الماسونية».

في جميع غوامض العالم القديم وأسراره، هناك أسطورة تتحدث عن مقتل شخصية مميزة تحترم ذكرى اختفاء جثمانها ومن ثم يعاد اكتشافها. هذا الجزء الذي يشير إلى الاختفاء مرجعه كلمة يونانية هي Aphanism ومصدرها فعل ليخفي، والاكتشاف مرجعه كلمة Euresis ومصدرها فعل ليكتشف، من هنا لا يمكن التغاضي عن التشابه بين هذا النوع والاكتشاف في الدرجة الثالثة في الماسونية. ولم تكن الغوامض القديمة لتنتهي عند عملية الاكتشاف عند هذه النقطة بل كانت الاحتفالات تشمل جنازة وحداد على الشخصية.

احتفالات أخرى كانت تمارس حيث تُستعاد تلك الشخصية إلى الحياة أو تأليهها أو تخليدها. ويُصار من ثم إلى شرح وتوضيح عملية التحول هذه من خلال إدراك المعرفة الكاملة بكافة العقائد الدينية التي كانت هدف تعليمي في تلك الغوامض «مؤسسات سرّانية» القديمة حيث، بكلمة مختصرة كانت تُلقِّن الحقيقة الإلهية.

والآن، نهج مماثل يتبع في الماسونية. إنه تنوير أو تعليم رمزي أو كما نسميه تلقين (كشف) لما يمثل الحقيقة الإلهية. من هنا فإن ما يقدم لمرشح الدرجة الثالثة (الماسونية الزرقاء) أو درجة الأستاذ، هو مثال أو بديل عن ذلك الرمز للحقيقة الإلهية (البحث عن الكلمة المفقودة)، أو ما يسمى السر الأكبر.

الحادث الأبرز الذي تسجله أسطورة درجة الأستاذ الملكي هي المقابلة التي تتم بين الأساتذة الملكيين والمرشح، وتتناول الفسحة الزمنية الفاصلة بين الاكتشاف في درجة الأستاذ وشروحات أو تلقين السر الأكبر، وتظهر بين الاكتشاف بواسطة غصن الأكاسيا النامي والدفن النهائي. إنه الوقت الذي كان فيه سليمان وزميله حيرام ملك صور يتشاوران بعمق في الوسيلة التي يستعيضان فيها ما ضاع من سر بموت ثالثهما حيرام آبي.

سوف يبدو هذا الكلام غير واضح بالنسبة إلى غير الممارس لهذه الدرجات، لذا من الأفضل العودة قليلاً إلى الوراء، إلى الدرجة الثالثة، درجة الأستاذ في الماسونية الزرقاء: لقد تعرّفنا إلى أسطورة مقتل المعلم، المهندس حيرام آبي ومن ثم اكتشاف جثته على أيدي من أرسلهم سليمان لهذه الغاية. بحسب التقاليد الماسونية القديمة، على ما جاء في الكتب الماسونية الباحثة في هذا الأمر، تقول الأسطورة أن سليمان ملك إسرائيل وحيرام ملك صور وحيرام آبي، كانوا يجتمعون لاتخاذ القرارات المناسبة بشأن بناء الهيكل. وأن الثلاثة، لدى اجتماعهم، كانوا يتبادلون كلمة سرية مركبة من ثلاثة مفاصل أو كلمات لا يمكن الاستغناء عن أي منها لافتتاح جلساتهم. وبموت حيرام آبي فُقدت الكلمة الثالثة واضطر الاثنان الباقيان إلى الاستعاضة عنها إلى أن يعاد اكتشافها من جديد.

وبالطبع، فإن الكابالا الذين تمتعوا بالحذق وبعد النظر في أمور دينهم، بادروا إلى ابتكار عدد من الدرجات الماسونية وألفوا أساطير عنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما يسعون إلى زرعه في ذهن العضو الماسوني الحديث الدخول. من هنا كان لزاماً

عليهم أن يبتكروا درجات ثانوية يستحسن المرور بها كي يتمكن المرشح من تقبُّل ما سوف يعرض عليه من أسرار (من وضعهم) في غير درجة. وهكذا جاءت هذه الدرجة الثانوية المؤسسة على أسطورة تقوم على حديث بين حيرام آبي وأحد الرفاق (درجة ثانية) الذي تسلل وراء ستارة، خلال فترة استراحة الأول ودخوله إلى قدس الأقداس لتقديم عبادته اليومية ويقوم بوضع التصاميم المطلوبة للعمل ثم بادره إلى السؤال الذي سبق شرحه في درجة العقد الملوكي...

نلاحظ من شرح دروس هذه الدرجة التركيز على توضيح قرب الانتهاء من بناء الهيكل وأن الأواني المقدسة مع تابوت العهد قد وُضعت في المكان المعين لها في قدس الأقداس وأن الحديث الذي دار بين الرفيق والمهندس جرى في ذلك المكان بالذات. ولذات الهدف الديني، يركز الكاباليون على وصف المكان والأواني وتابوت العهد بشكل خاص يوحي بأهمية سليمان الخ... ولن يخفى على المطلع أن هذه الدرجة سوف يتم استعمالها رمزاً لدرجة تالية لكن بأسماء أخرى وإدارة آخرين، لدى بناء الهيكل الثاني كما سنرى.

ـ **درجة الأستاذ المختار**: وهي ثاني درجات الماسونية السرية أو المجلس السري، ويتكون مجلسها من الرؤساء الثلاثة ويكتمل نصابها بتسعة أعضاء من أجل القيام بالعمل، ولكن من المفترض أن لا يقل العدد عن تسعة ولا يزيد عن السبعة والعشرين.

يمثل المحفل القبو السري أو الخزانة السرية التي يفترض أنها مبنية تحت الهيكل حيث توضع الكنوز والأواني الخاصة بالهيكل والعبادة. أما المرشح، فالمفترض به أن يأخذ مكان أي من الثلاثة الكبار، في حال غيابه... وبالطبع فإن حراسة المكان تكون مشددة. وتدور أحداث احتفالات الدرجة في مناخ ورشة عمل لبناء العقود اللازمة لقيام الهيكل فوق القبو المشار إليه. في هذه الدرجة تتابع الأسطورة العائدة إلى مقتل حيرام آبي والحالة إلى شخص يملأ مكانه...

ـ **الأستاذ الأكثر امتيازاً**: وهي ثالث الدرجات في نظام المجلس السري. وتتناول أسطورة هذه الدرجة قصة احتلال أورشليم على أيدي نبوخذنضر وأسر الملك وفقْء عينيه ووضع السلاسل في رجليه وسوقه إلى بابل، والحزن الشديد الذي تولى الجميع.

قصة محزنة يعرفها كل من قرأ الكتاب المقدس اليهودي. لكن الأسلوب الذي أدخلت به في الماسونية لا يمكن لأحد غيرهم أن يفعله. إنه خليط غريب من التراجيديا اليهودية ومعاناة الشعب اليهودي طوال تاريخه وتذكير متجدد بكل ما مر به من متاعب واتصاله الحميم بالإله الذي حفظه وساعده ودافع عنه إلى آخر الأطروحة المعروفة. وبكل تأكيد: استدراراً لشفقة العالم وتعاطفه مع قضاياهم. وأخيراً تمتين ارتباط غير المتدينين (من غير الأديان التي لا تؤمن باليهودية) بالفكر اليهودي الديني وربما تحويلهم إليه...

إنها بحق تمثيلية لا تبارى في الإخراج أو التوثيق يتم ربطها بشكل متقن تماماً بالمؤسسة الماسونية عبر كافة الدرجات المبتكرة ـ سبق أن ذكرنا الكثير منها ـ ووصولاً إلى الدرجات الماسونية الأولى التي جرى تحويرها بما يتلاءم ومصالح الشعب اليهودي وفكره وغاياته وأهدافه. وغني عن القول هنا أن كافة الدرجات التي يشملها نظام المجلس السري تأخذ كلماتها السرية وإشاراتها وطرق تعارفها من داخل نصوص الأسطورة الخاصة بكل منها.

4 ـ الماسونية الوردية:

هذه الفئة من الماسونية هي التي تحتل اليوم المركز بين جميع الفئات الأخرى إذ من يصل إلى درجاتها العليا يُعتبر أنه بلغ الذروة في النظام الماسوني كله. ذلك لأنها تحمل الدرجات 30، 31، 32 و33. ومن هذه الفئة التي يبدو أنها أدخلت على الماسونية لأسباب أكثرها سياسية انتشرت فروع لها في كافة دول العالم كما سنرى من التفاصيل.

4 ـ 1 ـ نظام الصليب الوردي للقدامى والمقبولين:

وهو النظام الاسكتلندي للقدامى والمقبولين، وتاريخ هذه الفرقة من الماسونية يعود إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر حين كانت من ضمن نظام القدامى المقبولين. وهذا ما عرّفت عنه الدساتير اللاتينية باسم: النظام الاسكتلندي للقدامى والمقبولين، وهذا العنوان بات الآن معمولاً به بشكل عام على أنه الاسم الصحيح لهذا النظام. ومع أن هذا النظام هو الأحدث في الأنظمة الماسونية إلا أنه أصبح الأكثر شيوعاً وشعبية. ومجالسه العليا منتشرة في كافة البلدان المتحضرة في العالم.

ـ تاريخ هذا المنظمة بإيجاز:

في العام 1758 نُظمت مؤسسة في باريس ودُعيت بـ «مجلس أباطرة الشرق والغرب» وهذا المجلس أسس نظاماً أسماه «نظام الكمال»، تألف من خمس وعشرين درجة أرفعها سميت «الأمير الأسمى للسر الملكي». و في حوالى العام 1801 أضيفت عليها ثماني درجات فأصبحت الدرجة العليا هي الدرجة الثالثة والثلاثين.

في ورقة من أوراق هذا النظام يُقدم إلى المنتسب حديثاً، الشرح التالي: «نعود إلى مملكة فريدريك الثاني البروتستانتي في القرن الثامن عشر، ماسوني حريص لاقى الكثير من المتاعب من أتباع روما، الجزويت في البلدان المجاورة مثل النمسا. شجع فريدريك الماسونية على كافة المستويات. لقد كان فيلسوفاً مناهضاً للاضطهاد في كل أشكاله. ويبدو أن الهدف الأعلى في حياته كان في منع وصول الكثلكة الرومانية إلى ألمانيا ورفض هيمنة النمسا. الماسونية كانت أحد المصادر التي ساعدت فريدريك على تحقيق أهدافه حيث، في عام 1785 أصبح الماسون جد أقوياء بحيث أن النمسا وبروسيا سعت لدعمهم».

خلق الجو العام في تلك البلاد مناخاً ممتازاً لتطوير نظام الصليب الوردي. كان بروتستانتياً، وكانت ماسونية فريدريك تحكم بروسيا بأحكام وجد من الممكن إنشاء دساتير كبرى كما نعرفها اليوم. هذا ما ظهر في أول أيار/مايو 1786 على يدي فريدريك الثاني في برلين. التخطيط المتقن للوثيقة كان شاملاً ومعبراً بحيث أبقى على العلامات الأساسية لجميع المجالس العليا لنظام الصليب الوردي في جميع أنحاء العالم. وخلال القرن التالي، انتشر نظام الصليب الوردي في عدة أجزاء في العالم.

4 ـ 2 ـ أمراء الصليب الوردي:

ليس هناك في الدرجات الماسونية العليا كلمة يصعب الوصول إلى جذرها مثل هذه الكلمة. اختلف الكثيرون حول مصدرها فمنهم من ردها إلى الأمير شارلز إدوارد المدير في بلاط سان جرمان حيث كان هذا الأمير معتقلاً بين عامي 1740 و1745 ومن هناك كتب رسائل إلى إنكلترا، وكان يذكر كلمة Heredom كمصدر لرسائله، أي بمعنى مصدرها عن سان جرمان. ويقترح البعض الآخر أن مصدرها كلمة من العصر الوسيط هي: Hæredom أي إرث في إشارة إلى قلعة سان جرمان الإرث الوحيد المتبقي لذلك الأمير. وهناك اقتراح لنظرية تقول بأن اسم Hereden هو اسم جبل في

اسكتلندا وأنه تم العثور أحياناً على هذه الكلمة في الدفاتر الفرنسية القديمة لهذه المنظمة وأن ليس هناك فرق كبير بين لفظ كلمة Hereden وكلمة Heredom.

4 ـ 2 ـ حاكمية أمراء الصليب الوردي:

هذا لقب يُطلق على الفرع الذي يتبع المجلس الأعلى في البلد الذي يدير كافة الفروع فيه. وكذلك هو اللقب الذي يُطلق على رئيس الفرع ـ الحاكم الأكثر حكمة ـ وبالتالي جميع الفروع مع مجلسها الأعلى تأخذ الاسم الكامل للنظام ويضاف إليه اسم البلد فيقال مثلاً: نظام الصليب الوردي للقدامى والمقبولين في... ونأتي الآن إلى شرح بعض التفاصيل عن هذه الحاكمية:

في أيامنا هذه أصبح نظام الصليب الوردي للقدامى والمقبولين نظاماً بذاته معتمداً في كل بلد من البلدان، ويحمل اسمه. ويدار النظام من مجلس مؤلف من سبعة أعضاء بالتساوي، والقائد الأعلى أو الرئيس هو الأول بين متساويين. وجميع المجالس القانونية في العالم تعترف بدساتير عام 1786 وتتقيد بما تتضمن من قوانين وتعليمات.

يتألف النظام من 33 درجة. من هنا أتت شهرته ودارت حوله الأقاصيص. وبما أن المرشح للدخول إلى هذا النظام يجب أن يكون حائزاً على درجة أستاذ ماسوني (الماسونية الزرقاء) فقد اعتُبرت الدرجات الماسونية الثلاث الأولى مساوية للدرجات الثلاث الأولى في هذا النظام، علماً بأن المرشح عليه أن يكون قد أمضى على الأقل ثلاث سنوات عملية في ممارسه ماسونيته في محفله قبل أن يصار إلى قبول انضمامه إلى النظام.

لدخول الأستاذ الماسوني في نظام الصليب الوردي القدامى والمقبولين عليه المرور بمراحل معينة أهمها الحصول على الدرجة الثامنة عشرة التي تعتبر الأكثر شيوعاً في النظام كله. وللحصول على هذه الدرجة يجب أن يُلقن الدرجات السابقة لها. وبعد ارتقاء حامل الدرجة الثامنة عشرة إلى كرسي الحاكمية يمكن ترقيته إلى الدرجات العليا.

مراحل احتفال الدرجة الثامنة عشرة ثلاث يجب عبورها هي:

1 ـ محفل الكمال: في هذا المحفل الذي نلاحظ أن الدرجات التالية، من الدرجة الرابعة إلى الدرجة الثانية عشر هي درجات ماسونية صرفة حيث تستكمل قصة حيرام آبي وتتناول ما حصل بعد مقتل حيرام آبي والخطوات التي اتخذها سليمان الملك

حيال بناء الهيكل. أما الدرجتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة فتعيد المرشح إلى قصة الخزانة السرية ومحتوياتها (بعضاً من العقد والملوكي وبعضاً من المجلس السري). وتُعزف هذه المجموعة بالدرجات التي لا تنطق، أو بمعنى أن لا تأثير لها.

2 ـ **مجلس أمراء أورشليم:** يتألف هذا المجلس من درجتين: الخامسة عشر وتدعى فارس السيف أو فارس الشرق، والدرجة السادسة عشرة وتدعى أمير أورشليم. تُعرف هاتان الدرجتين بالدرجتين التاريخيتين أو نظام الفروسية، وهما على علاقة بمرسوم سايروس وداريوس في موضوع إعادة بناء الهيكل.

3 ـ **محفل فرسان الشرق والغرب:** هذه الدرجة هي الأولى بين الدرجات الفلسفية وتمثل مدخلاً تمهيدياً للمبادئ المسيحية الممثلة في الدرجة الثامنة عشرة. وهي مكملة للدرجات السابقة في تعاليم الرمزية الماسونية.

بالطبع، إن درجات هذه المحافل لها كلماتها وإشاراتها السرية تعطى معها، ولها طرق محددة لكل منها تستعمل في محافلها أو مجالسها. وجاء الآن دور الدرجة الثامنة عشرة وهي مقسمة إلى ثلاث نقاط هي:

1 ـ **النقطة الأولى:** تقول إحدى الأوراق الماسونية الخاصة بالدرجة الثامنة عشرة ما يلي:

هي درجة بسيطة وجميلة تتبع التعاليم المسيحية. في كتبها الطقسية اهتمام خاص لممارسي المسيحية وتقود المرشح من خلال مراحل الحياة، والصلات بين الدرجات الماسونية العليا، من ظلمة الموت إلى مستقبل حياة تحتضن الإيمان، الرجاء والمحبة. وأخيراً، إلى قمة الاحتفال في استقبال مهيب في دائرة الحياة. وهنا تبدأ احتفالات الدرجة الثامنة عشرة المثيرة والمهيبة معاً. والمرشح فيها هو بالطبع فارس الشرق والغرب الذي يكون قد أتم للتو تحصيله رتبته أو درجته هذه. وهذه النقطة تتم في ظلام دامس يسود غرفة الاحتفال حيث يتم تقديم المرشح ويطلب إليه، كفارس شجاع، أن يسافر في جولة لمدة ثلاثة وثلاثين يوماً (رمزياً بالطبع) بحثاً عن الكلمة المفقودة. خلال هذه الجولة التي تدور أحداثها يُعيد صلب السيد المسيح والحزن الذي عم الكون وما حدث من أحداث مثل شق حجاب الهيكل الخ. . . ويصار إلى قراءات من الكتاب المقدس؟ يعود بعدها المرشح حاملاً نتائج بحثه وهي كناية عن أحرف أولى لأهم الفضائل المسيحية وهي تُعتبر أساس المبادئ التي يقوم عليها النظام. ثم يقوم بتأدية

قسم خاص، وتقدم إرشادات ونصائح وتفسيرات غاية في الإتقان والجمال الروحي التي تشدد على التعلق بالإيمان المسيحي. هكذا يصبح المرشح مستعداً للدخول إلى المرحلة التالية وهي:

2 ــ النقطة الثانية: هذه النقطة تتم في ضوء ساطع ويتصدر القاعة مذبح مضاء بالشموع (ترتيب خاص) وعليه الكتاب المقدس (العهد الجديد). وتفرش الأرض ببساط عليه رسم درج ذي سبع درجات وعلى كل درجة وردة حمراء. يتقدم المرشح بقيادة أمير خاص ذي رتبة ويرتقي الدرج بأسلوب معيّن. وعند كل درجة يكشف الأمير المرشد الوردة ليظهر تحتها حرف يلتقطه المرشح.

في نهاية المطاف يتجمع لدى المرشح أحرف يتسلمها الحاكم وتتألف منها الكلمة المفقودة التي يصار إلى إبرازها بعد شروحات كاملة لمعانيها ثم توضع هذه الكلمة في مكان بارز على المذبح.

يُقاد المرشح إلى أمام المذبح حيث يقوم الحاكم بمنحه الدرجة ثم يقلد مهامها وبهذا يصبح عضواً كاملاً في النظام. والجدير ذكره أن هذه النقطة بكل تفاصيلها تعود إلى حياة السيد المسيح والصفات التي تعزى إليه في الكتاب المقدس (العهد القديم). كما يستعمل فيها نصوص وردت في إنجيل يوحنا وخاصة الفصل الأول منه.

3 ــ النقطة الثالثة: «أيها الأمراء، لقد وصلنا الآن إلى الكمال الماسوني، دعونا نتحد في تشكيلنا الدائرة الحية شعاراً للأبدية». بهذا الكلام يباشر الحاكم النقطة الثالثة من الاحتفال. ثم، بعد تشكيل الدائرة من الأعضاء بامتداد أياديهم يصار إلى إدخال العضو الجديد بينهم مع القول: نحن نستقبلك في الدائرة الحية في قلوبنا. بعدئذٍ، تؤخذ وتوزع قطع من الخبز والملح بين الأمراء في الدائرة، يليها ارتشاف بعض الخمرة البيضاء في كأس يدار على الجميع في إشارة إلى مشاركة الجميع. كل ذلك في تذكار للسيد المسيح ولكن مع تأكيد أن هذا الاحتفال هو ليس ما يقوم به الكاهن في مناولته للشعب خلال القداس الإلهي. (الملاحظ هنا استعمال النبيذ الأبيض عوضاً عن الأحمر تأكيداً لهذه المقولة، حتى أن بعض الأنظمة يستعمل الآن شراباً عادياً بدل النبيذ). في النهاية يتم إعلان فعل شكر على فعل إيجاد الكلمة المفقودة. وينهى الاحتفال. هذا باختصار شديد مجرى الاحتفال بإدخال مرشح جديد إلى نظام الصليب الوردي للقدامى والمقبولين. ولن ننسى القول أن لهذه الدرجة كلمة سرها الخاصة وإشاراتها الخاصة

والاثنتان لهما علاقة مباشرة بالسيد المسيح، الراعي الصالح ومحبته للإنسان وفدائه له.

5 ـ فرسان الهيكل:

في الموسوعة الماسونية، تكلمنا كثيراً عن هذه الطغمة وأدرجنا تاريخها بشكل واضح، منذ نشأتها في أورشليم وانشقاقها أو تغيُّر أحوالها بعد مقتل رئيسها، ويهمنا الآن أن نضع القارئ في أجواء ممارستها في أيامنا هذه.

إذاً هنا سنتعرف على نظام هذه الطغمة واحتفالاتها أسوة بأخواتها من الفئات الماسونية الأخرى.

يُطلق على الفرع اسم «رعية». وعلى مجموع الفروع اسم «الدير»، ولعلنا نكون أكثر دقة في استعمال تسمية أبرشية، والمفترض أن هاتين التسميتين تعودان إلى العهد الذي بوشرت فيه أعمال هذه المؤسسة في أورشليم.

ولهذه الطغمة احتفالات انتساب لا تقل دقة وروعة عن تلك التي يتبعها الماسون العاديون في معظم محافلهم وفي تعدد فئاتهم. كما أن لهم درجات متصلة كما هي الحال في مثيلاتها الماسونية. بمعنى أن فارس الهيكل لن يحظى بحمل شرف هذا الاسم ما لم يمر في مراحل تنظيمية محددة تكون نتيجتها نواله رتبة فارس في المؤسسة. من هنا اكتسبت هذه المؤسسة تميزها عن باقي الفئات وإن وُجد بعض الشبه بينها وبين فئة الصليب الوردي. أما مراحلها فتنقسم إلى ثلاث درجات:

الأولى هي درجة الحاج: وهي تمثل حاجاً مسيحياً التجأ إلى المؤسسة طالباً حمايتها أو معونتها لا فرق أو ربما كان تلقى مساعدة الجماعة. فيتم تحضيره ثم إدخاله إلى مكان الاجتماع للانضمام إلى الجماعة. وعند دخوله يرغب في تقديم شكره وامتنانه لاهتمام الجماعة بمساعدته وبالتالي فهو الآن يريد أن ينذر نفسه لخدمة الهيكل. يتم قبوله مبدئياً ويعاد إلى الخارج لتحضيره للمرحلة التالية.

في المرحلة الثانية وهي درجة فارس أو محترم: يقدم الحاج، الذي أصبح الآن يدعى مرشح فارس، نوعاً من عريضة فيها طلب انضمامه فيصار إلى إدخاله إلى مكان الاجتماع على ذات الوتيرة المستعملة في باقي الفئات الماسونية السابق ذكرها.

بعد ذلك: يتم قراءة جزء من تاريخ المؤسسة التي تأسست على يدي الفارسين الشجاعين هيجو دي بويّان وجودفري دي سان أومير اللذين ـ بعد رؤيتهما ما كان

الحجاج المسيحيون يعانون من اعتداءات المسلمين عليهم أثناء رحلة سفرهم إلى الأراضي المقدسة في فلسطين ـ أنشأوا، مع ستة فرسان آخرين، هذه المؤسسة لغرض نبيل هو تقديم العون والملجأ واعتبروا أنفسهم جنداً للصليب.

بعدئذٍ يبدأ شرح مبادئ ومهام الفارس تجاه أخوته وتجاه العالم ككل وهي مبادئ سامية ترقى إلى مصاف المبادئ الرهبانية والتنسك والتخلي عن الأنا الشخصية لصالح الأنا العامة. يلي ذلك أداء القسم الذي، لا يشبه أي قسم آخر، ينذر المرشح نفسه جندياً يقوم بخدمة الصليب المقدس والدفاع عنه وعن الهيكل وإخوته... ومما يجدر ذكره هنا أن تنبيهاً خاصاً إلى عدم البوح بأسرار هذا الاحتفال إلى من ليس هو من ماسونيي العقد الملوكي الذين انضموا إلى الطغمة قبله. هكذا وبدون أدنى داع تدخل الماسونية إلى الاحتفال الذي سيتذكر المرشح على الفور بأنه ماسوني، وقد كان بدأ يعيش لبعض الوقت جو ومناخ المسيحية ورحمتها وقيمها، لاسيما وأن جميع الشروحات تشير إلى أن المطلوب منه هو الدفاع عن قيمه المسيحية ورغبته في التجند في خدمة المحتاجين...

وتستكمل مرحلة الاحتفال إلى النهاية حيث يسلّم المرشح أسرار الدرجة التي وصل إليها إلى الآن وتعطى له كلمة المرور التي تم اختيارها من الفصل الثامن من سفر إشعيا (إنها طريقة ماسونية باتت معروفة تماماً من القارئ)، ثم يتم إخراجه من القاعة بانتظار العودة سريعاً لاستكمال المرحلة الثالثة والتي هي درجة الفروسية.

في هذه المرحلة الثالثة وهي درجة الفارس: يدخل المرشح، وهو هنا المحترم، إلى مكان الاحتفال وكأنه يدخل قلعة للفرسان ويصار إلى امتحان مدى استعداده لإنكار الذات وخدمة الهيكل والمحافظة على رفاقه ومساعدتهم الخ... ثم يسرد عليه جزء آخر من تاريخ المؤسسة وما وصلت إليه من قوة في خدمة الدين والكارثة التي حلت بفرسانها، فتقول: في العام 1307، ولضرب هذه المؤسسة، دخل فيليب العادل ملك فرنسا في حلف غير مقدس مع البابا كليمنت الخامس وتعاهدا على تدمير هذه المؤسسة الرائعة. في ليلة العاشر من تشرين الأول /أكتوبر من ذات العام، وفيما الرئيس الأعلى والفرسان يستريحون باطمئنان في عاصمة المسيحية باريس، انقضّ فيليب وجنده المسلحون على الفرسان واعتقلوهم من منازلهم في جميع أرجاء المقاطعة الفرنسية وألقوا بهم في السجن.

سيقت تهم عدة ضد فرسان الهيكل وجرت محاولات متعددة مشفوعة بالتعذيب والتهديد الخ. . . لأخذ اعترافات عن أشياء لم يقم أحدهم بها، ولأن ما كتب قد كتب، وكانت مقاضاتهم والأحكام عليهم معدة سلفاً وتم إعدامهم حرقاً على مجموعات مؤلفة من خمسين فارس. أما جاك دي موليه الرئيس الأعلى وأربعة من المسؤلين الكبار فقد قضوا في السجن قرابة السبع سنين. وفي الحادي عشر من آذار/مارس عام 1314 أخرجوا مقيدين إلى الإعدام حيث، وبأمر من فيليب العادل، أحرقوا كاتدرائية باريس.

تقول القصة في الجزء الثاني منها: في جميع أنحاء أوروبا جرت هذه الكارثة، بشكل أقل أو أكثر بربرية. إدوارد الذي كان في حكم قسم كبير من اسكتلندا لم يحاول القيام بأعمال من هذا القبيل بسبب تقدم بروس وجيشه الذي يحمي فرسان الهيكل، ولكن في النهاية جردت المؤسسة من امتيازاتها ومقتنياتها.

بعد سرد القصة يحضر المرشح بإرشادات متنوعة لتأدية القسم الخاص بالفرسان الذي سوف يؤديه أمام المذبح الذي يعلوه الصليب والإنجيل المقدسين. ثم يجري تكريسه فارساً في طغمة الفرسان ويصبح كامل العضوية.

لن تنتهي درجة الفروسية هذه عند هذا الحد، بل تتعدى ذلك إلى حلقات تدريبية في الأمور العسكرية. كل ذلك يعود في الواقع إلى القواعد التي كانت متبعة أيام كانت الفروسية وكان الفرسان أسياد الساحة.

6 ـ فرسان مالطا:

وتسمى أيضاً نظام المستشفى، وتتكون من: فرسان القديس بولس أو عبر المتوسط، وفرسان القديس يوحنا الأورشليمي. لا تختلف هذه الفرقة أو الطغمة عن سابقتها بل لعلها الآن باتت مكملة لها، إذ غالباً ما نجدهما متحدتين وتحت إدارة واحدة ومشتركة. وكما أن فارس الهيكل يجب أن يكون ماسونياً وحائزاً على درجات العقد الملوكي، كذلك فإن المرشح لدخول هذه الطغمة يجب أن يكون منتسباً إلى فرسان الهيكل.

على أية حال، سوف يجد المضطلع أن الطغمتين هما من أصل واحد هو جماعة المعالجين «الأسبتاريين» والتي تأسست في أورشليم أيام كانت تحت سلطة المسلمين، (راجع الموسوعة الماسونية).

كي يحمل المرشح (فارس الهيكل) لقب فارس مالطا عليه، كما أشرنا أعلاه، المرور في مرحلتين هما:

1 ـ **فارس القديس بولس:** وهذه المرحلة أو الدرجة تعتمد على قصة سفر القديس بولس (شاول) إلى روما، من أجل المثول أمام القيصر، على ظهر سفينة، وتعرُّض هذه السفينة وركابها إلى عاصفة بحرية كادت تؤدي بالجميع إلى الهلاك، ومن ثم لجوؤها إلى جزيرة مالطا، والكيفية التي تصرف بها القديس بولس مع ربان وركاب السفينة وسكان الجزيرة (أعمال الرسل: الفصل 27+ 28 ـ 1/ 10). ولهذه الدرجة كما غيرها من الدرجات إشارة تعارف وكلمة سرية الخ... وهذه مأخوذة من نصوص القصة المذكورة.

وهذه الدرجة يعود تأسيسها إلى العام 1367 إثر معركة طاحنة بين فرسان القديس يوحنا والمسلمين حيث تم الاتفاق بعدها على حق عبور الفرسان من جميع المرافئ الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

2 ـ **فارس القديس يوحنا الأورشليمي:** هي تأكيد وتجديد لاعتراف فارس الهيكل بالإيمان المسيحي واستعداده للذود عن حياضه ضد المعتدين والكفرة الخ... ولهذه الدرجة بالطبع كلمة مرور وطريقة تعارف وإشارات إلخ... كلها مأخوذة من الإنجيل المقدس والأعمال الفروسية.

بعد ذلك تلقى على الفارس الجديد محاضرة تتضمن اختصاراً لتاريخ المنظمة نوجزها كما يلي: في العام 1048 قام بعض التجار من مملكة نابولي بتأسيس دير ومستشفى في أورشليم كرّست باسم القديس يوحنا المعمدان ودعي رهبانه باسم أخوة القديس يوحنا، أو «الاسبتاريين» (رهبان المستشفى). وكانت مهماتهم مساعدة المرضى والمحتاجين من الحجاج الذين دفعتهم رغبتهم الدينية لزيارة الأراضي المقدسة.

ازداد عددهم بسرعة وكذلك غناهم. وفي العام 1118 جرى تنظيمهم كنظام عسكري على أيدي ريمون دي بوي الذي أضاف إلى نذرهم الرحمة والطاعة والفقر. أما واجباتهم فكانت الدفاع عن الكنيسة ضد الكفرة.

بقوا في أورشليم حتى سقوطها بيد صلاح الدين حيث تعيّن عليهم ترك المدينة المقدسة. وبعد هذه الكارثة والأخبار التي أحدثت رعباً عظيماً شمل النصرانية بأكملها،

نقلوا مركز قيادتهم، في العام 1191، إلى عكا المدينة التي كان ريتشارد قلب الأسد قد استولى عليها من المسلمين في السنة نفسها، وتحول الفرسان إلى نظام مستقل. ولكن وفي نفس العام، كانت قضية الصليب في فلسطين على انحدار. مدينة بعد الأخرى كانت تقع بأيدي المسلمين، وأخيراً بقيت عكا في حوزة غودفري دي بويون وخلفائه ووجهت دعوات ملحة إلى مختلف الملوك المسيحيين للدفاع عن هذه المدينة الوحيدة، لكن الممالك كانت منشغلة بالأمور المادية والحسد فلم تستمع.

النهاية أتت بسرعة. ففي العام 1291 وقعت المدينة بأيدي المسلمين بقيادة مالك الشريف ودمرت المدينة ووضع السيف في رقاب ستين ألف من سكانها. وما تبقى من الفرسان التجأوا إلى جزيرة قبرص لكنهم وجدوها غير ملائمة لاستقرارهم فقرروا الاتجاه إلى رودوس حيث واجهوا مقاومة من سكانها دامت أربع سنوات انتهت عام 1310.

بقيت المنظمة في رودوس نحو مائتي سنة، إلى أن حوصرت الجزيرة في العام 1522 من قبل السلطان سليمان العظيم (التركي) مع جيش كبير جداً. أما الفرسان، بقيادة رئيسهم الأعلى فيليب دو فيليي في جزيرة آدم، أبدوا مقاومة كبرى ولكن لفقدان الإمدادات والظروف غير المؤاتية استسلموا في أفضل شروط شرف.

خلال السنوات السبع التي تلت تلك الكارثة، هام الفرسان على وجوههم ولم يعد لهم نظام مستقل، واتجهوا نحو كاسترو في كانديا في جزيرة صقلية وإلى مدينة فيتربو قرب روما. لكن أياماً مضيئة كانت لا تزال مختزنة لهم. ففي 24 آذار/مارس عام 1530، منح الإمبراطور شارل الخامس مالطا للمنظمة على إعتبار أن الفرسان سوف يحمونها ويفعلون جهدهم في سبيل صد القراصنة المتجولين الذين كانوا في ذلك الوقت يقلقون الجزء الجنوبي للمتوسط. وبناء عليه فقد انتقلوا إلى مالطا وأخذوا موقعاً لهم فيها.

ومن أسطورة وصولهم إلى نهاية بقائهم في ذلك المكان انطلقت أساليب تعارفهم التي احتفظ بها أعضاء المنظمة. تقول القصة «إن الفرسان في اقترابهم من الشاطئ وهم يجذفون بقواربهم، كانوا يحملون سيوفهم في اليد اليمنى والمجذاف في اليسرى وكانوا ينشدون الفقرة 16 من الفصل 19 من كتاب الرزية. ولدى اقترابهم سألهم السكان الأصليون وهم ينظرون إليهم يقتربون في لباس الحرب: هل أنتم قادمون في سلام

فأجابوهم نعم نحن قادمون في سلام، فأجاب السكان: إذن أنزلوا بسلام.

استقروا في مالطا حيث استعادت المنظمة استقلاليتها ثانيةً كمنظمة عسكرية قوية وغنية وأسست رعيتها في كافة أنحاء أوروبا، ولم يفقد أعضاؤها أياً من تقاليدهم أو قيمهم الموروثة. واستمروا حتى العام 1725 في حرب مع الأتراك بذلوا فيها الكثير من البطولة والدماء.

لكن كانت هناك أمور ستتجدد. فجيوش نابليون اكتسحت أوروبا ولم يكن من غير المتوقع أن تتساقط معظم عروش القارة، بدا من الطبيعي أن تلك الدائرة من فرسان القديس يوحنا لن تفلت. ففي 9 حزيران/يونيو عام 1798 ظهر الأسطول الفرنسي أمام مالطا بقيادة نابليون نفسه وهنا وجد الرئيس الأعلى للفرسان، فرديناند فان هومببش، أن من المستحيل المقاومة وأنه مجبر على الاستسلام. وهكذا وجود المنظمة مستقلة وصل إلى نهايته، ومع ذلك، جرت عدة محاولات من أجل استرداد بعض تلك الاستقلالية والنفوذ لكنها باءت بالفشل. ومنذ ذلك الحين ذهبت عظمة المؤسسة وفروسيتها وغناها إلى غير رجعة، وهي الآن موجودة كمؤسسة مسيحية سلمية.

7 ـ المراقب السري:

لن يغفل ماسون العالم اليوم عن ملاحظة وجود منظمة أُخرجت من باطن الماسونية عام 1887 في إنكلترا ومنه انطلقت في بلدان أخرى مثل الهند وجنوب أفريقيا وقارة أوقيانيا وتازمانيا ونيوزيلندا. منظمة ليس لها وجود في البلدان العربية أو المسلمة كونها تقوم على أسس صرف يهودية ليس لها أية صلة بالماسونية القديمة أو الحديثة.

في كتاب من وضع ونشر أوكسفورد عام 1950 بمناسبة مرور ستين سنة على تأسيسها وهي طبعة خاصة وليست للعموم،ورد في مقدمته: لقد نمت هذه المؤسسة مثل حبة الخردل المذكورة في إنجيل توما بحيث أصبح لها فروعاً في كافة أرجاء الأرض. وهذه الإشارة إلى الإنجيل، وكانت إحدى تسميات الماسونية التي استعملت في ألمانيا عام 1753 وانتشرت منها إلى هولندا وإنكلترا.

يضيف مقدم الكتاب: نظامنا هو نظام أخوي ماسوني بامتياز الذي لا يدخله إلا الأساتذة الماسون الذين ينتمون إلى محافل رسمية ومعترف بها من قبل المحفل الأكبر.

نظام المراقب السري هذا يقوم على قصة اتفاق داود راعي غنم أبيه وشاول أول ملك ينصبه صموئيل على إسرائيل، والصداقة التي قامت بين الأول وبين يوناثان ابن شاول والتي بلغت حد تعاطف هذا الأخير مع داود ضد والده.

إنه نظام يهودي من قمة رأسه إلى أخمص قدميه وليس له أية علاقة بالماسونية سوى أن من أسسه هم من الماسون وقد اختاروا صداقة يوناثان وداود كمثال بين البشر.

من يطالع سفر صموئيل الأول يلحظ العلاقة التي قامت بين داود ويوناثان وتخلي هذا الأخير عن أبيه بسبب صداقته مع داود ويدرك مدى تقييم بني إسرائيل لمعاني الصداقة ونسيانهم التام لمعنى الخيانة البنوية. وكما غيرها من الأنظمة الماسونية فإن هذه الفرقة من الماسونية الممارسة حديثاً تتضمن درجتين هما الأخ والأمير. أخ لداود ويوناثان وأمير للنظم. وكذلك فإن لها إشارات وكلمات تعارف وكتب لطقوس احتفالاتها.

الخاتمة

في ختام كتابنا هذا لا بد لنا من القول، بأن الماسونية، ونتيجة لدراسات معمقة، لا تمت إلى الأديان بصلة، فمن جهة نراها مسيحية ومن جهة أخرى تحارب المسيحية والمسيحية تحاربها. وفي بحث آخر نرى بأن أغلبية تعاليمها يهودية، وفي أرض الواقع نراها على صراع مستميت مع اليهودية.

أما بالنسبة إلى الديانة الإسلامية، فتعامل الماسون معها في مواطن انتشارها يكون بحساسية مطلقة ودون التصادم معها أو الدخول في أفكارها الإيمانية. ولكن من جهته فالإسلام أعلن ويُعلن باستمرار الحرب على هذه المجموعات ويعتبرها تخدم المشاريع الصهيونية.

ولكن في الحقيقة التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة يتبين لنا بأن الجماعات الماسونية مستعدة دائماً للتكيف مع الدين أو الحكم الذي تتواجد في وسطه، ولا تألو أي جهد في سبيل نشر مبادئها وأفكارها مهما كلف الثمن، ولكن بطريقة المهندس الذي يتقن عمله، ولكن على المدى الطويل وبتأنٍ كامل.

المراجع العربية

- د. أسعد السحمراني. «الماسونية: نشأتها وأفكارها»، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان 2001.
- جرجي زيدان، «تاريخ الماسونية العام»، بيروت، دار الجيل، ط 2، سنة 1984.
- جورج فاخوري البولسي، «المسرة»، العدد 497، تموز 1964، نقلاً عن: «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي».
- الجنرال جواد رفعت آتلخان، «أسرار الماسونية»، ترجمه عن التركية وعلق عليه: نور الدين رضا الواعظ، وسليمان محمد أمين القابلي، بيروت، مكتبة المثقف، سنة 1376 هـ.
- حنا مالك، «بيان المحفل الأكبر الإقليمي لسورية ـ الطريقة الإيكوسية القديمة المقبولة»، دمشق.
- حنا أبي راشد، «دائرة معارف ماسونية»، ج1، بيروت، مكتبة الفكر العربي، ط1، سنة 1961.
- د. حسين عمر حمادة، «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي».
- حنين قطيني، «البناؤون»، بيروت، مطابع فغالي، بدون تاريخ.
- خيري رضا، «شذرات من تاريخ الماسونية»، نقلاً عن: كتاب حسين عمر حمادة «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي».
- زكي إبراهيم، «صوت الماسونية أو التقويم الماسوني العام لمحفل منف»، مطبعة عطايا، 1928.
- شاهين مكاريوس، «الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية»، مصر، سنة 1897م.
- شاهين مكاريوس، «الآداب الماسونية»، بيروت، دار مارون عبود، ط 2، سنة 1983.
- فؤاد فضول، «الماسونية ـ خلاصة الحضارة الكنعانية»، بيروت، دار كنعان، بدون تاريخ.
- س. حداد. «الماسونية أو العودة إلى الجذور». توزيع دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط1. 2006.
- الأب لويس شيخو، «السر المصون في شيعة الفرمسون»، الكراس الأول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، سنة 1910.
- لوسيان كافرو ديمارس، «العار الصهيوني ـ آفاقه وكوارثه»، بيروت، سنة 1972.
- مايكل هاوارد. «محافظ الغامضين أثناء السنوات الـ5000 الماضية».

- محمود خير الدين، «الماسونية في مصر الإنسانية»، الجزءان 5 و6، دمشق، كانون الأول والثاني / ديسمبر ويناير 1936 ـ 1937.
- محمد علي الزعبي، «الماسونية في العراء»، بيروت، مطابع معتوق، 197.
- وجيه بيضون، «بين الهياكل: شرق سوري جديد، الإنسانية»، دمشق، ج 7 و8، شباط وآذار / فبراير ومارس 1937، نقلاً عن: «الماسونية والماسونيون في الوطن العربي» لحسين عمر حمادة.
- وديع نقولا حنا، «الماسونية في سورية: أسرار لم تُعلَن بعد»، المعارف، العدد السابع، السنة السادسة، تموز /يوليو 1923، المطبعة الوطنية، بيروت.
- وليام غاي كار، «أحجار على رقعة الشطرنج»، ترجمة سعيد جزائرلي، مراجعة وتحرير م. بدوي، بيروت، دار النفائس، ط 4، سنة 1401 هـ ـ 1981م.
- العهد القديم، سفر الملوك الثالث 7: 13 ـ 14.
- «بروتوكولات حكماء صهيون»، ترجمة وتقديم د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ط 1، سنة 1408 هـ ـ 1988.
- مجلة «المشرق»، لبنان، سنة 12، العدد 12، كانون الأول /ديسمبر 1909.
- «رسوم البناية الحرة الدرجة الأولى للطريقة الأسكوتلاندية»، تعريب شكري الفاخوري، طرابلس الشام، مطبعة البلاغة، سنة 1923.
- «الماسونية بين الانحراف والأصولية»، ترجمة يوسف ضوميط، بيروت، دار مختارات، ط 2، سنة 1986.
- «تبديد الظلام أو أصل الماسونية»، تعريب عوض الخوري، بيروت، مطبعة الاجتهاد، سنة 1929.
- القانون الأساسي للمحفل الأكبر الوطني المصري لعشيرة البنائين الأحرار القدماء المقبولين، مصر، مطبعة طه إبراهيم ويوسف برلادي، سنة 1921.
- «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»، د. مانع الجهني. دار الندوة. ط5. 2003.
- النظام الداخلي لمحفل سوريا شرق دمشق باسم وتحت رعاية شرق فرنسا السامي سنة 1922.
- صحيفة «البعث السورية»، «إلغاء المحافل الماسونية وأندية الروتاري في سوريا»، العدد 740، الثلاثاء 10 آب /أغسطس 1965.
- مجلة «كل جديد»، عدد خاص عن الماسونية، العدد الثامن، السنة الرابعة، آب /أغسطس 1948.

المراجع الأجنبية

- «Annales Maçonniques». Universelles, mars-avril, 1933.
- «La Franc-maçonnerie rendue Intelligible à ses adeptes», III. le maître.
- «The privileges of Masonry shall no longer be restricted to operative masons, but extend to men of various professions, provided they are regularly approved and initiated into the order». (Preston, Illustrations of Masonry).
- James Anderson, «The Book of Constitutions of the Freemasons», containing the history, charges and regulations of that most ancient and right worshipful fraternity.
- Hustin, D. Serge, Les socites secretes, paris, presses universites de france, 8e edition, i'annee 1973.

الفهرس